المكتبة التاريخية

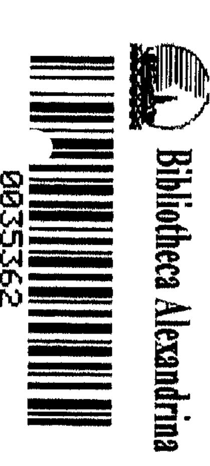
الأسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية

٤٩١ - ٦٩١ هـ = ١٠٩٧ - ١٢٩٠ م

دكتور :

عثمان عبد الحميد عشري

كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم



١٩٨٢ / ١٩٨٣

المكتبة التاريخيّة

الأسماعيليّون في بلاد الشّام على عصر الحروب الصّليبيّة

٤٩١ - ٦٩١ هـ = ١٠٩٧ - ١٢٩٠ م

دكتور :
عثمان عبد الحميد عشري
كليّة الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم

١٩٨٢ / ١٩٨٣

محتويات البحث

والدعوة الاسماعيلية فى بغداد • الحكم العباسى واثره فى نشر الدعوة فى الشام والعراق• فشل ثورة البساسيرى ومقتله • الاسماعيلية والسلاجقة • الب ارسلان ونظام الملك والتوسع السلجوقى فى بلاد الشام• موقعة ماتزكرت واثرها فى التفوق السلجوقى على الاسماعيلية فى بلاد الشام• ملكشاه ومحاولته فتح مصر• فشله فى ذلك• الصراع الاسماعيلى السلجوقى حول دمشق وحلب وبيت المقدس• تتش مؤسس دولة سلاجقة الشام• مقتله واثره فى تقسيم ملكه• كيف كان سلاجقة الشام عاملا اساسيا فى نشر النفوذ الاسماعيلى• حلب كمركز جديد وهام للاسماعيلية• القرامطة والاسماعيليون فى بلاد الشام• الحسن بن الصباح واقليم الشام• ابو طاهر الصايغ فى بلاد الشام• الحكيم المنجم ودوره فى حلب• الامير رضوان واسماعيلية مصر• اثر الاسماعيلية فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى حلب• الاغتيالات اغتيال جناح الدولة واثره•• ابو الفتح السومينى• اغتيال خلف بن ملاعب ونتائجه• موقف اهل حلب من الاسماعيلية• الاسماعيلية واغتيال مودود• راى حول ذلك• الاسماعيلية اغتيال اقسنقر البرسقى واسبابه• اسماعيلية حلب التاجر المشرقى الخجندى• ثورة حلب ضد الاسماعيلية• اغتيال الرئيس ابن بديع• الاسماعيليون فى دمشق طغتكين والاسماعيلية• المؤامرات الاسماعيلية حول دمشق• بهرام الاسترابادى واصحاب وادى التيم• ابو الوفاء الاسماعيلى يتولى قضاء دمشق• الاسماعيليون وحصن بانياس• الوزير الزدغانى واسباب انضامه للاسماعيلية• مذبحة دمشق ومحاولة اغتيال تاج الملوك بورى• الاسماعيليون فى بغداد • اغتيال الخليفة المسترشد اغتيال الراشد• تعاون اسماعيلى عباسى•

الفصل الثالث

الاسماعيلية والقوى الصليبية فى بلاد الشام فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر

صفحة

بلاد الشام بين غزوين • الاسماعيلى من الشرق والصليبى من الغرب• التوسع الصليبى فى بلاد الشام • موقف الاسماعيلية من الخطر الصليبى • عوامل التحالف بين الاسماعيلية والصليبيين الخلافة العباسية والخطر الصليبى فى الشام • الترحيب بالغزو الصليبى فى بلاد الشام ومناقشة حول اسباب ذلك• فتح بيت المقدس وموقف الاسماعيلية من ذلك • الحملات الاسماعيلية على بلاد الشام وفشلها • استيلاء الصليبين على مدن الشام الساحلية ودور الاسماعيلية فى ذلك• حصن بانياس واهمية سقوطه فى يد الصليبين • شيخ الباطنية على وفاء وتحالفه مع ريموند بواتييه ضد نور الدين • نور الدين وفتح مصر • الصراع النورى الاسماعيلى الصليبى حول مصر• تحالف راشد الدين سنان وعمورى ضد نور الدين • اغتيال رسل المفاوضات الاسماعيلية الصليبية على مشارف طرابلس• اتهام راشد الدين سنان بقبول اعتناق المسيحية وراى • الاغتيالات • اغتيال ريموند الثانى امير طرابلس• اغتيال كونراد مونتفرات مناقشة وراى حول ذلك• صلح الرملة وخضوع الاسماعيلية لصلاح الدين• الاسماعيلية والابسبتاريه • الاسماعيلية بعد سنان وعلاقاتهم بالصليبيين • اغتيال ريموند الابن الاكبر ليوهند الرابع واثره• العلاقات الاسماعيلية الايوبية ضد الصليبيين • اغتيال البرت بطريرك بيت المقدس• موقف البابوية من الاسماعيلية نتيجة لذلك •

بسم الله الرحمن الرحيم

تنسب الاسماعيليه الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهي احدى فرق الاماميه وتعتبر المؤسسه للباطنية والتاويل . ومنها تفرعت فرق عديدة .

والمعروف عن الاسماعيليه انهم لعبوا دورا خطيرا على عصر الحروب الصليبيه في بلاد الشام . وقد تمثل هذا الدور في مقاومتهم للمذهب السني والعمل على الفتك باهله وزعمائه وقادته من ناحيه ، ثم في مقاومة الصليبيين والفتك بزعمائهم من ناحية اخرى .

ولاشك في ان الدور الذى قام به الاسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبيه يستحق الدراسة لاستجلاء الحقائق الخاصة به في كشف النقاب عن جوانبه الغامضة . وهذا ما استهدفت القيام به في بحثي هذا .

وقد ظهر الاسماعيليون على مسرح الاحداث التاريخيه عقب موت الامام جعفر الصادق عام ١٤٨ هـ/ ٧٦٥م . اذ التف انصاره حول حفيده ، محمد بن اسماعيل الذى - كما تنص عقيدتهم - انتقلت اليه الامامة مباشرة دون ان يكون لعمه موسى بن جعفر اكثر من دور الامام المستودع .

وبموت الامام محمد بن اسماعيل بدأ دور الائمة المستورين •
وهم عبد الله بن محمد الذى اتخذ الستر وسيلة حتى لا يقع تحت طائلة الخلافة العباسية التى عملت جاهدة على تعقبهم والفتك بهم • فكان كثير التنقل بين نهاوند والاهواز وطبرستان • وقد عاصر الخليفتين الرشيد والمامون وكان من اهم علاماته الستر • لدرجة انه سمى جميع دعاته باسمه حتى لا ينكشف امره ولا يعرفه احد • مما كان له اثره فى تعميه الامر على السلطة الحاكمه وكما عبر الداعى عماد الدين ادريس: فقد كان استتاره كظلمة الليل الشديد وذلك لما غلب الباطل على الحق ولشدة دولة الظلم من آل عباس وعظم الريب والوسواس• وقد اتخذ ذلك الامام من المعرة ثم من بعدها سلميه مقر الدعوته ، لتنتشر منها الى سائر الاقطار الاسلامية • ولا تزال سلميه حتى اليوم هى المقر الرئيسى لاتباع المذهب الاسماعيلى فى القطر السورى من بلاد الشام

ثم تولى امر الدعوة من بعده ابنه احمد الذى ولد فى سلميه عام ١٩٨ هـ/٨١٣م • فاتخذها فيما بعد مقرا له ومركزا لدعوته التى استعان فيها بالداعى عبد الله بن ميمون القداح •

امتاز ذلك الامام بانه كان على جانب كبير من العلم والثقافة فضلا عن دهائه الذى تمثل فى تنقلاته المختلفه بين الديلم والكوفه وغيرها متظاهرا بالاعمال التجارية التى اخفت فى حياتها ما كان يبذله

في سبيل نشر الدعوة الاسماعيليه ومبادئها والعمل على تذكيه الافكـــار الاسماعيلية لتقويض دعائم واركان الخلافه العباسيه .

والمعروف انه عاصر الخليفه المامون وشارك في تاليب الثـوارت ضده وكان من اساليب اختفائه وستره قضاء الشتاء في سلميه والصيف فـــي مصياف حيث مات بها عام ٢٦٥ هـ/ ٨٧٨م .

ومن هذا يبدو ان بذور الدعوة القيت في ارض مصياف لتوءتـــــي ثمرها عندما استولى عليها الاسماعيليون فيما بعد وعلى وجه التحديـــد عام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م .

ثم آلت الدعوة بعد وفاته الى ابنه الحسين بن احمد الـــذي كان قد ولد في مصياف عام ٢١٩ هـ/ ٨٣٤م ، وانتقل الى سلميه المركـز القديم للدعوة . ويبدو ان رجال هذه الدعوة كانوا على جانب كبيـــر من الثراء . حيث انهم عملوا في التجارة كوسيلة للعيش من ناحية ، ولاخفاء حقيقة امرهم ودورهم الطبيعي في الحياة الاجتماعية والسياسيه من ناحية اخرى . يضاف الى ذلك ان اموالا طائلة كانت تحمل اليهـم من كافة الجهات الخاضعة لنفوذ اتباعهم من المريدين ، والزنقـــاء . كل ذلك ليتمكنوا من الانفاق السخي على دعوتهم ودعاتهم .

وفى ذلك المناخ السياسى المفعم بالكراهيه والبغض الشديدين للسلطة الحاكمه ، كانت الحركات الشيعية تاخذ طريق الجديه ضــــد الخلافه العباسية .

فالاثنا عشريه من ناحية والاسماعيليه من ناحية اخرى كل منهمـا حاولت جاهدة تقويض عرش الخلافة القائمه بكل الوسائل المختلفة ، فضلا عن كسب اكبر عدد من انصار الدعوة للهاشميين . ولكن اذا ما استعرضنا سير الحوادث نجد ان الغلبة كانت للاسماعيلية حيث كان جناحهـــم ــ كما اوضحنا في متن البحث ــ اكثر نشاطا واوسع طموحا من ابناء عمومتـــه الاثنا عشريه . وكانت غيبة الامام الاثناعشرى من اهم العوامل الرئيسيـة التى ساعدت على انضمام معظم دعاتهم الى الدعوة الاسماعيليه .

فمثلا نجـد الداعى ابا القاسم حسن بن فرج بن حوشب" منصور اليمن" وعلى بن الفضل ، يلتقيان بالامام الحسين بن احمد بالنجـف الاشرف . فيوءثر فيهما بدعوته . فينفضا ن عنهما غبار الاثناعشريه ليلتحقـا بلحافالاسماعيليه . ومن سلميه حيث تاسست مدرسة الاسماعيليــــــه الكبرى خرج اكبر دعاتهم ابوعبد الله الشيعى الموءسس الاول للدولـه الاسماعيلية فى بلاد المغرب .

وفى ذلك الوقت لم يأل ابو القاسم وزميله جهدا فى نشر الدعوة فـــى بلاد اليمن . ويحدثنا صاحب كتاب غاية الامانى ان الدعوة فشت فـــى

البلاد وظهر امرها • وكان ان ابتنى ابو القاسم حصنا بجبل لاعـــه وجيش الجيوش وافتتح الكثير من مدن اليمن وملك صنعاء • كما ارسل دعاته الى اليمامه والبحرين وبلاد السند والهند ونواحى مصر والمغرب

وتعتبر حركة منصور اليمن هذه اول حركة اسماعيلية ناجحه • بل انها تمثل اول دولة اسماعيليه ظهرت في التاريخ وقامت باســـم الامام الاسماعيلى المنتظر•

ثم ياتى دور المغرب الذى ساعدت بداوة اهله وفطرتهم علـــى التمكين للدعوة • الامر الذى مكن دعاة الاسماعيلية من تثبيت اقدامهم ونشر دعوتهم في تلك البلاد بيسر وسهولة • يضاف الى ذلك اهمـــال الخلافة العباسية لشئون تلك الاقاليم لبعدها • ومما اوجد ارضا صالحة نبتت فيها بذور الاسماعيلية التى القى بها الداعيان ابو سفيان والحلوانى من قبل ليحرثها فيما بعد الداعى ابو عبد الله الشيعى ولتنبت شجرتها فتظلل بلاد المغرب ومصر والشام وبقاع كثيرة من الشرق الاسلامى فضــلا عن بعض جزر بحر الروم (الابيض المتوسط) •

وجاء بعد ذلك دور مصر التى عرفت من قبل حركات العلوييـــن واحتضنت بعض ثوارها • وكانت ملجأ صالحا وامينا للهاربين من سطـــوة الامويين ثم العباسيين من بعده لتصبح دار خلافه ومقر الخليفة اسماعيلى بعد ان كانت ولاية من ولايات الدولة الاسلامية ومصرا من امصارها •

ومن مصر خرج الاسماعيليون الى بلاد الشام على عهد جعفر بن فلاح وجوهر القائد ليبثوا مبادئهم التى ساعدت ابن الصباح فيما بعد على ان يبعث بركائزه التى رغم وقفت عليها دعائم دعوته النزاريه • والتى عملت جاهده مع شقيقتها المستعلوية رغم تباينهما واختلافهما — على استخلاص بلاد الشام ما امكنهما ذلك من يد اصحابها السلاجقة او العباسيين •

وتتدرج الدعوة الاسماعيليه في سبع مراتب بنيت كل منها على الاخرى وقد عرضها الغزالى — وهو اول من تصدى لدعوتهم — بالنقد والتفنيد على الوجه التالى :

أ — التانيس :

وهو ان يعمل الداعى على ان تطمئن نفس المدعو اليه • فيأتيه من زاويته الدينيه او المذهبيه • فيحدثه بشيء من الكلام الرقيق واطراف من المواعظ اللطيفة الآخذه بمجامع القلوب •

٢ — التشكيك :

ويقوم على تغيير اعتقاد المستجيب بان يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه او موقن له • كأن يلقى عليه اسئلة من تفسير بعض الايات القرآنية الكريمه والاحكام الدينية المختلفة •

٣ ـ التعليق :

وهو أن يتركه معلقا فيما القى عليه من الاسئلة • وهنا يتعين على الداعى ان يهول على المدعو الامر ويعظمه •

٤ ـ الربط :

وهو ان يربط ـ المدعو ـ لسانه بايمان مغلظة ، وعهود موكده لا يجسر معها على المخالفة لها باى حال من الاحوال •

٥ ـ التدليس :

وهو عدم السماح ببث الاسرار الى المدعو دفعه واحده ولكن على الداعى ان يتدرج به الى سبع مراتب اخرى جانبيه تدخل كلها تحت ذلك البند •

٦ ـ التلبيس :

هو ان يواطئه على مقدمات يتسلمها منه مقبولة للظاهر مشهورة عند الناس ذائعة • ويرسخ ذلك فى نفسه مدة • ثم يستدرجه منها بنتائج باطله •

٧ ـ الخلع والسلخ :

وهما متفقان • وانما يفترقان فى ان الخلع يختص بالعمل • فاذا افضوا بالمستجيب الى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون : وصلت الى درجة الخلع • اما السلخ فيختص بالاعتقاد الذى هو خلع الدين •

فاذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا • وقد سماهـــــا الغزالى " بالبلاغ الاكبر" •

ويبدو ان الاسماعيلية اظهروا مهارة كبيرة فى اختيار اتباعهـــم • ويفهم مما ذكره الديلمى انهم لم يقتصروا فى دعوتهم على المسلمين فحسب بل انهم استجلبوا اليها الكثيرين من اليهود والنصارى ، بل مـــن المجوس ايضا •

لكن هذا الراى فى الواقع يحمل تحاملا خطيرا على الاسماعيليه لان مبدأ الدعوة قائم على اساس احقيه الامام على بن ابى طالب وبنيه من بعده فى الامامه دون غيرهم من المهاجرين والانصار • ولذلــك اقتصر خلافهم على رفضهم الاعتراف بخلافة كل من ابى بكر وعمر وعثمــان ثم الامويين والعباسيين من بعدهم •

هذا الى ان الدعوة الاسماعيلية قامت على اكتاف المسلمين الشيعيين وحدهم مع اختلاف امصارهم دون غيرهم من ابناء الملل الاخرى • ولذلك لا مجال هنا الى ان نزج بهم فى هذا المضمار الذى اراده لهـم كثير من المؤرخين غير المنصفين •

وحسبنا ان الملطى ، وهو اول من اماط اللثام عن كنه الدعوة ، الاسماعيليه يصفهم بانهم " يصلون الخمس ويظهرون التمسك والتهجد والورع ولهم سجادات ويدفعون زكاتهم وصدقاتهم الى ائمتهم ويتحنثون

بالحناء وينوحون على الحسين عليه السلام . واعتقادهم العدل والتوحيد .

كما انه لم يؤثر عن الاسماعيليين انهم استمدوا عونا من غير المسلمين باستثناء ما حدث ابان الحروب الصليبيه . وهذا الامر فرضته عوامل سياسيه بحته .

ويجدر بنا ان نذكر انهم ركزوا دعوتهم ـ كما اوضح ابن ابيك على اسباب عدة . ا منها اعراض الناس عن ائمة نصبوا لهم واقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقائقها ويحفظون عليهم معانيها انها . كما انهم اوهموهم بان " الدين صعب مستصعب وامر ، وعلم خفى غامض ستره فى حجته وعظم شانه عن ابتذال الاسرار فهو سر الله عز وجل المكتوم وامره المستور الذى لا يطيق حمله بعض باعبائه وثقله الا ملك مقرب او نبى مرسل او عبد مؤمن امتحن للايمان .

عامة سريعة عن اصل الاسماعيلية الذين اتخذنا نشاطهم ضوءا لبحثنا . وقد قسمت هذا البحث الى سته فصول .

ن نشأة الاسماعيليه وامتداد نشاطهم الى بلاد الشام .

، حالة مصر على عهد المستنصر . ثم الصراع النزارى المستعلوى

ودور الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالي في ذلك، كما اوضحنا جهود الحسن بن الصباح في اقامة الدعوة النزارية ونشر دعوتهم في بلاد فارس واصفهان .

اما الفصل الثاني فعالجت فيه موضوع الاسماعيلية والقوى الاسلاميه في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وفيه ابرزت نشاط الاسماعيلية في بلاد الشام وعلاقاتهم بالقوى الاسلاميه .

وانتقلت بعد ذلك الى الفصل الثالث وفيه تكلمت عن علاقة الاسماعيليه بالقوى الصليبيه في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، فاوضحت الدور الذى لعبه الاسماعيليون مع الصليبيين وكيف ان العلاقه بين الطرفين تقلبت بين الود حينا والعداء احيانا . وذلك دون النظر الى اى اعتبار الا اعتباراتهم الذاتية البحته والجرى وراء ما يحقق اهداف دعوتهم .

اما الفصل الرابع ، فقد خصصناه لبحث انكماش النفوذ الاسماعيلي على عصر السلاطين المماليك في بلاد الشام . وذلك بعد انتصارهم في عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م .

هذا وان كان الأسماعيليون قد استطاعوا في النهاية ان يكونوا اصحاب حظوة عند بعض سلاطين دولة المماليك والناصر محمد بن قلاوون بالذات .

لم يقف هذا البحث ازاء القضايا التى تعرضنا لها ، مثل قضايا الاغتيال او رميهم بالكفر او الزندقه والالحاد • او تحليل علاقاتهم بكل من السنيين والصليبيين موقفا جامدا ، وانما ناقشناها مناقشه علميه جاده بعيدة كل البعد عن التحيز •

هذا ••• وقد اعتمدت فى هذا البحث على مصادر عديده متنوعة • اختلفت ما بين تاريخيه وعقائديه سنيه او شيعيه اسماعيليه متخصصه بالذات • رغم ما عانيناه من جهد فى سبيل الحصول عليها لعدم توافر معظمها فى المكتبات الجامعية او القوميه فضلا عن المكتبات العامه •

ومن اهم هذه المصادر فى المجال التاريخى : ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م • وهو من المصادر الاصليه التى عالجت تاريخ بلاد الشام بصفة عامه ودمشق بصفة خاصة فى الفترة من عام ٣٦٣ هـ الى ٥٥٥ هـ • فاستطاع ان يلقى الضوء على ابتداء انتشار الدعوه الاسماعيليه النزارية فى بلاد الشام بما اوضحه عن مقدم الحكيم المنجم الى تلك الديار وما كان بينه وبين حليفه رضوان امير حلب من علاقات قويه لعبت دورا هاما فى تثبيت اقدام الاسماعيليين فى حلب فترة طويله •

على انه رغم كراهية ابن القلانسى الواضحة لهم فانه انصفهم احيانا ، حيث نفى عنهم تهمة اغتيال الافضل شاهنشاه كذلك اشاد بموقفهم

جنبا الى جنب مع اخوانهم السنيين للدفاع عن دمشق ضد الغـــزو الصليبى عام ٥١٩ هـ ١١٢٥م • وهذا كله يشهد على واقعيته •

والكامل لابن الاثير ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، ويعتبر اهم مصادر التاريخ الاسلامى حتى عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م على الاطلاق، وقـــد لعب هذا المصدر دورا هاما فى الوقوف على بداية ظهور الاسماعيليـــه فى بلاد فارس واصفهان • كما انه امدنا بمعلومات تاريخيه وافيه عـــن قلاعهم وتحركاتهم وموقفهم من اهل السنه فى تلك البقاع • وان كـــان قد لعب دورا هاما مع سلفه ابن الجوزى فى تثبيت اتهام الاسماعيليــه باغتيال نظام الملك رغم براءتهم من هذه الجريمه •

على انه يتعين على من يرجع الى ذلك المصدر الهام الا يقصر قراءته على ما تحويه عناوين الموضوعات الرئيسيه للكتاب فحسب بل عليه ان يهتم بما ذكره المؤرخ تحت عدة حوادث ايضا • ذلــك تشكل اهمية كبرى لما جاء فيها من حوادث وقضايا على درجة كبيــرة من الاهمية لم يوردها المؤلف فى سنى الحوادث •

اما مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ت٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ فانــه لا يختلف كثيرا عما جاء فى كتاب المنتظم لجده ابن الجوزى ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م • وكثيرا ما اشار هو بنفسه الى ذلك • ويعتبـــر

كتاب مرآة الزمان هذا من المصادر الاساسية التي تابعت تحركات الاسماعيليه في بلاد الشام • وقد لعب دورا هاما في كشف النقاب عن بعض جوانب قضايا الاغتيالات الاسماعيليه وخاصة قضية اغتيال مودود في دمشق الامر الذي استطعنا معه تحديد مركز طغتكين في هذه القضية الخطيره • ويمتاز سبط ابن الجوزي في كتابه هذا بالاعتدال ، فضلا عن التزامه الدقه في عرض موضوعاته •

وزبدة الحلب وسيرة راشد الدين سنان لابن العديم عام ٦٦٠ هـ ١٢٦١م • فبالنسبة للاول ، فانه يعتبر من المصادر الاساسية لتاريخ حلب ذلك لما حواه من حقائق تاريخيه على جانب كبير من الاهمية بالنسبة للدور الذي لعبه الاسماعيليون في حلب•

على انه بلاحظانه على الرغم من كراهية ابن العديم للاسماعيلية فانه انصف راشد الدين سنان بنفيه ماقيل عن دعاوى الوهيته • حيث أثبتت بطريقة لاتقبل الشك ان راشد الدين سنان نفسه امر بقتل من نادوا بذلك من اتباعه • والفضل مابشهد به الاعداء •

اما كتابة الثاني وهو سيرة راشد الدين سنان فانه يعتبر من كل النواحي مصدرا اساسيا لتاريخ احد كبار شيوخ الجبل واول من تزعم الاسماعيليين في بلاد الشام بصورة واضحة وجليه • وقد حوى حقائق تاريخيه عن راشد الدين سنان لم يسعفنا بها مصدر

آخر ـ باستثناء النذر القليل الذى اورده ابن جبير في رحلته عن اسرة سنان ـ لذلك فان سيرة راشد الدين سنان لابن العديم تعتبر من اهم الوثائق التاريخية التى اعتمدت عليها في بحثى بالنسبة للدور الاول من حياة شيخ الجبل الثالث راشد الدين سنان ٠

ثم كتاب البدايه والنهاية لابن كثير ٧٧٤هـ/١٣٧٢م٠ ويعتبر ابن كثير من اكثر المؤرخين وضوحا في عرض الاحداث التى تعرض لها في كتابه ٠ والواقع فانه ساعد كثيرا على القاء الاضواء على بعض القضايا التى عالجناها في هذا البحث خاصة قضية اغتيال نظام الملك ٠ كما انه لعب دورا هاما في توضيح العديد من النقاط التاريخية الهامه ٠ وكان ابن كثير اول من اشار الى اعتناق ملكشاه نفسه لعقيدة الباطنية وتعاطفه معهم حينا من الدهر ٠

اما كتاب صبح الاعشى للقلقشندى ت ٨٢١هـ/١٤١٨م٠ فتتمثل اهميته ـ بالنسبة لبحثى ـ فيما اثاره حول وقوع خلاف بين الحسن بن الصباح واستاذه ابن عطاش مما تسبب عنه ـ حسبما يفهم من قصة القلقشندى هروب ابن الصباح الى القاهره ٠ ولقد ناقشنا على ضوء ما جاء في هذه القصة الدور الذى لعبته السريه او التقيه التى انتهجها الاسماعيلون في تحركات دعاتهم ٠ هذا فضلا عن دوره في توضيح بعض جوانب حياتهم العامه في قلاع الدعوة في بلاد الشام ٠

ثم اتعاظ الحنفا ، والخطط ، والسلوك للمقريزى سنة ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م . ويعتبر كتاب اتعاظ الحنفا وهو اوفى ما كتب فى تاريخ الدولة الاسماعيليه . وقد بدأه بذكر اولاد امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، وانتهى فيه الى عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م لذلك فهو يمثل اهم الموسوعات التاريخيه التى عالجت بدقه وامانه علميه تاريخ دولة من اهم واعظم دول الاسلام ... الا وهى الدولـه الفاطميه الاسماعيليه فى مصر . حتى غدا كتابه هذا هو المصدر الاصلى والاساسى لهذه الدوله . وقد كان لكتاب اتعاظ الحنفا اهمية خاصة لبحثى فيما افدته منه عن دور التخابر السرى الذى لعبته ام الافضل شاهنشاه فى مدينة القاهرة اثناء نشوب الحرب بين ابنها وبين نزار فى مدينة الاسكندرية اثر الخلاف الذى دب فى البلاط المستنصرى بسبب ابعاد نزار وتولية المستعلى . ومن الغريب انها نجحت كل النجاح فى تادية دورها هذا ، الامر الذى شكل خطورة كبيرة على انصار نزار فى مدينة القاهرة . وقد فصلنا ذلك كله عند مناقشة هذا الموضوع فى معالجتنا لقضيه الانشقاق الاسماعيلى فى القاهره . هذا فضلا عن معالجته لمشكلة النسب.

اما كتابه الخطط ، فهو يعتبر ثبتا زاخرا باحوال القاهره واخبارها وطرق المعيشة بارجائها الراسخة فى العصور الوسطى . على انه يلاحظ ان المقريزى اهتم فى كتابه هذا بكثير من اخبار الدعوة الاسماعيليه

وفصل كثيرا من مبادئها ، وان كان منهجه في ذلك لم يختلف كثيرا عن سلفه النويري ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م حيث اوضح كل منهما ان الدعوة الاسماعيليه بنيت على اساس تسع مراتب وذلك عكس ما ذكر الغزالي الذي اوضح انها سبع مراتب فقط. وقد اعتمدنا على الغزالي دون غيره في تفصيل ماسبق توضيحه في هذا الشأن.

على ان كتابه السلوك ، وهو يشكل تاريخا كاملا لدولتي الايوبيين والمماليك في مصر حتى عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠م. فانه من غير ما شك يحتل بحق مكان الصدارة وسط مؤلفات علم التاريخ في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). وقد لعب هذا المصدر الهام دورا رئيسيا في الوقوف على حالة الاسماعيليه في بلاد الشام على عهد الظاهر بيبرس ، حيث اوضح بجلاء مراحل تطور العلاقات السياسيه بين الظاهر بيبرس وبينهم حتى تم الاستيلاء على حصونهم في بلاد الشام.

كذلك اعتمدت على كتاب النجوم الزاهرة " لابي المحاسن عام ٨٧٤ هـ ١٤٦٩م والذي احتل صاحبه - على حد تعبير استاذنا المرحوم الدكتور محمد مصطفى زياده. مركز الصداره بين المؤرخين بمصر بعد وفاة المقريزي والعيني ، فانه يعتبر من اهم المصادر التاريخية لمصر والشام في العصور الوسطى. وقد امتاز بسهولة اسلوبه وعذوبته

مع دقة البحث والاستقصاء ، بعيدا عن الاستطراد الممل • فهو فى راى موسوعة تاريخيه شامله ومركزه • فضلا عن ذلك فقد غلب على صاحبه الذوق الرفيع ، فكان من امتع المصادر التى رجعت اليها •
وتتمثل اهميته بالنسبة لبحثى الوقوف على اسباب الخلاف الذى دب بين الافضل ونزار ، الامر الذى ترتب عليه ووقوع اخطر انشقاق فى صفوف الاسماعيليه فى مصر ، فكان بداية النهاية لهذه الدعوة ،
هذا فضلا عن اهمية هذا المصدر فى ازاحة الستار عن الاسباب الحقيقيه التى دعت الوزير المزدغانى الى التحالف مع اسماعيليه دمشق فيما بعد وقد فصلنا ذلك كله فى فصول البحث •

يضاف الى هذا كله كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى الذى يعتبر المصدر الرئيسى لتحركات المغول وسياستهم فى بلاد فارس واصفهان ثم فى بلاد الشام فيما بعد • هذا فضلا عن كتاب آل سلجوق للبندارى الذى كان له اهمية كبرى حيث يعتبر من المصادر الاساسية لهذه الفرقه على عهد السلاجقة العظام •

اما فى المجال العقائدى السنى فقد اعتمدت فى البحث على مصادر جاده من اهمها : مقالات الاسماعيليين للاشعرى ٣٣٠هـ/ ٩٤١م وهو من اوائل المصادر التى تحدثت عن الفرق الاسلامية المختلفة وقد رماهم جميعا بالرفض • فضلا عن ذلك فانه خلط بين الاسماعيلية

والقرامطه الامر الذى ترتب عليه الاعتقاد السائد ان الاسماعيليه هم القرامطه او على الاقل ، هم فرع منهم • ثم التنبيه والرد للملطى ت ٣٧٧ هـ/٩٨٧م • الذى يعتبر من اوائل المؤلفين فى شرح احوال الفرق • فلا ريب ان قلنا انه كان المصدر الاساسى للبغدادى ومن جاء بعده فمن تصدوا لهذا الموضوع الخطير • على انه يؤخذ على الملطى انه خلط بين الاسماعيليه وبين الاثنى عشريه

كذلك اعتمدت فى بحثى على كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م • ويعتبر البغدادى عمدة المؤلفين فى هذا الموضوع ، وان كنا ناخذ عليه اعتقاده ان الباطنيه ليست من فرق الاسلام واعتباره انها من فرق المجوس ، فضلا عن وصفه لهم بانهم دهريه زنادقه لميلهم ، حسب تصوره ــ الى استباحة كل مايميل اليه بالطبع • وسبب ذلك فيما نعتقد انه ذهب مذهب المؤرخين الذين خلطوا بين عقيدة الباطنية وتعاليم القرامطه •

ثم كتاب المستظهرى للغزالى عام ٥٠٥هـ / ١١١١م ، والمعروف فى الاوساط العلميه بفضائح الباطنيه • وترجع اهمية هذا الكتاب الى معاصرة الغزالى نفسه للحسن بن الصباح ، فضلا عن ارتباطه الوثيق بالوزير نظام الملك حيث عمل استاذا فى مدرسته النظاميه •

والغزالى هو اول واهم من تصدى للدعوة الجديدة فى مهدها ٠ فقد وقف على توضيح بيان القابهم والكشف عن السبب الداعى لهم على نصب دعوتهم ٠

كذلك يعتبر الغزالى من اوائل فقهاء وعلماء المسلمين الذين تصدوا لشرح عقائدهم فى الاليهات والنبوات والامامه وبيان مذهبهم فى القيامه الميعاد والتكاليف الشرعية ٠ هذا فضلا عن افساده لتاويلاتهم التى تنص على ان لكل ظاهر باطنا ٠ والواقع لقد بلغت شهرة كتابه هذا الافاق ٠ وان كنا نعتبر انه احد نتاج عصر الاسماعيليين اذ لولا الاسماعيليه ودعوتهم لما كان هناك ما يدعو الى وضع هذا الكتاب او مثله من مختلف المؤلفات السنية التى ساعدت من جانب اخر على ازدهار علم الكلام ٠ وهذا مما يؤيد راينا فى ان الاسماعيلية هم اصحاب الفضل الاول فى ازدهار هذا الفن من علوم المسلمين ٠

واعتمدت ايضا على كتاب الملل والنحل للشهرستانى عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م ٠ وموضوعه دراسة الاديان والمذاهب والفرق ٠ وهو يعتبر فريدا فى فنه ، فهو دائره معارف مختصرة للاديان والمذاهب والفرق بل للاراء والفلسفه ٠ ولقد نال من الشهرة قدرا عظيما فى الاوساط العلمية الشرقية والغربية على السواء ٠ وقد اختلف المؤرخون فى تحقيق تاريخ مولده ٠ ففى قول انه ولد عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤م وفى قول اخر عام

٤٦٩هـ/ ١٠٧٦ اما وفاته فكانت عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م . وعلى ذلك فيكون معاصر الاصحاب الدعوة الاسماعيلية الجديدة وهم في عنفوان شبابهم وشباب دعوتهم ايضا . اشترك كالغزالي في التدريس في المدرسة النظاميه في بغداد والتف حوله كثير من كبار العلماء وفقهائهم وقد شهد له كثير من علماء القوم انه كان من اهل الفلسفة الاسلامية الذين يستشهد برايهم .

وترجع اهمية هذا الكتاب الى ان صاحبه الفه بعد ان اكتملت مكانته العلميه ومكنته سنه من التجربه والتعمق في الامور وحسن الاستنتاج حيث قيل انه الفه بعد سن الاربعين . وقد امتاز الشهرستاني بالاستقصاء في البحث والتدقيق في الموضوعات التى تناولها . كذلك امتاز بالاعتدال في احكامه على اهل كل فرقة من الفرق التى تعرض لها . وكما قال هو عن نفسه " وشرطي على نفسي ان اورد مذهب كل فرقه على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم .

فضلا عن ذلك فقد اعتمدت في بحثي على كتاب بيان مذاهب الباطنيه وبطلانه للديلمي . وقد اوضح الديلمي في كتابه هذا بيان مذهب الباطنيه وساق الادله على بطلانه الامر الذى يجعلنا نضيفه الى مجموعة المصادر التى وقفت موقفا عدائيا من اصحاب الدعوة الاسماعيليه . وقد سبق ان ناقشنا بعض اراء الديلمي ازاء التجمعات الجماهيريه في الاسماعيليه . ذلك فضلا عن كتابي الافحام لافئدة الباطنية الطغام ، ومشكاه الانوار الهادمه لقواعد الباطنية الاشرار ليحيى بن حمزة

العلوى ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ م • فقد جاء الكتاب الاول في سبعة فصول عرفها المؤلف بالافحام • وكلها خاصة بمناقشة عقائدهم فيما يختص بالاليهيات والنبوه والامامه والعبادات ،وتاويل بعض ايات القرآن الكريم • اما كتابه الثاني فقد وضعه على اساس دحض اباطيلهم مبينا خلال عرضه لموضوعات الكتاب هدف الباطنيه ومقصدهم من تحريضهم الكتاب الكريم وتاويلهم لنصوص الشريعة الاسلامية على غير مدلولها •

اما في المجال العقائدى الاسماعيلى • فقد لعبت مصادر القاضى الاسماعيلى ابن جيون عام ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣م • دورا هاما في فهم جوانب الفقه الاسماعيلى • فبالنسبة لكتاب دعائم الاسلام فانه يعتبر المصدر الاساسى لتشريعاتهم وعقائدهم ، وذلك بسبب انه اول من دون فقه المذهب الاسماعيلى على عهد الخليفه المعز لدين الله ، اول الخلفاء الاسماعيليه في مصر • اما كتابه الهمه في اداب اتباع الائمه ، فموضوعه الاساسى يتصل بالامامة التى هى اهم عقائد الاسماعيليه • بل هى المحور الذى تدور عليه كل عقائد الشيعه بصفة عامه والاسماعيليه بصفة خاصة ، فلا دين عندهم لمن لايعتقد امامه الائمة المنصوص عليهم من اهل بيت الرسول الكريم صلى اللهعليه وسلم • وهذا مما يؤخذ عليهم في الاوساط الاسلامية السنيه بصفة عامه •

ذلك في الوقت الذى يعتبر كتابه رسالة افتتاح الدعوه من اوائل المصادر الاسماعيليه التى القت الاضواء على امرهام • ذلك هو انسلاخ الكثيرين عن الدعوة الاثنى عشريه وانضمامهم الى الاسماعيليه بسبب

(ت)

الشكوك التى ساورتهم فى قضية غيبة المهدى والمنتظر

هذا .... وان اعتبر القاضى ابن حيون هو مصدرهم الرئيسى فى الفقه الاسماعيلى ، فان الكرمانى صاحب كتاب راحة العقل يعتبر من ابرز واعمق الفلاسفة الدعاة والعلماء الذين انجبتهم الدعوة — الاسماعيلية والذين عنوا عناية خاصه بالاحوال والاحكام . ومما لاشك فيه انه كان ملما الماما واسعا بالوان العلوم العقليه المختلفة التى تتصل من قريب او بعيد بالعقائد الاسماعيليه . ويعتبر كتاب راحة العقل من اوسع الرسائل الاسماعيلية الفلسفية . بما تضمنه من اسوار ومشارع وعلوم ومعارف . وقد وضعه مؤلفه فى سبعه فصول عرفها بالاسوار . وتدور كلها حول العدد سبعه وهو العدد الذى لعب دورا له اهميته وخطورته فى الدعوة الاسماعيليه . هذا فضلا عما تحويه هذه الاسوار من فلسفة عميقة تدور كلها حول العالم العلوى وعلى اساس المفاهيم الاسماعيلية البحته .

كذلك اعتمدت على كتاب الذخيرة فى الحقيقة للداعى الاسماعيلى على بن الوليد علم ٦١٢هـ/ ١٢١٥م ، اذ يعتبر من اهم المصادر الاسماعيليه التى القت الاضواء على تسلسل الامامه فى الاسماعيليه مبتدئا بالامام على بن ابى طالب ، كرم الله وجهه ، دون الاعتراف بامامة موسى الكاظم ومن خلفه من ائمة الاثنى عشريه . وقد ركز تركيزا واضحا

على ما عرف عندهم بالمقول السبعة ومراحلها وتطوراتها فضلا عما يحويه من امثلة فلسفية حيه تختص كلها بالحديث في المبدأ والمعاد واصل الموجودات ونشأتهما طبقا لفلسفة العقائد الاسماعيلية.

هذا فضلا عن المجالس المستنصرية والسجلات المستنصرية ومجموعة الوثائق الفاطمية ولكلها لعبت دورا هاما في اجلاء كنه الدعوة الاسماعيلية في مختلف مراحلها . وكما امكننا بمعلومات غاية في الاهمية عن طريق نشر الدعوة الاسماعيلية ونظم الفاطميين في مصر. وكان لهذه الوثائق اهمية كبرى في اثبات ان الاسماعلية مصر — وعلى عهد الامر بالذات — هم اول من اطلقوا لقب الحشيشية على اسماعيلية الشام .

يضاف الى هذا العديد من المصادر الاخرى الهامه والمراجع الحديثه التي — لا انكر — انها امدتني بمادة تاريخية هامه.

وغاية مارجوه ان اكون قد وفقت في اضافة لبنة جديدة في لسلسلة الابحاث الاسماعيلية.

على ما عرف عندهم بالعقول السبعة ومراحلها وتطوراتها فضلا عما يحويه من امثلة فلسفية حيه تختص كلها بالحديث في المبدأ والميعاد واصل للموجودات ونشأتها طبقا للفلسفة العقائد الاسماعيلية •

هذا فضلا عن المجالس المستنصريه والسجلات المستنصرية ومجموعة الوثاق الفاطمية وكلها لعبت دورا هاما في اجلاء كنه الدعوة الاسماعيلية في مختلف مراحلها • كما امدتنا بمعلومات غاية في الاهمية عن طرق نشر الدعوة الاسماعيلية ونظم الفاطميين في مصر • وكان لهذه الوثائق اهمية كبرى في اثبات اسماعيليه مصر – وعلى عهد الامر بالذات عندهم اول من اطلقوا لقب الحشيشيه على اسماعيليه الشام •

يضاف الى هذا ، العديد من المصادر الاخرى الهامه والمراجع الحديثه وعلى راسها موضوعه الحركة الصليبيه لاستاذنا الجليل الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور • وقد لعب هذا المرجع الرئيسي دورا هاما وواضحا في تشكيل مادة البحث بما اضافه من مادة تاريخيه دسمة •

وغاية ما ارجوه ان اكون قد وفقت في اضافة لبنة جديدة في سلسلة الابحاث الاسماعيليهه •

(م)

ولا يفوتني في ختام هذا التقديم ان اشكر كل من عاونني بارائه او افكاره في سبيل اتمامه . واخص بالذكر استاذي الكبير الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة الذي تفضل مشكورا فغمرني بكريم عطفه وصادق معونته . حال اشرافه على هذا البحث .

والله تعالى ولي التوفيق ...

القاهرة في ٢٩ ربيع الاول ١٣٩٥هـ
١١ ابريل ١٩٧٥م

عثمان عبد الحميد عشري

الفصل الاول

الفصل الاول

نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الي بلاد الشام

نظرة عامه على حاله مصر في عهد المستنصر بالله • الشده العظمى مدخل هام للحكم الجمالي في مصر • موت المستنصر واثره في انقسام الدعوه • دور الافضل شاهنشاه في ذلك الصراع النزارى المستعلوى حول الامامه • مقتل نزار • انتصار المستعلى واثره في ظهور الدعوة النزارية في الشرق • الحسن بن الصباح مؤسس النزاريه • الدعوة في فارس واصفهان حصن الموت ودوره في نشر الدعوة في المشرق الاسلامى الاسماعيليه واغتيال الافضل شاهنشاه • مناقشة حول اغتياله وموقف الراى العام من ذلك الحادث • الاسماعيليه واغتيال الامر • مناقشة حول اغتياله وموقف الراى العام • راى الباحث في الحادثين • احمد بن عطاش وقلاع الاسماعيليه في عصر ملكشاه ونظام الملك • علاقة الحسن بن الصباح بنظام الملك وعمر الخيام • موقف نظام الملك من الاسماعيليه • اغتيال نظام الملك مناقشة وراى حول تقضية اغتياله • براءة الاسماعيليه من جريمة قتله • انتقال الدعوة الى بلاد الشام • موقف المستعلوية في مصر من النزاريه في بلاد الشام •

المستنصر بالله وانقسام الدعوة :

المدخل الطبيعي للكلام عن نشأة الاسماعيلية هو الاشارة الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وما حققته الدعوة في عهده من انتشار

ثم ما اصابها من انقسام . والخليفه المستنصر هو ابو تميم معـد . الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامـر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد اول الخلفاء بمصر[1] . ولد في السادس عشر من جمادى الاخره عام ٤٢٠ هـ الثانـى من يوليه عام ١٠٢٩ م وبويع بالخلافه بعد موت ابيه الظاهر لاعزاز ديـن الله ، يوم الاحد منتصف شعبان عام ٤٢٧ هـ[2] . ١٤ يونيو عام ١٠٣٦ م . ولم يتجاوز عمره وقتئذ سبع سنين وسبعة عشر يوما[3] . وظـل في الخلافة ستين سنة او اكثر . وكان كما اتفق جمهور مؤرخي العصـور الوسطى اطول الخلفاء عهد[4] . فلم تطل مدة احد من الخلفـاء مطلقا اكثر من المستنصر العبيدى[5] . ولم يدانيه احد في ذلـك من حيث المقارنة مع الفارق الا الخليفة العباسي الناصر لدين الله . الذى كانت مدة خلافته سبعا واربعين سنة الا شهر[6] . وقـد

١) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٤ ص١

٢) الذهبى : دول الاسلام ج ١ ص ٢٥٤

٣) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٩ ص١٥٤

٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص٣٢

٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص١٠٦

ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص٦٢

٦) ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٣ ص١٤٢

الفصل الاول

نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الى بلاد الشام

نظرة عامه على حاله مصر فى عهد المستنصر بالله • الشده العظمى مدخل هام للحكم الجمالى فى مصر • موت المستنصر واثره فى انقسام الدعوه • دور الافضل شاهنشاه فى ذلك الصراع النزارى المستعلوى حول الامامه • مقتل نزار • انتصار المستعلى واثره فى ظهور الدعوة النزارية فى الشرق • الحسن بن الصباح موءسس النزاريه • الدعوة فى فارس واصفهان حصن الموت ودوره فى نشر الدعوة فى المشرق الاسلامى الاسماعيليه واغتيال الافضل شاهنشاه • مناقشة حول اغتياله وموقف الراى العام من ذلك الحادث • الاسماعيليه واغتيال الامر • مناقشة حول اغتياله وموقف الراى العام • راى الباحث فى الحادثين • احمد بن عطاش وقلاع الاسماعيليه فى عصر ملكشاه ونظام الملك • علاقة الحسن بن الصباح بنظام الملك وعمر الخيام • موقف نظام الملك من الاسماعيليه • اغتيال نظام الملك مناقشة وراى حول تقضية اغتياله • براءة الاسماعيليه من جريمة قتله • انتقال الدعوة الى بلاد الشام • موقف المستعلوية فى مصر من النزاريه فى بلاد الشام •

المستنصر بالله وانقسام الدعوة :

المدخل الطبيعى للكلام عن نشأة الاسماعيلية هو الا ارة الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وما حققته الدعوة فى عهده من انتشار

ثم ما اصابها من انقسام • والخليفه المستنصر هو ابو تميم معـد • الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامـر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد اول الخلفاء بمصر (١) • ولد في السادس عشر من جمادى الاخره عام ٤٢٠ هـ الثانـي من يوليه عام ١٠٢٩ م وصبيح بالخلافه بعد موت ابيه الظاهر لاعزاز ديـن الله • يوم الاحد منتصف شعبان عام ٤٢٧ هـ (٢) • ١٤ يونيو عام ١٠٣٦ م • ولم يتجاوز عمره وقتئذ سبع سنين وسبعة عشر يوما (٣) • وظـل في الخلافة ستين سنة او اكثر • وكان كما اتفق جمهور مؤرخى العصـور الوسطى اطول الخلفاء عهد (٤) • فلم تطل مدة احد من الخلفـاء مطلقا اكثر من المستنصر العبيدى (٥) • ولم يدانيه احد في ذلـك من حيث المقارنة مع الفارق الا الخليفة العباسى الناصر لدين الله • الذى كانت مدة خلافته سبعا واربعيـن سنة الا شهر (٦) • وقـد

١) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٤ ص١

٢) الذهبى : دول الاسلام ج ١ ص ٢٥٤

٣) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٩ ص١٥٤

٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٢

٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص١٠٦

ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص٦٢

٦) ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٣ ص١٤٢

عبر السيوطى عن ذلك بقوله " لااعلم ان احدا فى الاسلام لاخليفة ولا سلطانا اقام هذه المده [٢] .

وقد امتد سلطان الاسماعيليين فى القسم الاول من عهد المستنصر على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقليه وشمال افريقيه . وكان يدعى له على كافة منابر البلاد الممتده من المحيط الاطلسى غربا الى البحر الاحمر شرقا فضلا عن صقليه واليمن والحجاز والموصل [٢] بل لقد دعى له فى بغداد ذاتها حاضرة العباسيين مدة تقرب من عام [٣] . ويعتبر ذلك فى الواقع امتدادا لمن سبقوه من خلفاء الاسماعيليين فى مصر [٤] . ولا ادل على ذلك من كتاب المعز لدين الله الى الحسن بن احمد القرمطى . فما من جزيرة فى الارض ولا اقليم الا لنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلون علينا ياخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا ويتشرون علمنا وينذرون باسنا ويبشرون ايامنا ...... بتصاريف اللغات باختلاف الالسن . [٥] .

---

١) السيوطى   تاريخ الخلفاء ص٢١٤

٢) ابن كثير   البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٢١

٣) ابن الجوزى   المنتظم ج ٨ ص ٢١٠

٤) ابن اياس   بدائع الزهور ج ١ ص٥٩

٥) المقريزى   اتعاظ الحنفا ج ١ ص١٩٦

ويبدو ان مصر تمتعت في ذلك الدور بقدر وافر من الرخاء ، الامر الذى يشهد عليه الرحالة ناصر خسر والذى زار البلاد في صفر عام ٤٣٩هـ اغسطس عام ١٠٤٧م • اذ وصف ثروة البلاط الاسماعيلى وابهته وما كانت عليه القاهره في ذلك الوقت من يسر ورخاء • (١) •

غير ان هذا الرخاء لم يستمر طويلا • اذ اخذ نفوذ الاسماعيليين ينكمش رويدا ورويدا بسبب الغلاء الذى عم البلاد (٢) • فانشلت الاداه الحكومية تماما وهجر الناس الارض فتحولت الى خراب (٣) • وقد استمر سبع سنين ٤٥٧ هـ ٤٦٤هـ - ١٠٦٤-١٠٧١م فعم الغلاء مع وباء شديد فاقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل فلا يجد من يزرع (٤) مما ادى الى فساد الحال مع كثرة الموتى (٥) • وكان ذلك الوباء فريدا في نوعه لطول مدته وسوء اثره حتى اطلق عليه اسم " الشدة العظمى (٦) • الامر الذى اعجز الخليفة عن ضبط الامور في البلاد (٧) • فاضطر الى استدعاء والى عكا بدر الجمالى عام ٤٦٥ / ١٠٧٣ وعهد اليه بالوزارة (٨) • وبتوليه

---

١) ناصر خسرو الرحله ٤٦ - ٤٨

٢) د • سعيد عاشو مصر في العصور الوسطى ص٢٢٤

٣) المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٥٥

٤) المقريزى الخطط ج ١ ص ٦٣٣

٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣١٨

٦) د • سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٠٤

٧) المقريزى : اغاثه الامه ص٢٤ - ٢٦ سيد امين علي روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٢

٨) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ١٣

بدر الجمالى لمقاليد الامور فى البلاد عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م تبـــدأ صفحة جديده من صفحات الحكم الاسماعيلى فى مصر وفى بلاد الشام . فساس الامور احسن سياسه " وكان وصوله اول سعاده المستنصر واخـــر قطوعه [١] .

والذى سيهمنا فى هذا المجال هو الدور الذى لعبه بيت الجمالـــى فى انقسام الدعوة الاسماعيليه الى فرقتين : فرقة نزاريه تطعن فـــى امامه المستعلى وفرقة ترى صحة خلافته [٢] وقد ترتب على تولية بـــدر الجمالى لامور الوزارة اضمحلال سلطة الخلافة ونفوذها بظهور نفوذ الوزراء العظام الذين سيطروا على مقاليد الحكم [٣] . فلم يكن للمستنصر ومن بعده من الخلفاء سوى الاسم فقط الا تيلاء وزرائهم على الامور وحجرهم عليهم وتلقبهم بالقاب الملوك فكانوا معهم كخلفاء بغداد مع بنى بويه واشباههم [٤]

وقد تولى الوزارة فى اواخر عهد المستنصر بالله بعد ان وفى بدر الجمالى عام ٤٨٧ / ١٠٩٤ ابنه الافضل [٥] . وتتمثل اهمية الافضل فـــى انه

---

١) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٠
ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨٩
٢) المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٥٦
٣) د . سعيد عاشور ـ ـ ية الدولة الناـ ـ ـمية ج ص ١٧
٤) السيوطى حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٠٩
٥) ابن ايبك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٩

لعب دورا هاما وخطيرا فى الانقسام السابق الاشارة اليه[١] • وذلك انه عندما توفى المستنصر بالله ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة عام ٤٨٧ هـ ٢٩ ديسمبر ٢٠٩٤ بادر الافضل بن امير الجيوش الى القصر فاجلس ابنه ابا القاسم احمد ٤٨٧ ـ ٤٩٥ هـ = ١٠٩٤ ـ ١١٠١م (لقب المستعلى بالله امير المؤمنين)[٢] • ثم بعث الى نزار وعبد الله واسماعيل ابناء المستنصر • فلما جاءوا يستطلعون الخبر تبين لهم ان الامر قد اسقط فى ايديهم وعليهم ـ كما طلب اليهم الافضل ان يتقدموا فيقبلوا الارض المتعالى ولمولانا المستعلى ويبايعوه • فهو الذى نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافه من بعده[٣] • ولما كان الامر بمثابة مفاجاة لهم فقد امتنعوا عن ذلك بحجة ان والدهم كان قد وعد كلا منهم بالخلافة[٤]

اما نزار فهو الابن الاكبر الذى كان والده قد ولاه العهد من بعده[٥] • حيث كان قد عهد بالامر الى ولده نزار ، فخلعه الافضل بن بدر الجمالى بعد موت ابيه وامر الناس فبايعوا احمد بن المستنصر اخاه ولقبه بالمستعلى[٦] • وقد اعلنها صراحة " ولو قطعت ما بايعت من هو اصغر سنا منى وخط الدى عندى بانى ولى عهده وانا

١) ابن الاثير الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٨١
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. 83
٢) سبط ابن الجوزى مراة الزمان ج ٨ ص ٢ ـ ٣
سيد امين على روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٤
٣) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٥
٤) المقريزى الخطط ج ١ ص ٤٢٢
٥) د • سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٠٨
٦) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٨

احضره[١] • وكان عليه بالطبع ان يفهم ان ذلك كله من عمل الافضل فتعين عليه ان يحدد موقفه من تلك اللعبه • فخرج مسرعا كى يحضـــر العهد الذى ذكره محتنا " عندى الخط من المستنصر بولاية العهد لــى وانا اتيكم به • وخرج لياتيهم بذلك فاستخفى وطلب فلم يوجد الــى ان ظهر امره بالاسكندرية وادعى الخلافة[٢] • فلم يقف الافضل على اثـــر له حينما بعث اليه يتعجل الامر فانزعج على حد وصف المقريزى " انزعاجا شديدا[٣] •

وقد علل كثير من المؤرخين ان سبب حقد الافضل على نزار وكراهته له ، ومحاولة ابعاده عن منصب الخلافه هو تعالى نزار على الافضل وزير ابيه وازدرائه اياه[٤] • ذلك ان نزارا اخرج ذات يوم فى حياة ابيـــه فاذا الافضل ممتطيا ظهر جواده وقد دخل من حد ابواب القصر يعرف بباب الذهب ، فصاح به نزار ان " انزل يا ارمنى يانجس[٥] • فحقدهـــا

---

١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١١
الخطط ج ١ ص ٤٢٢

٢) ابن ابيك كنز الدرر ج ٦ ص ٤٤٣ ــ ٤٤٤

٣) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١١

٤) ابن الاثير الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٨٢

٥) ابن المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢

الافضل وصار كل منهما بكره الاخر[1] • فضلا عن ذلك فان الافضل كان يعارض نزار ايام ابيه ويستخف بد ويضع من حواشيه واسبابه[2]

ولكن يبدو ان كراهة نزار الافضل كان مبعثها الحقيقي ازدياد نفوذهم على عهد ابيه وخشيته ان ظل ذلك النفوذ مستقبلا على حالة اذا ما تولى هو الامامه من بعده • وبذلك قد تصبح مصر جمالية المطابع كما كانت بغداد برمكيته من قبل[3] • وقد صدقت نبوءة نزار في ذلك • حيث قام الافضل بتنظيمات اداريه ترتيب عليها نفي بني عبد القوى الذين تولوا وظيفة مولى الاسماعيليه منذ فجر العهد الاسماعيلي في مصر[4] • فضلا عن سيطرته الكامله على المستعلى " فلم يكن له مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ كلمة[5] • وكذلك الامر من بعده الى حد ضاق معه ذرع الامر به الامر الذى ادى به الى التخلى منه •

---

1) Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism . P . 5

٢) المقريزى الخطط ج ١ ص ٤٢٢

٣) استطاع البرامكه التغلغل في اعماق العباسيين حتى ان الرشيد كان يقول ليحيى يا ابت ولا بنيه الفضل وجعفر يا اخوتى : ابن خلكان وفيات الاعيان ١ /١٩٧، ٥/ ٢٦٥ ــ ٢٧٣ •

٤) المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٩٠

٥) المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦ •

يدلنا على ذلك تطلع امير الجيوش بدر الجمالي نفسه الى محاولة فرض وصايته على المستنصر من قبل • فحينما استدعاه المستنصر لتولى الوزارة بالقاهرة اقبل على الفور فدخلها عشية الاربعاء ٢٨ جمادى ه الاخره عام ٤٦٦ هـ ٣١ يناير عام ١٠٧٤ (١) • فعقد يوم وصوله مجلسا عظيما عاما اجتمع فيه ـ على حد تعبير ابن ابيك ـ اكثر الناس فاستفتح القارئ (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ ولقد نصركم الله ببدر) (٢) • فغضب المستنصر لذلك غضبا بالغا حتى انه هدد القارئ معلنا لو اتم الاية امرت بضرب عنقه (٣) • ولا يبعد ان يكون ذلك من تدبير امير الجيوش نفسه او بعض انصاره في البلاد ولقد تمتع بدر الجمالي باهم المناصب بالدولة على عهد الخليفه المستنصر " فكان وزير السيف والقلم واليه قضاء التقدم على الدعاه وكان يلقب بامير الجيوش (٤) • وطال حكمه احدى وعشرين عاما (٥) •

لذلك لا غرابة في ان يماطل الافضل في موافقته المستنصر على اخذ البيعة لابنه نزار حتى لحظة وفاته • ويذكر التاريخ ان المستنصر كان

---

١) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٣١٢
٢) سورة ال عمران اية ١٢٣
٣) ابن ابيك كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٩
٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٠
٥) Huart:Hist. des Arabes. Tome I.P. 348

قد اجلس ابنه ابا المنصور نزار لانه اكبر اولاده وجعل اليه ولايه العهد من بعده[١] . فلما قربت وفاته اراد ان يأخذ البيعه على رجال دولته فتقاعد له الافضل شاهنشاه ودافع المستنصر من يوم الى يوم حتى مات[٢] . بسبب انه كان بينه وبين نزار كراهية " وكان في نفس كل منهما مباينه من الاخر[٣] .

فلما مات المستنصر اجتمع الافضل ٤٨٧ - ٥١٦ هـ = ١٠٩٤ - ١١٢٢م بالامراء وكبار رجال الدوله واثار في نفوسهم الخوف من نزار كما اشار عليهم بتولية اخيه الاصغر ابى القاسم احمد[٤] . فوافقوا على ذلك فيما عدا محمود بن مصال اللكى[٥] . احد انصار نزار الذين كان قد وعدهم بمنصب الوزارة والتقدم على الجيش بدلا من الافضل في حالة اذا ما آل اليه امر الخلافه[٦] . ولكن الافضل - بفضل من اجتمع حوله من القواد والامراء وبعض افراد البلاط المستنصرى - لم يعبأ وبايع لابى القاسم احمد ولقبه بالمستعلى بالله وكان ذلك بكرة الخميس لاثنى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة عام ٤٨٧ هـ ٢٤ ديسمبر عام

١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٨٢
المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣٢ ص ١١

٢) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢

٣) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢

٤) سبط ابن الجوزى مراة الزمان ج ٨ ص ٢

٥) بالضم وتشديد الكاف: نسبه الى لك بلده من نواحى برقه بين الاسكندرية واطرابلس الغرب: ابو المحاسن : النجوم الزاهرة حاشية ١ ص ١٤٢ من الجزء الخامس.

٦) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢

عام ١٠٩٤م [١] . واجلسه على سرير الملك ، او بمعنى اخر سرير الخلافه [٢] . ثم جلس الافضل على دكة الوزارة فحضر قاضي القضاه على بن نافع وبين الكحال والشهود معه واخذوا البيعه على مقدمي الدوله ورؤسائها واعيانها [٢] .

لم يكتف الافضل بذلك . فاخذ له البيعه على بقية افراد الاسرة وعلى الفور اصدر الافضل بذلك سجلا اقراه على رؤوس القواد الشريف سناء الملك محمد بن محمد الحسيني الكاتب بديوان الانشاء [٣] .
ذلك في الوقت الذى كان نزار قد وصل الى الاسكندرية صحبة اخيه عبد الله وابن مصال حيث استقبلهم واليها افتكين التركي — احد مماليك بدر الجمالي [٤] — فبايعه وبايع معه اهل الاسكندرية وعلى راسهم ، القاضي جلال الدولة بن عمار [٥] . فخطب الناس ولعن الافضل ولقب

---

١) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص١٢٨
Grousset; Hist. des croisades. vol. I.P.83
٢) سرير الخلافة هو كرسي العرش في لغة العصر الحديث (الباحث) .
٣) المقريزى اتعاظ الحنفا ج٣ ص١٢
٤) المقريزى اتعاظ الحنفا ج٣ ص١٢
٥) كان من اكابر الغلمان الجيوشيه الذين عول عليهم امير الجيوش على اقامته في الامر من بعده . فاستحكم الخلاف بينه وبين الافضل وانتهى الامر بقتله : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص١٢٨ .

نزار بالمصطفى لدين الله " (١) • ويقال ان ذلك اللقب منحه اياه اسماعيليه الموت الذين نادوا بامامته فيما بعد (٢) •

تعين على الافضل ان يتابع مسيرته ضد نزار • وهو الذى التف حوله اكثر من ثلاثين الف فارس وراجل ـ كما ورد فى كتاب ام المستعلى للسيده الحره صاحبة اليمن (٣) • فخرج فى عام ٤٨٨ هـ : ١٠٩٦ على راس جيش كبير نحو مدينة الاسكندرية حيث دارت بين انصار كل من الفريقين معركة ضاربة خارج المدينة كانت الكسرة فيها على الافضل (٤) • فرجع بين معه الى القاهرة (٥) ـ لكنه كان لابد امن اعادة الكره لقتال نزار • والا لكانت القاهره وجهتهم هذه المره ولفشلت كل جهوده فتصبح اماله هباء منثورا • فخطط لحملته المقبله فاستمال الافضل بعض انصار نزار من العربان بما حمله اليهم من الاموال وما وعدهم به من الاقطاعات وغيرها (٦) ثم خرج ليلتقيا مرة ثانية خارج مدينة الاسكندرية حيث دارت الهزيمة على نزار وانصاره بسبب من انفض من حوله من العربات يضاف الى ذلك ان ابن مصال نفسه فر الى بلاد المغرب (٧) • وكان سبب فراره

١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٨٢
Defremery Essai sur l'Hist. du Ism. P. 56
٢) ابن ايبك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٤٤٤
٣) السجلات المستنصرية ص ٢٢٥
٤) المقريزى الخطط ج ١ ص ٤٢٢
٥) سبط ابن الجوزى مراة الزمات جـ ٨ ص ٢
٦) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤
٧) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧

فيما يقال انه راى فيما يرى النائم وكأنه ركب فرسا وسار والافضل يمشي في ركابه فقيل له تفسيرا لهذه الرؤيا • ان الماشي على الارض املك لها (١) • فبيت في نفسه امرا فهرب من ميدان المعركة •

وبفرار ابن مصال وغيره ضعفت الجبهة النزاريه في مدينة الاسكندرية فطلب كل من نزار وافتكين الامان من الافضل فامنهما • ودخل البلد فتم القبض على نزار ورفيقه افتكين وعلى الفور بعث بهما الى القاهرة على انه يؤخذ على الافضل عدم وفائه بامانه لنزار وصاحبه (٢) • فقتلا بالقاهرة شر قتله (٣) • كما قتل من اتباعه في الاسكندرية عدد غير قليل ويعتبر مقتل نزار في الواقع بداية لنهاية اسماعيليه مصر لتظهر في ثوب جديد كقوة لها وزنها وخطرها ولكن في مكان بعيد ••••• في بلاد الشرق (٤) •

---

١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧

٢) يفهم مما جاء في السجلات المستنصرية ان افتكين حاول الفرار قبل القبض عليه : السجلات ص ١٦ •

٣) المقريزي الخطط ج ١ ص ٤٢٣

Grouset :Hist . des croisades, Vol. I. P. 145

٤) Ivanow. Studies in early Persian Ism. P. 25 - 26.

والجدير بالذكر ان الافضل لم يتتبع نزار في الاسكندرية فحسب ، بل اقتفى اثار انصاره في القاهره . مما يدل على ان تخطيطا واسعا وضع للقضاء على حركته نهائيا في مصر . فكانت امه تخرج كل يوم فتطوف وهي متنكرة في الاسواق وتدخل يوم الجمعه الى المساجد فتزور المشاهد المختلفة والربط تستعلم خبر ولدها ولتقف على اعوانه من اعدائه . فكانت تخرج في هيئة امراة عاديه تحكي لمن يصادفها من التجار ورجال الدين وارباب الحرف المختلفة ماساه ابنها — المزعوم بطبيعة الحال — والذى حمله الافضل غصبا لقتال نزار معلنة في الناس . ولدى في المعسكر مع الافضل . الله تعالى ياخذ لي منه الحق ، ما فعل خيرا وانا ما انام خوفا على ابني " (١) . فمن ساء خطه مثل " الفار السيوفي " وعلى بن بابان الحلبي — وهما من انصار نزار — ذهب معها في لعن الافضل وسبه متمنيا على الله كسرته راجيا له الهزيمة ، فقد لقى حتفه على باب حانوته فور انتصار الافضل وعودته الى القاهرة . واما من اسعده الحظ عارضها في قولها متمنيا النصر للافضل ومن معه ، فكان نصيبة الخير والاسعاد . امثال ابن سعد الاطفيحي صاحب مسجد ابي طاهر الذى نال من الخير مالم ينله احد من قبل (٢) .

---

١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٥ — ١٦

٢) من تجار القاهرة في ذلك الوقت .

وكيفما كان الامر . فقد ادى مقتل نزار الى انقسام الاسماعيلية الى فرقتين : مستعلوية ونزارية[١] . فاما انصار المستعلى بالله فقد ساقوا الامامة الى المستعلى بالله ابى القاسم احمد سادس خلفائهم بمصر. وعرفوا فيما بعد بالمستعلوية او اصحاب الدعوة المهدية الفاطمية [٢] . ويعيش اتباعهم اليوم فى غرب الهند وشرقه افريقيا حيث نزحوا من بلاد الهند . كذلك يوجد عدد منهم فى اليمن ويعيشون فى نفس الوقت فى مجموعات تعمل فى التجارة فى اواسط اسيا ويعرفون بالاسماعيلية[٣] .

اما النزاريه فقد ساقوا الامامة الى نزار[٤] . واليه تنسب ملوك الاسماعيلية اصحاب الدعوة ارباب قلعة الالموت ومعها من القلاع فى بلاد العجم[٥] . وهم يقولون ان الامامة انتقلت بعد المستنصر الى ابنه نزار بالنص من ابيه دون ابنه المستعلى . ويستندون فى ذلك الى ان الحسن بن الصباح حينما جاء الى مصر فى خلافه المستنصر بالله استقبله خليفة البلاد على الرحب والسعه فاكرمه وامره بادعاء

١) القلقشندى صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٦
٢) ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٩
٣) Defremery: Essai sut l 'Hist. des Ism. P. 57
Ivanow: A Guide to Ism. Lit. P.7
٤) ابن فضل الله العمرى التعريف بالمصطلح الشريف ص١٥٧
Lewis Assassins of Syria. P.574.
٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص١٦١

الناس الى امامته . فسأله ابن الصباح : من الامام بعدك ؟ فقال المستنصر " ابنى نزار "(١) . فعاد ابن الصباح من مصـــر الى الشام فالجزيرة وديار بكر فبلاد الروم حتى ادخل خراســـان فعبر الى ماوراء النهر وهناك فى الشرق اخذ يدعو الى امامة المستنصر وابنه نزار من بعده(٢) . ويقال انهم عرفوا بالصباحية(٣) . الا انهم لم يشتهروا بذلك حيث لم يستخدم هذا اللقب بعد . ويستقر هـــذا الفرع حاليا فى سوريه جنبا الى جنب مع النصريه والدروز ويعرفون بالاسماعيلية ايضا(٤) . اما من يعيش منهم فى ايران وحول خراسان وكرمان وفى افغانستان وفيعرفون بالاغاخانيين(٥) . نسبة الـــى زعيمهم الاكبر اغاخان وبقتل نزار قلت حدة الخلافات الداخليـــة التى عاقت خلافه المستعلى وقد ظن الافضل وسيده ان الامـــر قد استتب لهما فى البلاد وان البيعة انتظمت لامير المؤمنـــين

---

١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧

٢) القلقشندى صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٦

٣) الدهلوى مختصر التحفه الاثنى عشريه ص ١٩

٤) وكان الدروزهم اول من استقر فى هذه المنطقة حوالى عام ٤٢٣ هـ . ١٠٣١م / محمد كرد على : خطط الشام ١/١/٢

٥) Lvanow: A Guide to Ism. Lit P.9

على اجمل القضايا والاسباب ودخل الناس فيها افواجا من كل باب بحسن سياسة السيد الاجل الافضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المسلمين(١) .

الا انه فى لحظة عقوه جاء الخطر هذه المرة من الشرق حيث كان يعيش الحسن بن الصباح الذى قاد الحركه المضاده لخلافة المستعلى ومن بعده فى بلاد فارس وخراسات والشام(٢) . والتى كان من أهم نتائجها ان قامت فرقة اسماعيليه جديدة على مسرح التاريخ عرفت فيما بعد " بالنزاريه اوبالدعوة الجديدة(٣) . ولقد دفع الافضل حياته ثمنا لطموحه . فلم يكد يمضى على حركته هذه بضع سنين قليلة حتى وثب عليه ثلاثة من الباطنيه فاردوه قتيلا فى رمضان عام ٥١٥ هـ ـ ديسمبر عام ١١٢١م(٤) . وان كان الراى العام فى مصر حينذاك قد الصق تهمة قتله بالخليفة الامر(٥) . حيث يقال ان الامر وافق المامون على قتله فرتب له من قتله(٦) .

١) السجلات المستنصرية ص ١١٧
٢) Guyard: Un grand maitre P. 19 - 20
٣) الشهرستانى الملل والنحل ص ٤٣١
Defremery Essai sur l'Hist . du Ism. P.71
٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٦
٥) ابن الوردى تاريخ ابن الوردى ج ٢ ص ٢٨
سيد اوبر على روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٤
٦) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٦٨

ذلك فى نفس الوقت الذى يفهم من قول صاحب المراه ان الباطنيه انما استخدموا كوسيلة من جانب الامر والمامون للخلاص منه • وكان الامر قد استوزر ابا عبد الله محمد بن فاتك الذى عرف بابن البطائحى " فقيل انه هو الذى دبر قتل الافضل وان اللذين قتلاه كانا من الباطنيه[١] • اما ابن القلانس فانه يلقى ضوءا من نوع اخر على هذه القضية • فيقول " ان قتله كان فى شوال عام ٥١٥ هـ ثاتى عيد الفطر بامر رتب له ودبر عليه الى ان امكنت الفرصه منه وقد كان على غاية من الاحتراز والتحفظ بانواع السلاح والخدم والغلمان والعبيد بايديهم السلاح فوثب عليه رجلان فضرباه ضربات سقط منها عن جواده الى الارض وحمل الى داره وبه رمق فمات من يومه وادعوا ان الباطنيه قتلته[٢] • ثم اضاف قائلا : وليس بصحيح[٣] وقد وصفه المؤرخين بانيه كان حسن الاعتقاد سوسا حميد السيره مؤثر العدل كريم الاخلاق صادق الحديث • لم يات الزمان بمثله ولاحمد التدبير عند فقده[٣] •

وكان الامر قد تولى الخلافة فى عهد الافضل وهو طفل له خمس سنين فحجر عليه •[٤] • كذلك يقال انهم صوبوا نفس السهام نحو الخليفة الامر نفسه ٤٩٥ ـ ٥٢٤ = ١١٠١ ـ ١١٣٠م فاردوه •

١) سبط ابن الجوزى : مراة الزمان ج ٨ ص ١٠٥
٢) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص
٣) ابن القلانس نفس المصدر والصفحة
٤) سبط ابن الجوزى مراة الزمان : ج ٨ ص ١٠٥

قتيلا في يوم الثلاثاء الرابع من ذى القعدة عام ٥٢٤ هـ ٩ اكتوبر عام ١١٣٠م[١] . وان كان ابن ابيك قد اتهم بنى عم البطائحى بذلك وقيل ان الذين دبروا فى قتله بقية من عترة محمد بن فاتك[٢] . الذى كان قد قبض عليه وامر بقتله . وكان قد تولى امر الوزارة اثر مقتل الافضل . كما ان ابن خلكان نفسه نفى عن الاسماعيلية تهمة قتله[٣] . ذلك فى الوقت الذى نجد ابن الجوزى يحدد هوية القتلة " فهجم عليه عشرة غلمان من غلمان الافضل فقتلوه[٤] . وعلى ذلك يصبح الاسماعيليون ابرياء من تهمة اغتيالهما .

الحسن بن الصباح مؤسس النزارية :

اما مؤسس فرقة الاسماعيلية النزارية فهو الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميرى . وقد عرفت هذه الفرقة باسماء ثلاثة . ففى بلاد الشام عرفوا باسم الحشيشية . ومن كان منهم

---

١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠

٢) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٩

٣) ابن ابيك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٥٠٥

٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٨٤ — ٣٨٥

بقلعة الموت يقال لهم الباطنيه او الملاحده . اما من كان منهم بخراسان فيقال لهم التعليمية ، وكلهم اسماعيلية [1] .

ويقال عن الحسن بن الصباح ـ الموٴسس الاول للنزاريه ـ ان والده كان قد هاجر من اليمن الى بلاد اصفهان [2] . وان الحسن نفسه كان قبل اعتناقه لمذهب الاسماعيليه ، اثنى عشرى المذهب [3] الا انه لما سرى الملل فى نفوس بعض اتباع المهدى المنتظر لطول انتظارهم لظهوره ـ ودون جدوى ـ ذلك فى الوقت الذى يشاهدون فيه عن كثب امام الجناح الاسماعيلى صورة حيه تتحرك لترعى شئون الدعوة . ولا شك فى ان هذا العامل بجانب عوامل البذل السخاء والاغراء الذى اتسمت به الدعوة الاسماعيليه كان سببا فى انضمام الكثير من دعاة الاثنى عشريه وانصارهم الى صفوفهم [4] . وعلى راس هوٴلاء كان الداعى ابو القاسم حسن بن فرح بن حوشب منصور اليمن ، وعلى بن الفضل . وهما اصحاب الفضل الاول فى نشر الدعوة فى بلاد اليمن [5] . ثم من

---

١) سيد امير على روح الاسلام ج ٢ ص ٢٢٢
Ivanow A guide to Ism. Lit . P. 10L

٢) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨

٣) ا ٠ج اربرى تراث فارس ص ١٢١

٤) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٢٤٨
Kalami Pit. P. XiX.

٥) ابن حيون رسالة افتتاح الدعوة ص ٤٦ ـ ٤٧

بعدهما الداعى ابو عبد الله الشيعى مؤسس دولة المهدى الاسماعيلى فى بلاد المغرب حيث قامت لاول مرة فى التاريخ خلافه اسماعيليه تقف على قدم وساق مع الخلافة العباسية فى بغداد • كان ذلك عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م [1] •

وهكذا تحول الكثيرون الى الاسماعيلية • وكان الحسن بن الصباح من اوائل المتحولين الى ذلك المذهب المتمثل فى امام حى يرزق قد يصل اليه ويحظى برؤياه من تعميق فى اصول الدعوة واخلص لها وعمل من اجلها • ويؤثر ان الحسن بن الصباح كان قد اصيب بمرض خطير شارف بسببه على الهلاك فنذر ان هو برئ من مرضه ليعتنق على الفور مذهب الاسماعيليين • وقد صدق النيه فوفى بنذره [2] • وقد دفعه الى ذلك كانت هذه الدعوة عند ظهوره رائجه فى بلاد فارس واصفهان • وذلك بفضل جهود الداعى ناصر خسرو [3] • فتمكن ابن الصباح من استغلال الفرصه خير استغلال فى تدعيم نفوذه وتقوية شان اتباعه • وكان ذلك فى الوقت الذى تصفت الدعوى للاثنى عشريه فى تلك الاقاليم ـ فيما يعتقد ـ بالضعف والفتور • فلم تستطع الصمود امام

---

١) د • سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ١٨٣ ـ ١٨٤

٢) Defremery: Essai sur l'Hist. P.65

٣) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P.109

التيار الاسماعيلى الجارف. فضلا عن ذلك فانه يفهم من كلام ابن كثير ان اصفهان بالذات كانت حقلا واسعا وخصبا لتنمية الفكر وتفريخ المذاهب المختلفة بسبب هروب كل اللاجئين من تعسف الحكم اليها (١) . يؤيده البندارى فى ذلك (٢) .

ويبدو ان الجناح الاسماعيلى كان اكثر انشاطا واعظم طموحا من بنى عمومته اصحاب الاثنى عشريه وهم اولئك الذين قنعوا ببعض المناصب الدينيه او الدنيويه كامارة الحج ونقابة الطالبين فى بغداد وتحت ظل الحكم العباسى وهى تلك التى لم ترض غرور الاسماعيلين . وقد لازمهم ذلك المبدأ حتى فى الوقت الذى دهمتهم الاخطار المحدقه بهم على يد اعدائهم من اهل السنه او من غيرهم من الصلبيين والتتار.

يعتبر عهد الموت جزء لا يتجزأ من تاريخ بلاد الفرس فى عصرها الوسيط سواء من الناحية السياسه او الاجتماعيه او الاقتصادية (٣) . بل انه فى تصورنا ـ جزء لا يتجزأ من تاريخ الحركات السياسية والدينية

---

١) ابن كثير البداية اوالنهاية ج ١٢ ص ٢٤٩

٢) البندارى تاريخ آل سلجوق ص ٨٨ ـ ٩٠

٣) Ivanow: studies in Early Pers. Ism. P. 23 - 24

والاقتصادية التى لعبت ادوارا هامه فى التاريخ الاسلامى بصفة خاصة ، والتاريخ العام بصفة عامه ، ولازال الاسماعيليون يشغلون بال الكثيرين من الباحثين فى مختلف اللغات والذين جندوا انفسهم لمثل تلك الموضعات الهامة التى غيرت كثيرا من فى مجرى التاريخ الانسانى كله .

وكيفما كان الامر فقد ادى انضمام الحسن بن الصباح الى المذهب الاسماعيلي الى تغيير اسلوب حياته كلية مما جعله يتحمس لمذهبه الجديد [1] . الامر الذى احدث ثورة متعدده الجوانب لا تزال جذوتها مشتعله حتى اليوم [2] . ولقد برع الحسن ـ الذى بدأ حياته كاتبا للامير عبد الرازق بن بهرام [3] . فى قيادة الدعوة الاسماعيلية فى بلاد فارس واصفهان فى ذلك [4] . الوقت . مما اثار سخط السنيين عليه وانتباههم له والوقوف منه موقفا مضادا .

ومع انه كان قد تولى بعد ذلك احد المناصب المرموقه فى البلاط السلجوقى . الا انهم اخذوا يضعون العراقيل فى طريقه حتى طرد من عمله .

---

١) د . طه شرف دولة النزاريه ص٤٧

سيديو تاريخ العرب العام ص ٢٣٠

٢) Guyard: Un grand maitre . P. 24

٣) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ١٢١

٤) دونالد ولبر تاريخ ايران ص ٢٤٢

على ان طرده من عمله هذا ادى الى تفانيه فيما كان فيما كان يرنو اليه وهو خدمه امامه ومذهبه الجديد • فاثار بسلوكه ازاء الدعوة ورؤساء او دعاة الاسماعيلية فى خراسات واصفهان •
فما زال بهم او ما زالوا به حتى عملوا على ارساله الى القاهرة (١) فصار الى مصر وتلقى من دعاتهم المذهب وعاد داعيه القسوم وراسافيهم وكان ذلك فى غضون عام ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م (٢) • ابان خلافة المستنصر بالله الاسماعيلى • وقد جاء فى ذى تاجر الى المستنصر بالله وخاطبه ى اقامة الدعوة له بخراسات وبلاد العجم فاذن له فى ذلك فعاد ودعا اليه سرا (٣) •

وقد اشار القلقشندى الى قضية هامه حول اسباب مجىء ابن الصباح الى مصر • فحواها وقرع خلاف بينه وبين شيخ الجبل الاول احمد بن عطاش • مما اضطره الى الفرار لمصر خوفا من بطشه • وكان الحسن بن الصباح ـ كما ذكر القلقشندى ـ من تلامذة احمد بن عطاش صاحب قلعة اصبهان والموت • (٤) • وكان شهما عالما بالتعاليم

١) عمر ابو النصر قلعة الموت ص ٢٤

٢) ابن الجوزى تلبيس ابليس ص ١١٠
المنتظم ج ٩ ص ١٢١

٣) Kalami Pir. P. Xiλ
Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 66

٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ١٥٤ ـ ١٥٥
يلاحظ انه وقع تباين بين المؤرخين العرب والاوربيين حول موعد حضور ابن الصباح للقاهرة • وقد اوضحنا ماذكره ابن ميسر فى الصفحات التالية الباحث •

والنجم والسحر . فاتهمه ابن عطاش بالدعوة للفاطميين خلفاء مصر فخاف وهرب منه الى مصر فى خلافة المستنصر فاكرمه وامره بدعاء الناس الى امامته(١) .

على اننا نرى ان اتهام ابن عطاش لابن الصباح بانه من دعاة الفاطميين كان نوعا من التقيه التى اشتهر بها الاسماعيليون انفسهم . اوربما كان تمويها من ابن عطاش نفسه على السلطة الحاكمة لاخفاء حقيقته ولابعاد الشبهات من حوله حتى لايقع هو تحت طائلة الحكم السلجوقى الذى بدأ ايحارب من هم ليسوعلى مذهب الدوله(٢) . خاصة وان صلاطين السلاجقة لم يسكتوا عن عبث الباطنية بمصالح بلادهم(٣) . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليعطى فكره بهروب ابن الصباح

---

١) هذا القول يشيرالى قضية هامة اخرى وهى خضوع قلعة الموت للاسماعيليين قبل ان تخضع بصفة مباشرة للحسن بن الصباح عام ٤٨٣ / ١٠٩٠ الامر الذى سهل له الاستيلاء عليها بعد ذلك (الباحث)

٢) القلقشندى صبح الاعشى ج ١٣ ص٢٣٧

٣) كانت التقيه من اهم العوامل التى ادت الى غموض الكثير من حوادث واسباب التاريخ الاسماعيلى ونواحيه المختلفة سواء فى ذلك العقائدية اوالسياسية اوالاجتماعية اوالعسكريةوالواقع لقد لعب المؤرخون السنيون دورا هاما فى كشف النقاب عن بعض تلك الحوادث والاسباب ولكن من وجهة نظرهم .الامر الذى يزيد من مشقة الباحثين السنيين فى هذا الميدان .وقد لازمتهم التقيةو السرية حتى الان (الباحث) .

٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص٥٥٥

انه لايوجد فى البلاد دعاه او انصار لاسماعيلية مصر• ذلك اذا علمنا — على وجه الخصوص — ان ابن عطاش نفسه كان قد تعرض للقتل من قبل حيث• اخذه السلطان طغرلبك واراد قتله لاجل مذهبه فاظهر التوبة ومضى الى الري وصاحب ابا على النيلسابوري وكان يتقدمهم بالرمى فساهره وجمع رسالة فى الدعاء الى هذا المذهب سماها الحقيقة (١) وهذا مما يؤيد راينا السابق فى شان قرار ابن الصباح الى مصر• ذلك فى الوقت الذى يؤيد فيه كتاب الاسماعيليه انفيسهم وغيرهم من المؤرخين ان وفود ابن الصباح على مصر كان بناء على تعليمات ابن عطاش نفسه بعد ان لمس فيه نبوغا وتفوقا فى اصول المذهب• (٢) •

على اية حال •••••• لم يكن ابن الصباح هو اول من زار مصر من دعاة الاسماعيلية على عهد المستنصر• فقد سبقه اليها الرحالة والداعى الاسماعيلى الكبير ناصرخسرو والذى لقب به اتباعه • بحجة خراسان (٣) • وقد مكث فى القاهرة حوالى ثلاث سنوات يتلقى اسرار العلوم الاسماعيلية (٤) •

---

١) سبط ابن الجوزى مراة الزمان ج ٨ ص٢٠

٢) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٩٠

٣) Sykes. A Hist. of Persia Vol. II.P.109

4) Brawne: A lit. Hist. of Persia.Vol.I.P. 400 -401

5) Sykes. A Hist. of Persia Vol. II. P.136

وكان ان ابقى ابن الصباح فى القاهرة حوالى ثمانية عشر شهرا • وقد اختلف المؤرخون فيما اذا كان قد حظى بلقاء المستنصر من عدمه • الا ان كلا من ابن ميسور القلقشندى ووكذلك المقريزى قد اكدوا ذلك فعلا • لقد جاء فى تاريخ مصر لابن ميسر " انه فى هذه السنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٧م • قدم الحسن بن الصباح رئيس الاسماعيليه اى مصر فى رزى التجار واجتمع ابالمستنصر وتكفل له باقامته دعوته فى خراسان وبلاد العجم (١) • ويضيف كل من ابن الاثير والقلقشندى والمقريزى على ذلك ما دار بين ابن الصباح والمستنصر حول امامه نزار حيث ساله ابن الصباح • من امامى بعدك ؟ فقال : المستنصر " ابنى نزار (٢) • وفى ذلك تاكيدا واضحا لاجتماع ابن الصباح شخصيا بالخليفة المستنصر بالقاهرة • وعلى اثره رجع ابن الصباح من مصر مارايا بالبلاد التى سبق ذكرها فدخل كاشغر وبلاد النهر • وذهب هناك فدعا للمستنصر وبعده لولده نزار (٣) •

---

١) ابن ميسر — تاريخ مصر ج ٢ ص ٢٧

٢) ابن الاثير — الكامل ج ٩ ١٣ ص ٢٣٧
القلقشندى — صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٧
المقريزى — اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٣

٣) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١١٠

يعتبر الحسن بن الصباح فى المشرق امتداد الخليفة الاسماعيلى فى مصر او فى بلاد الشام ، حيث استمد مركزه ذلك من امامه المستنصر بالله مؤيدا ابنه نزار على اثر الانشقاق الاسماعيلى فى القاهرة (١) . ومن ثم اخذ على عاتقه مهمة التاسيس لتقوية دعائم الدعوة فى تلك الاقاليم التى كانت تخضع فى ذلك الحين لنفوذ السلاجقة واولئك الذين دخلوا الاسلام من اوسع ابوابه متمثلين كيانه الروحى اخذين على كاهلهم ضرورة الانتصار المذهب السنى تحت راية الخلافة العباسية (٢) . ويقال انهم كاتبوا الخليفة العباسى فى ذلك الوقت فاقرهم على مابيدهم من الممتلكات الجديدة التى خضعت لسلطانهم (٣) .

لذلك كان على الحسن بن الصباح ان يقيم للمجتمع الاسماعيلى الجديد فى وسط ذلك العالم السنى وبين اولئك الحكام المتعصبين ضدهم تنظيما جديدا يكفل له القيام باعباء الرساله الملقاه على عاتقه (٤) . ذلك فى نفس الوقت الذى كان صدر ابن الصباح مفعما بالحقد والكراهة لوزير المستنصر " بدر الجمالى " الذى كان قد دس لههو واعوانه حتى اجبروه

١) ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص٢٠٨

Sykes: AHist. of Persia. Vol. II. P. 109

٢) سيد امير على روح الاسلام ج ٢ ص ٢٢٨

Huart: Hist. des Arabes. Tome I.P. 353

٣) د . حسين مؤنس نور الدين ص٣٥ ـ ٣٦

Ivanow: Studies in Early pers. Ism. P.26

٤) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص٣٢٣

على الفرار من القاهرة. وقد اكد المقريزى ذلك باشارته الى وقـــوع خلاف بينه وبين المستنصر بسبب. ان المستنصر بلغه عنه كلام فاعتقلـــه ثم اطلقه [1]. وكان ابن الصباح قبل ذلك وعلى اثر مجيئه الى مصـــر قد اتصل بالمستنصر واختص به والتزم ان يقيم له الدعوة فى بلاد فـــارس وخراسان وغيرها من بلاد الشرق الاسلامى.

بيد ان تفكيره كان قد هداه لتاسيس دوله اسماعيله فارسيه [2]. ذلك لينتقل اليها الخليفة المستنصر بالله وليتخذها مقرا له بدلا مـــن مصر تلك التى ضاقت بما فيها من الفتن والمنافسه بين اصحاب السلطة [3] فاقام من نفسه قائدا لجيش من الدعاة الذين جابوا البلاد يبثون الدعـــوة الاسماعيلية. فجذبوا كثيرا من الجماهير المتعطشه الى العدالة والحريه والحياة الكريمة التى صورها لهم الحسن بن الصباح واتباعه فــــى مجتمع عمت فيه القلاقل نتيجة للخلافات على عرش السلطة [4].

---

١) محمد كرد على خطط الشام ج ٢ ص٣

٢) د. محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص٦٩

٣) د. حسين مؤتمى نور الدين ص٦٥

٤) Sykes: A Hist of Persia vol. II. P. 109

وكان من عادة لاسماعيليين ان يختاروا لمعيشتهم تلك الاماكن الجبلية البعيدة عن منال الحكام النائية عن عيون اهل المدن والتي اصبحت فيما بعد تشكل مراكز هامه للنشاط الاسماعيلي (١) . لذلك اختاروا لنشاطهم عددا من القلاع الحصينة التي منها وجهوا جيوشهم المتمثلة في الفدائيين اولئك الذين كانوا يقبلون على تنفيذ كل اوامر قائد القلعه بكل صدق واخلاص . بل باقدام لم يشهد له التاريخ مثيلا (٢) . وقد اصبحت تلك القلاع فيما بعد قوة لايستهان بها بالرغم من سطوة الامبراطورية السلجوقيه صاحبة السلطان المطلق في بلاد فارس وبالذات بعد ان وقعت الموت في ايديهم (٣) . والقلعة كما هو معروف حصن على الجبل . وقد اقتضت حالة المساحه ودواعي الامن في مدن العصور الوسطى ان يكون لكل مدينة قلعه لحمايتها من المعتدين وللدفاع عنها ضد المغيرين (٤) .

وكانت قلعة الموت ومعناها عش العقاب . اوبلسان اهل طيرستان ما وجده العقاب (٥) . قلعة منيعه على جبل وحولها

---

١) Ivanow: Studies in Early Pers. Ism. P.26-27

٢) د .سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٢

٣)

٤) ميشيل لباد الاسماعيليون بمصياف ص ٧٦ ـ ٧٧

٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

وهاد • تعين على من يريد نهبها الا يبلغها الا بشق الانفس•
وكانت لقماح صاحب ملكشاه • وكان مستحفظها متهما بمذهب القوم (١)
كما ان ملكشاه نفسه اتهم بذلك ، وكان السلطان ملك شاه قـــد
فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنيه ثم تنصل من ذلك وراجع
الحق (٢) • قامت تلك القلعه على مسافة ستة فراسخ من قزوين • وليثبت
حوالى مائة واحدى وسبعين سنه من امنع حصون الاسماعيلية (٣) • وقـــد
ركز ابن الصباح كل جهده لامتلاكها (٤) • فاستخدم كعادة الاسماعيلين
فى كل عصورهم ـ عنصر الدعوة فى بادئ الامر للوصول الى اهدافه• فجذب
اليه عددا كبيرا من جنود تلك القلعه الذين اعتنقوا مذهبه فمهـــدوا
له الطريق للاستيـــلاء عليها بكل سهوله•

واختلفت الروايات حول طريقة استيلاء ابن الصباح علـــــى
القلعة • فراوية يتقول ان ابن الصباح لما راى القلعه اثارت خيالـــه

---

١) ابن الجوزى تلبيس ابليس ص ١١٠
٢) ابن كثير البداية والنهائية ج ١٢ ص١٤٣
٣) لسترنج بلدان الخلافه الشرقيةص ٢٥٦
٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠
Guyard: Un grand maitre des Assassins . P.20

وشدت اليها انتباهه • فاختبر اهل تلك الناحية • فأقام عندهم وطمع فى اغرائهم • فدعاهم فى السر واظهر التنزهه فتبعه اكثرهم • وكان صاحب القلعه رجلا من العلويين الذين جلسوا اليه وتركوه به [1]

فلما استقرا راى ابن الصباح دخل يوما على العلوى بالقلعه وطلب اليه الخروج منها • فتبسم العلوى وظنه يمزح ولكن ابن الصباح كان قد بيت النيه للاستيلاء عليها فامر اصحابه فاخرجوه الى دامضان واعطاه ابن الصباح ماله وملك القلعه • [2]

هـذا • • • بينما نجد رواية اخرى تفيد ان ابن الصباح عندما تمكن من بث دعوته فى صفوف جند القلعه او عزالى دعاته بها ان يوجهوا اليه دعوة لزيارتهم • وكان على راس هؤلاء الدعاة الداعى الحسين القائنى الذى اتجه بكل جهوده الى حامية القلعه حتى ادخلهم فى مذهبه [3] • فوجهت اليه الدعوة بين مظاهر الفلرج والسرور • فذهب البن الصباح الى القلعة اليه متنكرا ومنتحلا اسما بديلاً لاسمه متظاهرا امام اهلها من الذين لم يقفوا على حقيقة امره انه نائب ابن الصباح جاء ليتفقد احوالهم • فقضى فيهم اياما يدرس القلعة دراسة دقيقة ومتعمقه ليقف على معالمها وليفحص جنباتها واحوال من بها من الناس [4] •

---

١) ابن خلدون العبر ج ٤ ص ٩٤

٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

٣) د • السيد محمد العزاوى فرقة النزارية ص ١١٤

٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٢٨

فلما وقف على ما كان يخفى اعلن عن حقيقة نفسه فطلب من حاكمها ان يسلمها اليه نظير مبلغ من المال يتسلمه من حاكم دامغان وهو اقليم يقع جنوبي قزوين (١) . وكان حاكم دامغان هذا ، اسماعيلي المذهب يأتمر باوامر ابن الصباح ويعمل على تحقيق مآرب اصحابه في البلاد على الرغم من انه كان من عمال السلاجقة .
امام ذلك لم يستطع حاكم القلعة بذل اية مقاومة وبالذات عندما تاكد له ان غالبية جنده اصبحوا من اتباع ابن الصباح كما انهم رهن اشارته . فتنازل عنها وتسلمها ابن الصباح في اليوم السادس من شهر رجب عام ٤٨٣ هـ الرابع من سبتمبر ١٠٩٠م (٢) . وقد حدد ابن الجوزى قيمة مادفعه ابن الصباح لصاحب القلعه " بالفى ومائتى دينار . كما انه ذكر انها كانت اول قلعة تملكها الباطنيه في ذلك الاقليم (٣) . ومن ثم بدأ يعلن منها دعوته لامامه المستنصر . ولقد توفرت هذه القصة الاخيره في كتابات الاسماعيليين الذين ارخوا الشيوخ الجبل (٤) .

ومن عجيب المصادفات التى تنبهه اليها مؤرخو الفرس في تلك الحقبة ان هذا التاريخ يتفق مع القيمه العدديه التى تدل عليها

١) د . محمد كامل طائفة الاسماعيلية ص ٧٠
٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠
Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II.P.109
Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 69
٣) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ١٢١
تلبيس ابليس ص ١١٠
٤) مصطفى غالب سنان راشد الدين ص ٦٧ ـ ٦٩

عليها الحروف التى تشكل هذه الكلمة (١) . وبعملية حسابية بسيطة نستطيع ان نقف على ذلك . فاسم القلعة اله اموت " وبقياس هذه الحروف باعدادها نتبين الاتى :

ا ل + هـ + أ + م + و + ت = اله اموت
١ + ٣٠ + ٥ + ١ + ٤٠ + ٦ + ٤٠٠ = ٤٨٣

حصن الموت ودوره فى نشر الدعوة فى المشرق الاسلامى :

وباستيلاء ابن الصباح على قلعة الموت عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م اصبحت هى المقر الرئيسى لتنظيم شئون الدعوة الاسماعيلية اهلها تنظيما جديدا ودقيقا (١) . فكان ذلك على حد اتعبير الذهبى . اول ظهور الاسماعيلية (٢) . وربما يقصد اول ظهورها فى ثوبها الجديد . ومن الموت اوفد ابن الصباح الدعاه الى جميع البلدان والاقاليم المجاوره . كما انه وجد عنايته الزائدة لتنشئة طبقه جديده من الشباب الاسماعيلى عرفوا بالفداويه " فهو الذى اخرج امرا لسكين وتنفيذ الرجال بمدا لقتل الناس ، ولم يكن ذلك يعرف على هذه القاعدة (٣) . ولم تلبث هذه

---

١) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٣٨٩
٢) يرجع سبب بناء هذه القلعة الى ان احد ملوك الديلم كان كثير الصيد فارسل عقابا ثم تتبعه فرآه يسقط على موضوع القلعه . فوجده مكانا حصينا فامر على الفور ببناء قلعة الالموت ومعناها عند الديلم تعليم اوعش العقاب . النويرى نهاية الارب ج ٢٤ ورقة ٦٢ مخطوط
٣) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ١١

الفرقه ان اصبحت من اقوى العوامل الميزة الذلك العصر (١) .
وذلك لاقبالهم على اغتيال الملوك والامراء والفقهاء وكبار شخصيات المجتمع (٢)

فظهروا وقد تحكمت قواعدهم واستوثقت معاقدهم واخافوا السبيل واجالوا على الاكابر الاجل . وكان الواحد منهم يهجم على كثير وهو يعلم انه يقتل ليقتله غسيله . ولم يجد احد من الملوك فى حفظ نفسه منهم حيله فصار الناس فيهم فريقين : منهم من جاهر بالعداوة والمقارعه ، ومنهم من عاهدهم على المسالمه والمولدعه . فمن عاداهم خاف من فتكهم ومن سالمهم نسب الى شركتهم فى شركهم وكان الثانى منهم على خطر عظيم من الجهتين (٣) . وترتب على ذلك ان " افسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقا وغربا وزعزعوا اركان عقائدهم وساعدهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجريدها من السجايا الكامله (٤) .

والواقع ان ابن الصباح واعوانه تمكنوا بواسطة ذلك الجيش الكبير من الدعاة والفداويه من الاستيلاء على عدة قلاع فى المناطق

---

١) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٣٨٨
٢) Le Strange : Palestine under the Moslems P. 352
٣) البغداوى تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٣
٤) الافغانى الرد على الدهريين ص ٢ ٤

المجاورة[1] . فاستولى الاسماعيليون بجانب قلعه الموت على عـدد من القلاع والحصون التى كان لها الدور الرئيسى فى اقلاق راحة القوم .

كان من اهم تلك القلاع " شاه دز[2] . وهى تقع علـى جبل اصفهان تناصى السماك وتناظر الافلاك[3] . الا انه بالرغـم من ان حاكمها الاسماعيلى يعتبر عندهم انه " شيخ الجبل الاول" وكان يتمتع بمركز له اهميته وخطورته[4] ـ زقد استطاع ان يجمـع حوله الوف المستجيبين من اهل اصفهان[5] . فانها لم تصمد امام هجمات الجيوش السلجوقيه صمود الموت. فسقطت فى يد السلطـان محمد بن ملكشاه فى ذى القعده عام ٥٠٠ هـ يولميو عام ١١٠٧م[6]

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج اص ٥٥١

٢) ذكرها المقريزى تحت اسم " قلعة الدر" وكانت لابى دلـف العجلى فجددها وسماها " ساهور " :اتماظ الحنفا ج ٢ ص٣٢٣

٣) البندارى تاريخ دولة آل سلجوق ص٨٣

٤) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص١٨٤

Skyes: A Hist. of Persia vol. II. P. 119

٥) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٥١

ابن كثير البداية والنهاية ج ٢ اص١٦٧

لسترنج بداية الخلافة الشرقية ص٤١٥

وكانت هذه القلعة من امهات القلاع التى تمتنع على من رامها اشد امتناع. وكانت تبث الحبائل الى سائر الجهات والاقطار وترجع نتائج الفساد رجوع الطير الى الاوكار. وهى فى العزة مثل مناط الشمس التى تنال منها حاسة البصر دون حاسة اللمس، وكانها وهى فى اعلى شاهق نزلت الجبل على حالق[1].

وترجع اهمية تلك القلعة الى ان الذى كان قد بناها هو السلطان ملكشاه السلجوقى[2]. وسبب بنائها يرجع الى انه كان قد اتاه رجل من مقدمى الروم فالسلم وصار معه[3]. واتفق انهما ذهبا يوما للصيد. فهرب منها كلب حسن الصيد وصعد الجبل. فتبعه السلطان يرافقه السلطان يرافقه ضيقه الرومى[4]. وجداه موضع القلعه فوصحب ذلك الرومى من ان مكانا مثل هذا يترك فضاء من غير استغلال حتى من الناحية العسكرية قائلا لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به[5]. فامر السلطان على الفور ببناء القلعة واتفق عليها

---

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص٢٠
٢) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ص ١٥٠
٣) النويرى نهاية الارب ج ٢٤ ورقة ٧٩ مخطوط
٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص١٩
٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص١٦٦ ــ ١٦٧
٥) ابن الاثير الكامل ١٠ ص١٠٩

موالا عظيمه الفي الفي دينار(١) . فلما انتهى من بنائها جعل فيها " دزدارا (٢) . وعلى اثر موت ملكشاه اصبحت اصفهان بيد زوجة خاتون ، فاعفت الدزدار من خدمتها وولت غيره . وكان ذلك رجلا ديلميا يدعى " زيار " فلما مات تولى امر القلعه " رجل خوزى " فاتصل به احمد بن عطاش رئيس الاسماعيلية فى اصفهان (٣) . وكان اتباعه قد البسوه تاجا من الذهب . كما جمعوا له اموالا طائلة وقد موى عليهم مع جهله (٤) . فلما اتصل ابن عطاش بالدزدار بقى معه فوثق به فقلده الامور (٥) . وفيما يبدو ان ابن عطاش استطاع ان يؤثر على صاحب الامر فى القلعه حتى استماله الى جانبه فاضحى نائبه فيها . ومن هنا تيسر له عقب وفاة الدزدار ان يستولى على القلعه (٦) . فملكها واقام بها اثنى عشر سنة (٧) . فكان لاستيلائه عليها على حد تعبير ابن الاثير ـ ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطرق والخوف المستمر . (٨) حتى ان اهل ذلك الاقليم

---

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٩

٢) الدزدار هو حاكم الاقليم او المقاطعه

٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩
Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II.P. 120

٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٠

٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩

٦) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ١٢

٦) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٧

٧) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠

الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٢٩

كانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لابد ان يكون خاتمة امرها شر(1) .

وقد تمثلت خطورة تلك القلعة وحاكمها ابن عطاش فى انهم كانوا يبعثون برجل اعمى على قارعة الطريق فينادى مستعطفا قلوب المارة اللهم ارحم من يقود الاعمى الى داره داخل هذا الزقاق. فيتقدم اليه الضحيه بصدق يريد فعل الخير . وهناك داخل الزقاق تتلقفه ايدى القتله من الاسماعيليين فيجهزون عليه(2) . وهذه ربما كانت احدى اساليبهم المختلفة فى جذب اكبر عدد من شعب اصفهان الى صفوفهم خوفا من شرهم .

اتسع نفوذ الاسماعيليه النزاريه على اثر ذلك من بلاد فارس واصفهان فاستولوا عام ٥٣٠ هـ/ ١١٣٦م . على عدد كبير من القلاع التى لعبت دورا هاما فى تاريخ تلك الاقاليم(3) . فطبس ، تلك التى استولوا عليها فى النصف الثانى من القرن الخامس — الحادى عشر الميلادى — وقد تعرضت تلك القلعة فيما بعد لهجوم خطير من جيش

---

١) ابن الجوزى — اتلبيس ابليس ص١١٠

٢) ابن الجوزى — المنتظم ج ٩ ص ١٢١
ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص١٠٩

٣) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥١

السلطان سنجر السلجوقي ، فخرب بعض حصونها [1] . وهي تعـرف بطبس الثمر لكثرة مابها من اشجار النخيل [2] . وذلك تيسيرا لهـــا عن طبس العناب لكثرة مابها من الكروم والتي اسماها القرص. طبـس مستيان [3] . وقلعة قهستان [4] . وكان سبب ملكهم اياها انــه كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور امراء خراسان ايام السمانانيـه وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له " ابن المنور " وكان رئيســا مطاعا في قومه . فلما ولي كلسارغ قهستان ساد ظلمه وعسفه بالمجتمع . ثم انه تطاول فاراد اغتصاب اختا لابن المنور بغير حل . فما كـان منه الا ان التجأ للاسماعيليه فحرضهم ضد كلسارغ قهستان فحاربـوه واستولوا على القلعة [5] . وهنا يبدو واضحا تشوق الاسماعيلية لمساعدة من يخطب ودهم على الفور مصلحتهم الذاتية . وقد كان لاستيلائهم على اقليم قهستان اهمية كبرى حيث كان من اغنى الاقاليم بمنتجاته الزراعية فضلا عما كان يحويه من قلاع منيعة اهمها : ترشيز وميكال واهيكاك ومجاهد اباد واتشكاه ومعناها بيت النار" وقد حاول رئيس الاقليم محاربتهم

---

١) الذهبي — دول الاسلام ج ٢ ص ٢٧

٢) المقدسي — احسن التقاسيم ص ٢٤

٣) لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٠

٤) ابو الفدا — المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٢٥

Sykes: A Hist. of Persia Vol. II.P. 109

٥) ابن خلدون — العبر ج ٤ ص ٩٤

والقضاء عليهم ولكنه فشل امام ضراوتهم (١) . فظلوا كذلك حتى دهمتهم حملات هولاكو العسكرية فاستولى على مايقرب من سبعين قلعة من قلاعهم (٢) .

ومن بين ما استولوا عليه من القلاع والحصون " خورخوسف " وزوزن وقابن وتون وبعض الاطراف المجاورة لها (٣) . ثم امتدت ايديهم الى قلعة وسنمكوه وهى قريبه من ابهرجت ، وكانوا قد ملكوها حوالى عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م . وعم الناس اذهم (٤) . الا ان هذه القلعة سرعان ما سقطت فى يد السلاجقه على عهد السلطان بركياروق ، الذى جعل عليها من حاصرها حوالى ثمانية اشهر فاخذت منهم عام ، ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م وقتل كل من بها من اخرهم (٥) .

كذلك استولوعلى قلعة خالنجان (٦) . هى تقع على مسافة خمسة فراسخ من اصفهان (٧) . وكانت تحت يد مؤيد الملك بن نظام

---

١) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٤

٢) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٥

٣) ابن الاثير الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ١١٠
Sykes: A Hist. of persia VoL . II.P. 109

٤) ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ٢٢٥

٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

٦) ذكرها المقريزى تحت اسم "قلعة جان" اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٤

٧) ابن خلدون العبر ج ٤ ص ٩٥

الملك فانتقلت الى " جاولى سقاو " فولى امرها لاحد الاتراك الـذى وقع فريسه لاحتيال بعض النجارين الاسماعليين . فبدأ احيلتـــــه بهديه جميلة عبارة عن " جاريه فارسية " وفرس ومركب (١) . ولزمـــه حتى وثق فيه وسلم اليه مفاتيح القلعه . فاقام النجار حفلا لذلـــك التركى واصحابه . فساقهم الخمر فاسكرهم . وعليه قام بطلب ابن عطاش الذى اسرع اليه فى جماعة من اصحابه فسلم لهم القلعه دون ما عنـــاء ولا مشقة (٢) . فاستولوا عليها بعد ما اتوا على جميع من فيها بالقتـــل فيما عدا ذلك التركى الذى استطاع الافلات من مصيره المحتوم (٣) .
وكثيرا ما كان رجال هذه القلعه ينزلون الى الاسواق فينهبون مافيها . وقد تمكنوا فى بعض الاحيان من قطع الطرق بين فارس وخورستان (٤) .

ويعتبر استيلاء ابن عطاش علـى تلك القلاع بمثابة خطـــوه خطيرة وجريئة للاستيلاء على قلاع اخرى اكثر اهمية واعظم خطـــرا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليبسط نفوذه على كل اهالى اصفهـــان وليفرض عليهم الكثير من الاتاوات المختلفة . فاستولى بعد ذلك على قلعة

---

١) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ١٢١

٢) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ١٢٢

٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

٤) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ١٢٢

لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٠٥

استوناوند التى تقع بين الرى وامد . وذلك بعد ان تغلب هو واصحابه على متوليها وقتلوه (١) . ثم استمروا فى مسيرتهم نحو الاتسيلاء على العديد من القلاع . فملك ابو الفتوح ابن اخت الحسن بن الصباح قلعه اردهن (٢) . ثم احتلوا قلعة كردكوه وهى احدى قلاع اصفهان المنيعه والتى عرفت بالقلعة المقبية " دزكنبدان (٣) . كذلك لمسر (٤) فقلعة الناظر بخوزستان والطنبور حيث اخذها ابو حمزة الاسكاف (٥) كما انهم استولوا على قلعة خلادخان التى تقع بين فارس وخوزستان واقاموا بها فترة غير قصيرة يقطعون الطريق ويبثون الرعب حتى فتحها عضد الدوله بن بويه واعمل القتل فيمن بها (٦) . فلما تولى فخر الدوله البويهى الحكم اقطعها للامير " اثر فلم يدعه الاسماعيليون يقلت من ايديهم فاستولوا عليها بعد مناوشات (٧) .

---

١) ابن خلدون العبر ج ٤ ص ٩٥

٢) ابوالفدا المختصر ج ٢ص ٢٢٦

٣) لسترنج بلدتن الخلافة الشرقية ص ٤٠٥

٤) دائرة المعارف الاسلاميه مجلد ٤ ص ١٨٩

٥) هو اخذ الدعاة الذين وفدوا الى مصر ليبد رسفقه الدعوة ثم عاد ليعمل داعيه للاسماعيليه فى تلك البلاد . ابن خلدون / العبر ج ٤ص ٩٥
وكان من اهل ارجان كما ذكر نفس المصدر .

٦) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١١

٧) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٤

اما عن الدور الهام الذى لعبته هذه القلاع ، فانه يتمثل فى تحديد العلاقات بين الاسماعيليين وبين اقرانهم من السلاجقه وغيرهم فتوالت ضربات الفدائيين على من ناصبهم العداء مهما كان موقعه. كما كان فى استيلائهم على كل هذه القلاع والحصن بهذه الشرعه العجيبه خطورة على الدولة الحاكم . مما ادى بالسلاجقه الى ضرورة موقفهم منهم وان كان قد اده التبع فى كثير من الاحايين طبقا لما تمليه او تفرضه المصلحة الذاتية لكل من الفريقين .

وكانت البداية مع ملكشاه ووزيره نظام الملك (١) . ويعتقد انه كانت هناك روابط او صداقه تربط الحسن بن الصباح بكل من الوزير نظام الملك والشاعر عمر الخيام (٢) . حتى ليقال ان ثلاثتهم تزاملوا فى المدرسة (٣) . ولو ان بعض المؤرخين يرى عكس ذلك لفارق السن بينهم (٤) وانما الذى نستطيع تاكيده هو معاصرتهم لبعض فى اواخر عهد النظام الملك بالحكم . ويجدر بنا قبل ان ننتقل لخطوة اخرى ، ان نلقى بعض الاضواء على قصة نظام الملك والحسن بن الصباح وثالثهما الشاعر عمر الخيام .

---

(١) Guyard: Un grand maitre. P. 18

(٢) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيليه ص١٩٠

(٣) عمر ابوالنصر قلعة الموت ص٢٣

(٤) Runciman: A Hist. of The crusades. Vol. II.P. 120.

(٤) براون تاريخ الادب فى ايران ج٢ ص٢١٨

Sykes: AHist. of Persia Vol. II.P. 106

فاما النظام الملك فقد ولد في مدينة طوس عام ٤٠٨/١٠١٧م [1] لذلك يعرف بنظام الملك ابن الحسن بن اسحق الطوسي [2]. وقد نال قسطا كبيرا من التعليم رغم الفاقه التى مربها حتى ولى احدى الوظائف الكتابية بمدينة بلخ لدى حاكمها " على بن شاذان " الذى وليها من قبل جغرى بيك [3]. وفيما يبدو ان نظام الملك حاز اعجاب جغرى بيك لدرجه انه حينما ادركته الوفاه اوصى به ابنه الب ارسلان فاتخذه فيمابعد بعد وزيرا له [4]. فتولى الوزارة لالب ارسلان ثم لابنه السلطان ملكشاه من بعده حتى ادركته المنيه عام ٤٨٥ هـ ١٠٩٢م [5]. واستمر فى الوزارة لالب ارسلان وولده ملك شاه نسقا متتاليا تسعا وعشرين سنه [6]

اما الحسن بن الصباح فانه ولد فى مدينة الرى . لكن لم يستدل على تاريخ ميلاده بعد [7]. تلقى العلوم الدينيه فبرع فى اصول

---

١) السمرقندى — جهار مقاله ص١٥٧ ـ ١٥٨

٢) ابن الجوزى — المنتظم ج ٨ ص ٢٣٤

٣) ابن الجوزى — المنتظم ج ٩ ص ٦٤

٤) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص٧١

Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 103

٥) ابو الفدا — المختصر فى اخبار البشر ج ٢ ص٢١٢

Guyard: Un grand maitre ; P. 18

٦) ابن الجوزى — المنتظم ج ٩ ص٦٤

٧) السمرقندى — جهار مقاله ص٢٥٨

Runciman. AHist. of the crusades Vol. II.P.102

المذهب الاسماعيلي حتى كانت قصته المشهورة لينتهي به الامـــر بالاستيلاء على قلعه الموت عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م • وظل يعمل بها فـي خدمة امامه المستنصر ثم ابنه نزار من بعده حتى وثقته منيته عام ٥١٨هـ /١١٢٢م [١] •

واما الشاعر عمر الخيام فانه ولد في مدينة نيسابور عام ٤٤٥/١٠٤٤ وقد برع في علوم الفلسفة والرياضيات • وكان السلطان ملكشـاه قد بنى موصده الجديد عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م [٢] • فاستخدم الخيـام ضمن من استخدمهم من اعيان المنجمين - اي الفلكيين - لوضـع تقويم جديد [٣] • وقد اسفر عمل الخيام عن الاخذ بتاريخ جديـــد يبدأ في العاشر من رمضان عام ٤٨١ هـ - الخامس عشر من شهر مارس عام ١٠٧٩م • وقد عرف هذا بالتوقيم الجلالي نسبه الى جلال الدين ملكشاه [٤] • وبلغ من دقته ان الخطأ فيه لايتعدى يوما واحدا كـل خمسه الاف سنه ، لدرجة ان المؤرخين الاوربيين اعترفوا بانه فاق في دقته الجريجوزي الاوربي دقة وضبطا [٥] • وقد كان عمر الخيام -

---

١) ابن العماد — شذوات الذهب ج ٤ ص٥٨

٢) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ص ١١١

٣) السمرقندي — جهار مقاله ص ٦٩ - ١٦٠

٤) ابو الفدا — المختصر ج ٢ ص٢٠١

٤) أ ح • — تراث فلوس ص٣٨٩

٥) بروكلمان — تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص١٣١

لسعة اطلاعه ورفعة ثقافته — من اقرب المقربين لنظام الملك[1] . فنشأت بينهما صداقه عريقه[2] . وكان يمكن لابن الصباح ان يكون مهما على هذا المستوى لولا انخراطه في صفوف الاسماعيليين .

كانت الموت ضمن القلاع التي تقع في اقليم وود يار[3] . اما شاه دز فكان موقفها اصفهان حيث مقر السلطان ملكشاه[4] . وعلى ذلك لم يقف وكان السلطان ملكشاه على خطر اسماعيليه الالموت الا بعد ان مات نائبه على ذلك الاقليم " التونتاش " فتولى ذلك الوالي من جانبه محاولة تاديب الحسن بن الصباح واعوانه . فهاجم الموت على عهد ملكشاه اكثر من مره ولكن دون جدوى[5] . وذلك بسبب التفاف اهالي الالموت حول زعيمهم ابن الصباح وعلى وجه الخصوص فيها على البقاء في الالموت وبعدهم بالنصر ماداموا صامدين في قلعتهم . فتمكن ابن الصباح بفضل تلك الحيله من المحافظة على الروح المعنوية العالية لاهل قلعته فظلوا ملتفين حوله . بالاضافة الى ذلك فقد لعب الحظ دوره في خدمة الاسماعيليه ونصرهم فمات حاكم الاقليم وهنا وضحت صورتهم امام ملكشاه[6] .

---

١) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٢٢٠

٢) كرستوفر دوسن تكوين اوربا ص ٢٠١

Sykes : A Hist of Persia. Vol. II. P. 137

٣) رشيد الدين الهمذاني جامع التواريخ ج ١ ص٢٥٥

٤) د .سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ص ١٠٩ — ١١٠

٥) د . طه شرف النزاريه ص١٣٠

٦) د . طه شرف النزاريه ص ١٣٠

وتحدثنا المصادر المختلفة ان بداية ظهورهم على مسرح الحياة العامه كان على عهد ملكشاه جلال الدولة [١] . حينما اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فاقاموا صلاة العيد في ساوه على انفراد وفي عزله تامه عن المجتمع الاسلامي العام . وكان ذلك على حد تعبير ابن الاثير " اول اجتماع لهم [٢] . ولما فطن اليهم الشحنه " اخذهم وحبسهم ثم اطلقهم [٣] . ثم نبهوا الاذان اليهم حينما دعوا موءذنا من اهل ستوه الى مذهبهم فابى فخافوه ان يتم عليهم فاردوه قتيلا [٣] . وكان هذا اول ضحايا الاسماعيلية في اصفهان . واول دم اراقوه [٤] . كما كانت جريمتهم مع قافلة قاين اكبر العوامل للفت نظر الحكام اليهم .

ذلك ان اول ملتقاهم كان في اول موضع غلبوا عليه عند بلدة قاين حيث كان متقدمه على مذهبهم . فاجتمعوا عنده وازدادت قوتهم بموءازرته اياهم فحدث ان اجتازت بهم قافله عظيمة في طريقها من كرمان الى قاين فخرج عليها جماعة منهم فاقوا على اهل القفل جميعا فلم ينج منهم احد سوى رجل تركماني . فلما وصل

---

١) ابن خلدون — العبر ج ٤ ص ٩٥٩
٢) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٠٨
٣) ابن الجوزى — المنتظم ج ٩ ص ١٢٠
٤) ابن الجوزى — تلبيس ابليس ص ١١٠

الى قاين اخبر اهلها بالامر . فتسارع الناس بقيادة القاضي الدركامني لمحاربتهم والقضاء عليهم فعجزوا عن ذلك[1] . ويبدو ان هذه كانت اول حادثه بعد مقتل المؤذن تشير الى خطورتهم في تلك الاقاليم .

---

١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩

نظام الملك والاسماعيليه :

كان يلى السلطنة فى تلك الاونة لسلطان المسلجوقى ملكشاة الذى تولى الامر اثر وفاة والده الب ارسلان فى ربيع الاول عام ٤٦٥ هـ [(١)] • نوفمبر عام ١٠٧٣م • تما مهام الوزارة فقد تولاها من قبله وزيره نظام الملك الذى اجمعت المصادر المختلفة على انه كان من اعظـــم وزراء الدولة الاسلامية على الاطلاق[(٢)] • وكان وزير صدق يكرم العلماء والفقراء [(٣)] • ومما لاشك فيه ان مدرسته النظاميه فى بغداد الـــتى كانت من اعظم واشهر مدارس ذلك العصر[(٤)] • وفروعها المختلفة فـــى بلاد الفرس ، فضلا عما اقمه من المساجد والرباطات والوقوف عليها [(٥)] اكبر دليل على صدق ما جاء فى مصادر ذلك العصر[(٦)] • وبقتله عدمـت الدنيا واحدها الذى لم ترر مثله[(٧)] •

---

١) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص١٠٩

٢) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٤

٣) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص٩٠

٤) ابن جبير — رحلة ابن جبير ص ٢٠٥

٥) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص٧٢
ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٠

٦) ابو شامه — الروضتين ج ١ ص٢٥

٧) ابن الاثير — التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٩

ولقد اختلف المؤرخون حول قضية اختيال نظام الملك . فابـــن الجوزى وابن الاثير يلقيان التمه على الاسماعيليه النزاريه ، وان كانا لم يوضحا كنه الفئة التى ينتمى اليها القاتل الاعلى ضوء ما جاء فـــى اقوال الاسماعليين انفسهم معترفين بمسئوليتهم نحو قتل نظام الملك. قتلوا نجارا فقتلناه به .(1) .

ذلك انه لما ذاع امرهم وخشى الناس باسهم بما ارتكبوه نحو القافلـه وقتلهم المؤذن . اخذ انظام الملك فى تتبعهم(2) . وكان هو اول مـــن نبه السلطان بخطرهم على ملكه(3) فامر باجراء التحقيق اللازم للوقـوف على المتهم الحقيقى . فوقعت التهمة على نجار يدعى طاهر . فكـــان الجزاء القتل والتمثيل بجثته(4) . فكان ذلك اول قتيل منهم . وبنـــاء عليه ـ كما اتفق الراى العام ـ لم ينوان الاسماعيليون فى الثار لقتيلهم . وعلى الفور حثوا بفدائى اظهر التحايل والاستعانة بنظام الملك حـــتى

---

1) ابن الجوزى   المنتظم ج ٩ ص١٢٠
ابن الاثير   الكامل ج ١٠ ص ١٠٩
2) سيد اميرعلى   مختصر تاريخ العرب ص٢٧٩
3) بروكلمان   تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص١٣٦
4) ابن الجوزى   تلبيس ابليس ص ١١٠

قرب منه فطعنه طعنة قاتله اودت بحياته[1] . ولكن اصحاب انظام الملك لم يتركوا فرصه للقاتل فلحقوا به فقتلوه انتقاما لوزيرهم[2] . وهذه رواية كل من ابن الجوزى وابن الاثير فى مصرع نظام الملك. وان كان ابن الاثير يرى سببا اخر غير ذلك. وهو ان نظام الملك كان قد بعث بعسكر الى الموت اثر الاستيلاء ابن الصباح عليها . فحضروه فيهـــا واخذوا عليه الطرف فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك. [3]

على ان هناك بعض موءرخى العصور الوسطى من حرصوا علـــى تمييع الموقف بالنسبة للاسماعيليين . فصاحبى المختصر والبداية والنهاية يلقيان تبعية الجريمه على السلطان ملكشاه نفسه . وهما يرجعان دواعـى مصرع نظام الملك الى الوحشه التى وقعت بينه وبين سيده. . فبعد ان يسردا الرواية الماثوره عن طريقة اغتياله نجدهما يضيفان مانصه . وكان قتله بتدبير من السلطان ملكشاه[4] . كما يوءكد ذلك ما جاء فى تاريخ آل سلجـــوق

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص٤٥٥
٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص١٠٩
٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ص ١١٠
٤) ابو الفدا المختصر ج ٢ ص٢١٢
ابن كثير البداية والنهائينة ج ١٢ ص١٤١

للبنداری ودول الاسلام الذهبی [1] . فقد اوضحنا سبب اقدام ملكشاه على تلك الجريمة النكراء ..

وكان ان مل ملكشاه طول مدته فی الحكم واستطالته لمكانته . حيث وزر الملك الب ارسلان وولده ملكشاه تسعا وعشرين سنه [2] . فانفذ اليه يوما " تاج الملك " ـ وهو احد ـ الذين اوغروا صدر السلطان ضده [3] . ارسله برسالة ووكل على نضمه بعين من اكابر دولته وعلى اسهم الامير (يلبرد " احد كبار شخصيات البلاط السلجوقی وذلك حتى يبالغ الامير تاج الملك فی ابلاغها [4] . وقد جاء فی رسالة السلطان لوزيره انك استوليت على ملكی وقسمت ممالكی على اولادك واصهارك والمماليك : فكأنك لی فی الملك شريك [5] . ثم يستمر ملكشاه فی خطابه متسائلا " اتريد ان امر برفع دواة الوزارة من بين يديك واخلص الناس من استطالتك . [6] .

---

١) البغدادی تاريخ ال سلجوق ج ص ٥٨
الذهبی دول الاسلام ج ٢ ص ١٣
٢) ابن خلكان فوات الاعيان ج ٢ ص ١٤٠
٣) ناصر بن الحسين اخبار الدولة السلجوقية ص ٦٧
٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٧١
٥) البنداری تاريخ آل سلجوق ص ٥٩
٦) ابن الجوزی المنتظم ج ٩ ص ٦٧
البنداری تاريخ ال سلجوق ص ٥٩

لم يبال نظام الملك بما جاء في رسالة السلطان • وكان جوابه عليها جواب الواثق بنفسه المعتز بكرامته • قولوا للسلطان كانك اليوم عرفت اني في الملك ساهمك وفي الدولة مقاسمك وان دولتي مقترنه بتاجك • فمتى رفعتها ومتى سلبتها سلب[1] • ثم يضيف الى ذلك موضحا ماثره على السلطان • ان كنت ما علمت اني شريك في الملك فاعلم •••• فانك مانلت هذا الامر بتدبيري وراى[2] • وكان النظام قد وطد لمكشاه •

فصار الامر كله اليه وليس للسلطان الا التخت والصيد فبقى على هذا عشرين سنة[3] • الا انه مما يؤخذ على نظام الملك انه نسى او تناسى ان السلاجقة انما اخذوا ملكهم بحد السيف • فتعين عليهم ان يرفضوا كل ثورة او انتفاضه ضدهم مهما كان مصدرها حتى ولو كانت من وزيرهم الاول نظام الملك •

والواقع كان لا بد ان تثور ثائرة ملكشاه لرد وزيره هذا •••• فازداد غيظه واستشاطه • وكان ما جرى على نظام الملك من الاغتيال تجوزا من السلطان مضمرا واموا مبيتا مدبرا[4] • وقد اكد

---

١) البنداري تاريخ ال سلجوق ص ٦١
٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٧١
٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٩ ص٦٥
٤) البتداري تاريخ ال سلجوقص ٥٩

صاحب الروضتين ذلك (١) . وفيما يغدو ان نظام الملك كان يتميز بكبرياء وتيه يفوقان الحد (٢) . فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من التقل ما تم (٣)

ومما يؤكد ذلك ويزيد من وضوح الامر انضمام المماليك للنظاميه لبركياروق ضد زوج ابيه تركان خاتون التى شنت عليه حربا ضاربه بمساعد تاج الملك حليفها الذكر للاحتفاظ بعرش الامبراطورية لابنها محمود (٤)

فما كان من مماليك نظام الملك الا ان انضموا الى بركياروق ففتكوا بجيش تركان خاتون (٥) . ثم قتلوا تاج الملك شر قتله بالرغم من شفاعة السلطان بركياروق فيه (٦) . وفيما يبدو انه كان بين كل من نظام الملك وتركان خاتون وتاج الملك كراهية . ذلك ان تركان خاتون اما ربما ملكشاه ارادت ان تحتفظ بالعرش لابنها محمود . فطلبت الى السلطان ان ينص على ولدها محمود فثناه نظام الملك عن رابة . فخشوا من النظام

١) ابو شامه الروضتين ج ١ ص٢٦
٢) ابن ايبك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥
٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص٧١
٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص١١٠
٥) ابو الفدا المختصر ج ٢ ص٢١٣
٦) البندارى تاريخ ال سلجوق ص٥٩

تثبيطا عن مرادهم [١] . فضلا عن ذلك فانه يفهم من سياق احداث هذه القصة ان تاج الملك كان عاملا رئيسيا فى اغتيال نظام الملك . يوضح ابن الجوزى ذلك " فما زال السلطان [٢] . فيقال انه السف عليه بمواطاة تاج الملك ابن الغنائم من قتله [٣]

وعليه فانه يتبين مما سبق توضيحه ان قصة اغتيال الاسماعيليين للنظام مضطربة اشد الاضطراب . وربما تكون هذه التهمه قد حبكـت حولهم حتى تسأم من ذكرهم النفوس ولينفى ملكشاه التهمه عن نفسه . وقد ساعدة الحظ ان كان القاتل من الدياله [٤] . وقد شكل هـؤلاء عنصرا اساسيا فى المجتمع لاسماعيلى فى تلك الفترة بفضل انخـراط قبلية " شبانكاره " التى عرفها ابن الاثير " بالشوانكاره " [٥] ـ فـى صفوف الاسماعيليين مما اعطاهم دفعه قويه نحو تحقيق اهدافهـم فى تلك الاقاليم . [٦] .

---

١) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ٦٨
٢) اضافة يقتضيها سياق الكلام " الباحث "
٣) ابن الجوزى المنتظم ٩٠ ص٦٧
٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ص١٣٩
٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ص٣٦٢
٦) لسترنج بلدان الخلافة الشرقيه ص٣٢٥
د . السيد محمد العزاوى فرقة النزارية ص ٢٧٠

اما فيما يختص بادعاء الاسماعيليين قتلهم نظام الملك لقولهم " قتلتم منا نجارا وقتلنابه نظام الملك " فيمكننا القول بان ذلك ربما كان تمويها اودعاية لهم ليرهبهم حكام الاقاليم والامصار المحيطة بقلاعهم من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليبثوا الرعب فى صفوف اولئك الذين وقفوا لهم بالمرصاد ، ولا باس من ان تلصق بهم تهمة كهذه فترد مكيدة حاكم او جبار . ومما لا شك فيه انه على اثر ذلك " استفحل امرهم باصفهان وآل الامر الى انهم كانوا يسرقون الانسان فيقتلونه ويلقونه فى بئر . فكان الانسان اذا دنا وقت العصر ولم يعد الى منزله يئسوا منه ، وفتش الناس المواضع . فوجدوا امراة فى دار لاتبرح فوق حصير فازلوها فوجدوا تحت الحصير اربعين قتيلا ، فقتلوا المراة واخربوا الدار " (١) .

سبق ان اوضحنا ان الحسن بن الصباح كان قد عقد العزم على تكوين دولة اسماعيلية فى بلاد فارس واصفهان . وقد رتب الامور على اساس انتقال امامه المستنصر الى قاعدة ملكه الجديد فى المشرق ولكن القدر لم يحقق له مآربه . ففى الاونة التى هم فيها بتنفيذ خطته هذه وافاه النبأ بوفاة المستنصر فى القاهرة (٢) . ثم وقف فيما بعد على

١) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ١٢٠ ـ ١٢١
٢) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص ٧١

اسباب الخلاف القائم في حاضرة الاسماعيليين بين ابناء المستنصر[1] فالمستعلي بالله الابن الاصغر للمستنصر اعلن تنصيبه في منصب الامامه بمساعدة صهره الافضل بن بدر الجمالي الذي حقد على نـــزار[2] وفضلا عن ذلك فان نزارا قد لقي حتفه على يد اخيه ووزيره الافضل عقب هزيمته والقبض عليه مع رفيقه افتكين في الاسكندرية[3] . ذلك في الوقت الذي يرى بعض كتاب الاسماعيليه ان نزارا لم يقتل ، وانما هرب الى سجلماسه فاستقر هناك حتى بعث اليه ابن الصباح من احضره الى الموت ليتولى امر الدعوة الجديدة التي كان قد اسسها في الالموت[4] . الا ان الثابت ان نزارا قتل فعلا باتفاق اقوال كل المؤرخين . وربما يكون الاسماعيليون قد بنوا افتراض بقائه على قيد الحياه وهروبه الى سجلماسه ـ رغم قطع الراى بموته ـ اعمالا بمبدأ الغيبة او التقيه التي انفرد بها انمتهم الاوائل والتي آمن بها الاسماعيليون انفسهم وباركوها فيما بينهم .

---

١) ذكر المرحوم د . حسن ابراهيم ـ تاريخ الدولة الفاطميه ص٢٧١ ان الحسن بن الصباح كان موجودا في مصر حال وفاة المستنصر . الا اننا نختلف معه في الراى . فالثابت ان الحسن بن الصباح غادر مصر قبل وفاة المستنصر بفترة طويله . ودليلنا على ذلك انه لم يغادر قلعة الموت منذ ان استولى عليها عام ٤٨٣ / ١٠٩٠ .

٢) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص٢٠٨

٣) المقريزي الخطط ج ١ ص ١٥٥

٤) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص١٨١ ـ ١٨٣

وبناء عليه فقد حدث موت المستنصر بالله ثم مقتل ابنه نزار من بعده عام ٤٨٨ / ١٠٩٥ دور الحسن بن الصباح في قيادة المجتمع الاسماعيلي النزاري في بلاد فارس واصفهان ثم في بلاد الشام فيما بعد . ومن ثم اصبح ابن الصباح هو القائد والمشرع والداعي الاول ، وهو الحجة لهذه الفرقة الجديدة التي عرفت فيما بعد الاسماعيلية اوالصباحية اوالتعليمية اوالباطنيه (١) . وذلك تمييزا لها عن الاسماعيلية المستعلوية في مصر (٢) .

١) الديلمي بيان مذهب الباطنيه ص٥

٢) Ivanow. Studies in Early Pers. Ism. P. 26

انتقال الدعوة الى بلاد الشام :

تبين مما سبق عرضه ، الدور الذى لعبه النزاريون فى بلاد فارس واصفهان لاثبات مكانتهم وتثبيت اقدامهم وسط العالم السنى المتعصب ضدهم . انما الذى يهمنا فى هذا المجال هو امتداد النشاط — الاسماعيلى النزارى الى بلاد الشام . والمعروف ان هذه البلاد كانت مهد الاسماعيليه الاول ، والتى خرجت منها الى بلاد اليمن ثم بلاد المغرب منذ ان كانت سلمية المقر الرسمى للامام عبيد الله المهدى والائمه من قبله وذلك قبل انتهاء دور الستر [1] . وقد استطاع الاسماعيليون مد نفوذهم الى بلاد الشام وازداد نفوذهم فى بقاعة عقب موت السلطان محمد بن ملشكاه عام ٥١٢ هـ ١١١٨م . وهو الذى كان قد احس بخطرهم فبدأ يتخذ من الاجراءات الكفيله للقضاء عليهم والاستيلاء على حصونهم وقلاعهم الجليلية الحصينه . [2] .

فقد استطاع ان يستولى على حصن شاه دزعام ١١٠٦/٥٠٠ [3] وكان لاستيلائه عليه اكبر الاثر فى نفوس المسلمين السنيين الذين ناصبوا اسماعيلية الموت العداء الظاهر . يدل على ذلك كتاب البشرى الذى بعث به فور الفتح الى الخليفة العباسى المستظهر بالله ٥١٢هـ/

---

١) ايفانوف سيرة جعفر الحاجب ص ١١١

٢) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 120

٣) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٥١

١١١٨م [1] . وان كان قد عجز فى نفس الوقت عن الاستيلاء على قلعة الموت لمناعتها من ناحية وبعدها عن حاضره الحكم من ناحية اخرى . وكان يمكنه الاستيلاء على العديد من حصونهم لولا ان ادركته منيته عام ٥١٢ هـ/١١١٨م فتوقف بذلك تنفيذ مشروعاته الى حين [2] .

وعلى ذلك فقد حانت الفرصه للاسماعيلين ـ فلم يتهاونوا فى انتهازها لتقوية حالهم بحيث لم ينقض على موته غير بعيدة حتى انقضوا بواسطة القوة او الخديعه او الرشوة على العديد من قلاع الشام مثل القدموس وبانياس وقلعة مصياف . وغيرها من القلاع والحصون الشاميه الهامه [3] . واستطاعوا ان يضيفوها الى ممتلكاتهم فى فارس واصفهان التى شملت العديد من قلاعهم .

وكان امتداد نشاطهم الى بلاد الشام منذ بداية القرن الخامس الهجرى ـ الحادى عشر الميلادى ـ على يد الحكيم المنجم اول داعية لهم بالشام . [4] فاقام بها الدعوة ووطد اركانها واستطاع بسبب موقف رضوان الذى كان يقربهم وينتصر بهم [5] . اقامة دار دعوة

١) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص١٥٢ ـ ١٥٦

٢) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص١٩٤

٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ص ٥٥٧

٤) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٦

٥) د ـ سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ص ٣٥

انبثقت منها المبادئ الاسماعيلية وخرجت منها جيوش الدعاة والفداويه الى دمشق وحمص وعزاز وفاميه وغيرها من بلاد الشام لتقف على قدم وساق مع الحكم السلجوقي • احيانا معه واحيانا ضده •

اما عن الدور الذى قام به الاسماعيليون فى بلاد الشام فانه يقتسم الى قسمين : الاول وهو مقاومة المذهب السنى والعمل على لفتك بزعمائه اما الثانى غير مقاومة الصليبيين وقتل بعض زعمائهم وتحالفهم معهم احيانا •

الا انه مما يؤسف له ان السهام التى كانوا بها ضرباتهم لكل من الفريقين كانت واحده • فلم يفرقوا فى تحقيقا هدافهم تلك بين فئة واخرى[1] • ويجدر بنا قبل ان ننتقل لهذا الموضوع ان نشير الى موقف المستعلوية فى مصر من النزارية فى بلاد الشام •

---

١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٣

موقف المستعلية في مصر من النزارية في بلاد الشام :

وكان ان تصارع كل من المستعلوية والنزارية حول احقيه كـــل من امامبهما فى تولى الامامة بعد المستنصر ذلك ان الامر بن المستعلى الذى ولى الخلافة اثر موت ابيه المستعلى ولم يتجاوز عمره خمس سنــوات وشهر وبعض ايام (١) . ورث تركة كثقله بالاعباء . ففى مصر جثم علـــى صدره وزيره الافضل بن بدر الجمالى الذى استبد بالسلطة دون الخليفة منذ عهد المستعلى (٢) . فوضع عليه الامر باحكام الله العبيدى مـــن قتله (٣) . هذا عن مصر . اما فى بلاد لشام ... فى حلب ودمشق فقـــد تطلع النزاريون الى اليوم الذى يحقق املهم فى الاطاحة بالخلافـــــة لمستعلوية فى مصر والشام .

لذلك تعين على الامر ان يحدد موقفه لامن الخطرين . وكان ان انتهى من رمقه الافضل فى مصر . اما عن النزاريه فكان عليه ان ـ يصدر سجلا يحدد فيه بطلان امامه نزار ويدحض اقوال انصاره . فكان

---

١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ص ٤٠
٢) يلاحظ ان علاقة الامر بالافضل كانت سيئة جدا . وذلك على عكس ماكان على عهد ابيه المستعلى . فقد حظى الافضل عنده بالحظوه الكبرى فكان هو ـ كما نعته المستعلى ـ السيد الاجل الافضل اميـــر الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنيـن السجلات المستنصرية : ص١٤٧ .
٣) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٤٢ .

السجل الامرى الذى عرف فى المجال السياسى الاسماعيلى ٠
بالسهدايه الامريه فى ابطال الدعوة النزارية [١] ٠ وقد اعتبر الامران ،
من خرج من اتباع نزار على الدعوة فقد صد عن حدود الله ٠ وتاول على
الولاية وتحكم فى الامامه ونبذ عهد الايمان وراء ظهره [٢] ٠ كمــــا
انهم بذلك العمل هبطوا من مرتبه الايمان الخاصة الى رتبة الغواية
العامة [٣] ٠ وقد اتهمهم السجل المذكور بانهم قالوا بامامة نزار ؛ دون
دليل واضح هدادهم ولانص جلى قادهم الى ذلك [٤] ٠

هذا ٠٠ ويستمر فى سجله فيشتشهد [٥] ٠ انه قد اجمع جميع
من يمسب الى الدعوة الهاديه على صحة النص فى الامامه وفســـــاد
الاختيار واتوا بما يؤيده كن البراهين الواضحة والقضايا الصارمه ٠
وذلك ان الاختيار لايصح الابحصول شرائط فى التحيز والمتحيــــز [٦] ٠
ولقد صدر ذلك السجل يوحى من المامون وزير الامر الجديد الــــــذى
وزرك فى عام ٥١٥ هـ/١١٢١م ٠ [٧] ٠

---

١) اصف فيظى الرسالة الموسومة بالهدايه الامريقص
٣ ـ ٣٦

٢) د ـ جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطميه ص ٢٠٦
٣) آصف فيظى الهدايه الامرية ص٩
٤) د ٠ جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطميه ص ٢٠٩
٥) لم يذكر اتاريخ صدور هذه الوثيقة ولكنه استناجا ٠ شوال عام ٥١٦هـ
ديسمبر ١١٢٣م ٠د ٠ جمال الشيال : مجموعة الوثائق الفاطميةص٢٠٣
٦) د ٠ جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٢٠٩
٧) د ٠ سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧

وكيفما كان الامر فانه بتصنيفه ذلك الشجل يدافع فيه عن وجهة نظره فى الامامه • فيقيم الدلائل على امامة ابيه المستعلى • كما انه يبين لنا مدى الخصومه التى كانت مستحكمه بين الفريقين • حتى ان الخليفة لم يكتف بما يصنفه دعاته بل تصدر بنفسه للدفاع وحمل لواء القلم (١) • وكانت كراهته للنزاريه معروفه بشكل ملحوظ لدرجة انه احسن استقبال الذى حمل راس بهرام الى القاهرة فيما بعد وخلع عليه (٢) •

اما النزارية ، فانهم يرجعون السبب الى الافضل الذى كان صاحب الامر فى مصر عند موت المستنصر بالله وهو المستحوذ على مملكته والجند جنده كما ان غلمان ابيه لم يعرفوا سواه • وكان نزار ـ كما اوضح المقريزى ـ لما يرى من غلبه الافضل على الدولة يتكلم بما يلغه فينكره • فلما امات المستنصر بالله والافضل متخوف من شر نزار اقام احمد المستعلى لانه زوج اخته ولانه صغير (٣) •

١) على عبد الوليد — الذخيرة فى الحقيقة ص٨

٢) برنارد لويس — الدعوة الجديده ص ١٢٤

٣) المقريزى — اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٨٧

ولقد حاول الحسن بن الصباح الانتقام لامامه نزار بارسال فرقه من عنده لقتل الامر والمامون بعد ان تخلصا من الافضل (١) . ولكن لمامون استطاع القضاء على كل المحاولات ابن الصباح بنظام التفتيش الدقيق الذى وضعه للبحث عن كل باطنى يصل من الموت فامتنع لذلك الباطنيه مما كانوا قد عزموا عليه من الفتك بالامر وبالمامون لكفهم عن دخول البلد (٢)

وكان المامون قد عين من القصاد الجواسيس واصحاب الخبر فى كل قطر (٣) . فاذا خرج الباطنى من قلاع الموت لاتزال اخباره ترد عليه شيئا فشيئا منذ خروجه من مكانه حتى يرد مدينة بلبيس التى اعتبرت بمثابة محط لتفتيش كل من يريد القاهره من التجار والقصاد وغيرهم من الوافدين على البلاد فيسير اليه من ينقض عليه من فى مكانه الذى نزل فيه وياتيه به فيقتله (٤) وقد كان هذا العمل معدودا من عظيم الحزم (٥) .

---

١) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٨

٢) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٨

٣) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩

٤) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩

٥) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩

الفصل الثانـــى

الفصـل الثانـى

الاسماعيليه والقوى الاسلامية فى بلاد الشام فى القرنين الثانـى عشـر والثالـث عشـر

الحاله السياسيه فى بلاد الشام اواخـر عهد المستنصـر • البساسيرى والدعوه الاسماعيليه فى بغداد • الحكم العباسى واثـره فـى نشر الدعوه فى الشام والعراق • فشل ثورة البساسيرى ومقتله • الاسماعيليه والسلاجقه • الب ارسلان ونظام الملك والتوسع السلجوقى فى بلاد الشـام • موقعة ماتركزت واثرها فى التفوق السلجوقى على الاسماعيلية فى بـلاد الشام • ملكشاه ومحاولـة فتح مصر • فشله فى ذلك • الصراع الاسماعيلـى السلجوقى حول دمشق وحلب وبيت المقـدس • تتش و سرد ولة سلاجـقـة الشام • مقتلة واثره فى تقسيم ملكه • كيف كان سلاجـقـة الشام عاملا اساسيا فى نشر النفـوذ الاسماعيلى • حلب كمركز جـديد وهام للاسماعيليـه • القرامطه والاسماعيليون فى بلاد الشام • الحسن بن الصباح واقليم الشام • ابو طاهر الصايغ فى بلاد الشام • الحكيم المنجم ودوره فى حـلب • الامير رضوان واسماعيليه مصر • اثر الاسماعـيليه فى الحياة السياسية والاجـتماعية والاقتصادية فى حلب • الاغتيالات اغتيال جناح الـدوله وأثره •• ابـو الفتح السرمينى • اغتيال خـلف بن ملاعب ونتائجـه • موقف اهل حـلب من الاسماعيليه • الاسماعيليـه واغتيال مودود • رأى حول ذلك • الاسماعـيليـه واغتيال آق سنقر البرسقى واسبابه • اسماعيليه حلب والتاجر المشرقـى الخجندى • ثوره حـلب ضد الاسماعيليه • اغتيال الرئيس ابن بـديـع •

الاسماعيليون في دمشق طغتكين والاسماعيليه . المؤامرات الاسماعيليه حول دمشق . بهرام الاسترابادى واصحاب وادى التيم . ابو الوفاء الاسماعيلي يتولى قضاء دمشق . الاسماعيليون وحمص بانياس . الوزير المزدغاني واسباب انضمامه للاسماعيليه . مذبحة دمشق ومحاولة اغتيال تاج السلوك بورى . الاسماعيليون في بغداد . اغتيال الخليفة المسترشد . اغتيال الراشد . تعاون اسماعيلي عباسي .

الاسماعيليه والسلاجقه في بلاد الشام حتى موت المستنصر :

السلاجقة قبيلة من الاتراك الغز أخذ نفوذهم في الأزدياد منذ عهد بغرلبك الذى كان له اكبر الأثر في جمع صفوفهم وبسط نفوذهم على جهات واسعه من الدولة الاسلامية . (١) شملت مرو ، ونيسابور وكرمان وأذربيجان وطبرستان وخراسان وأخيرا للعراق وبلاد الشام (٢) .

وكانت ثورة البساسيرى ضد الخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥م . سببا في توثيق الروابط السياسية بين طغرلبك والخليفة (٣) . وذلك بسبب استنجاد الخليفه بطغرلبك ضد البساسيرى بسبب الوحشه التي وقعت بينه وبين الخليفه وشكوى الأتراك

(١) د . سعيد عاشور الحركه الصليبيه ج ١ ص ٧٨ — ٧٩ .
(٢) د . جمال سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٥٩
King: The kinghts Hospitallers ; PL L3
(٣) البنداري تاريخ آل سلجوق ص ١٣
Huart: Hist, des Arabes . Tome I. P. 354

منه .[1] وكان أن أطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه وذكر قبيح افعاله وأنه كاتب المصريين بالطاعة وخلع ماكان عليه من طاعة العباسيين "[2].
فترتب على ذلك أن فتح باب بغداد على مصراعيه أمام حكام السلاجقه[3] .
فسار طغرلبك وقضى على فتنة البساسيرى .[4] بعد أن كان قد " أحضر القضاه وجماعة من الوجود والاعيان والأشراف وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمى "[5] حدث ذلك فى صفر عام ٤٥٠ هـ مارس ١٠٥٨م .

فضلا عن ذلك فانه إعلن فى جامع المنصور فى يوم الجمعة ١٣ من ذى القعده عام ٤٥٠ هـ/ ١ يناير ١٠٥٩م " الأذان بحى على خير العمل "[6] . كما أنه استطاع أن يضرب نقودا " سماها المستنصريه وكان عليها من فرد جانب لااله الا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله ــ على ولى الله ومن الجانب الآخر عبد الله ووليه الامام ابو تميم معد المستنصر بالله إمير المؤمنين "[7]. فاعاد طغرلبك الخطبه للخليفه العباسى عام

---

(١) المؤيد فى الدين — سيرة المؤيد ص ١٨٣
(٢) ابن كثير — البداية والنهايه ج ١٢ ص ٦٦
(٣) ابن طباطبا — الفخرى فى الآداب السلطانيه ص ٢١١
(٤) ابن الاثير — الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ٣٢٦ ــ ٣٢٨
ابن العبرى — تاريخ مختصر الدول ص ١٨٤
(٥) ابن كثير — البدايه والنهايه ج ١٢ ص ٨٠
(٦) ابن الجوزى — المنتظم ج ٨ ص ١٩٢
Hurt: Hist . des Arabes . Tome I. P. 354
(٧) ابن الجوزى — المنتظم ج ٨ ص ١٩٦

٤٥١ هـ/ ١٠٥٩م وقتل البساسيرى [1] . فكان ثمن ذلك أن استأثر طغرلبك بالسلطه فى بغداد . فأصبح الخليفه العباسى لقمة سائغة فى فم السلاجقة . وعلى حد تعبير النسوى " اقتضى الامر تحكم بنى سلجوق فى بغداد " [2] . كما أن سقوط بغداد فى يد السلاجقه كان افتتاحا واسعا لتحقيق حلمهم نحو الاستيلاء على بلاد الشام . وكان ذلك أملا يراود طغرلبك ثم ابن أخيه ألب ارسلان من بعده والذى تولى الحكم فى الثامن من رمضان عام ٤٥٥هـ [3] ٤ سبتمبر ١٠٦٣ م .

وكان أن لعب الب أرسلان مع وزيره نظام الملك أهم الأدوار فى رسم السياسة السلجوقية وتحديد أهدافها القريبة والبعيده . فاتفق رأيهما على ضرورة بسط نفوذ الدوله على مناطق جديده لتتسع رقعتها ويعلو شأنها [4] ويستدل على ذلك من رد نظام الملك على كتاب ملكشاه السابق الأشارة اليه فى الفصل الأول " فأنى قدت الامور اليه وجمعت الكلمه عليه وفتحت له الامصار القريبه والبعيده وأطاعه القاصى والدانى " [5]. ذلك فى الوقت الذى كانوا يراقبون عن كثب نفوذ بنى بويه وعلو شأنهم فى بلاد فارس وكرمان والعراق . وفيما يبدو أن السلاجقه تطلعوا الى فتح البلاد

---

(١) د . سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٣٦
(٢) النسوى سيرة السلطان جلال الدين ص ٥٠
(٣) ابن كثير البداية والنهايه ج ١٢ ص ٩٠
(٤) د . عبد النعيم حسنين سلاجقه ايران والعراق ص ٥١
(٥) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ٧١

المسيحية المجاورة لهم (١) • كما انهم تطلعوا أكثر الى اسقاط الخلافة الاسماعيليه فى مصر وتوحيد العالم الاسلامى تحت راية الخلافة العباسية السنيه • فى ظل نفوذهم • والواقع كان عصرهم — بعد عصر صدر الاسلام — أول من تنبه الى ضرورة توحيد الامة الاسلامية •

وكيفما كان الامر فقد تقاسم السلاجقة فى العراق والروم فى آسيا الصغرى والاسماعيليون فى مصر الصراع على امتلاك بلاد الشام فى تلك الآونه (٢) • فلم يكد الب ارسلان ينتهى من مشاكله الداخليه حتى توجه بجيوشه الى البلاد المسيحيه المجاورة وعلى رأسها ارمينيا • فرد عليه الامبراطور رومانوس الرابع بالتوجه على رأس جيش كبير للاستيلاء على حلب التى كانت تخضع حينذاك لنفوذ الحكم المصرى (٣) • ولكن الب ارسلان الذى كان قد تطلع بكل ماأوتى من قوة الى امتلاك بلاد الشام لم يقف مكتوف الايدى فاسرع على رأس جيشه متوجها الى تلك البلاد عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م • ليلتقى برومانوس الرابع امبراطور الدوله البيزنطيه عندما تركزت مساء الجمعه الموافق ٢٦ من رجب عام ٤٦٣ هـ — ٢٩ من ابريل ١٠٧١م فى موقعة دارت فيها الدوائر على القائد

---

(١) ابن ابيك الدوادار — كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٢

(٢) ابن كثير — البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١٠٠—١٠١

(٣) سيديو — تاريخ العرب العام ص ٢٢٠

البندارى — تاريخ ال سلجوق ص ٣٥

(٤) ابن العبرى — تاريخ مختصر الدول ص ١٨٧ — ١٨٨

د • جمال سرور — النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٠

البيزنطى (١) " فأنهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأ ت الأرض بجثث القتلى وأسر ملك الروم " (٢) • بعد ان انفض من حوله معظم أنصاره (٣).

ولقد اثبتت ماتركزت على انها جديرة بتثبيت اقدام السلاجقة فى بلاد الشام • كما ان انتصارهم السريع والحاسم فى تلك الموقعة دفعهم بشده • وثبات الى التوسع على حساب من جاورهم من الدول الاسلامية والمسيحية على السواء • حتى ان بعض المؤرخين الأوربيين اعتبر ان ذلك كان من اهم الاسباب الرئيسيه والمباشرة لوقوع الحرب الصليبيه الأولى (٤). وعليه فقد تعين حينئذ على محمود بن صالح بن مرداس حاكم حلب ان يذعن لقوة السلاجقة ويعترف بسلطانهم • فأقام الخطبه لخليفة بغداد القائم بأمر الله بدلا من خليفة مصر المستنصر بالله الاسماعيلى (٥) .

لم يكتف ملكشاه الذى تولى الأمر بعد موت أبيه فى ربيع الأول ٤٦٥هـ نوفمبر ١٠٧٣م بما بيده من البلاد الشرقية (٦) • فوجه جيشه بقيادة أتسز

---

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٨٨
(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢ ـ ٢٣
(٣) ابن ابيك الدوادارى كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥
ykes: A Hist. of Persia . Vol. II. P. 103-104
(٤) ing: The Knights Hospitallers; P. 13
(٥) المقريزى السلوك ج ١ ص ٣٣
محمد كرد على خطط الشام ج ١ ص ٢٦٢ـ٢٦٣
(٦) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٥

بن أوف الخوارزمي " ويلقب بالمعظم ، وكان أول من استعاد بلاد الشام من ايدى الفاطميين وأزال الآذان منها بحي على خير العمل بعد ان كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائه وست وستين " [1] ، وكان ذلك في ذى الحجه ٤٦٨ هـ — يوليه ١٠٧٦ م [2] ، فاستطاع أن يستولي أولا على الرمله وبيت المقدس عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م [3] ، وكان قد بذل جهدا كبيرا في فتح دمشق من قبل بسبب قوة حاميتها الاسماعيليه [4] ، فيشدد عليها الحصار اكثر من مرة حتى تمكن من فتحها [5] ، وقد رحب اهالي دمشق المتعصبين لسنيتهم بذلك الفتح [6] ، كما انهم عملوا على تعزيزه وتثبيته ، وكانت دمشق كما وصفها مؤرخها ابن القلانس " اموية الطابع " [7] .

والواقع ان فتح دمشق اعطى ملكشاه دفعة قويه للسير نحو مصر والعمل على فتحها للقضاء على الخلافه الاسماعيليه ، فما كان منه الا ان وجه قائده أتسز التركماني على راس حملة كبيرة لتفتحها عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م [8] ، وبالرغم

---

(١) ابن كثير — البدايه والنهاية ج ١٢ ص ١١٢-١١٣

(٢) د . جمال سرور — النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٠

Huart: A Hist. des Arabes. Tome I P. 353

(٣) ابن العبرى — تاريخ مختصر الدول ص ١٨٥

King: The Knights Hospitallers. P.13

" يلاحظ ان الاثير ذكرها في حوادث عام ٤٦٣هـ " الكامل ج ١٠ ص ٢٥

(٤) ابن الأثير — الكامل ج ١٠ ص ٢٣

(٥) د . سعيد عاشور — مصر في العصور الوسطى ص ٢٣١

(٦) ابن خلدون — العبر ج ٤ ص ٦٥

(٧) ابن القلانس — ذيل تاريخ دمشق ص ١٢

(٨) د . سعيد عاشور — مصر في العصور الوسطى ص ٢٣٢

من أنه استطاع التوغل فـى الأراضى المصريه حتى كان قاب قوسين أو أدنـى من مدينة القاهرة فانه فشل فى الاستيلاء عليها او النيل منها لاستماتـة المصريين بقيادة بدر الجمالى فى الدفاع عنها [١] • فارتد أتسز الى بـلاد الشام " منهزما فى نفر طليل متسن عسكرة " [٢] • وعليه فلم يعاوده التفكير فى غزو مصر مرة أخرى • واكتفى ملكشاه بضرورة اتخاذ كل الوسائل اللازمـة لتأمين فتوحاته فى الاراضى الشاميه وانتزاع ما يمكن انتزاعه من يـد أعدائـه الاسماعيليين •

وترتـب على هزيمة السلاجـقـة على مشارف القاهرة اعلان بعـض المدن الشاميه الكبرى كحلب مثلا ولاءها مرة اخرى للخليفة الاسماعيلى فـى مـصر [٣] فتعين على تاج الدوله تتش الذى تولى أمر البلاد الشاميه — بنـاء على امر ملكشاه — ان يتوجه عام ٤٧١ هـ/١٠٧٨ م على الفور الى حـلب ليردهـا الى منطقة نفوذه [٤] • وعلى ذلك انتهز الاسماعيليون فى مصر فرصة انشغال تتش امام حلب فاسرع بدر الجمالى بانفاذ نصر الدوله علـى رأس جيش مصرى كبير لاعادة دمشق الى حظيرة المصريين [٥] • فلما عجـز حاكمهـا أتسز عن مجابهة الموقف سارع بالاستغاثه بتتش الذى أسرع بالعـودة اليهـا

(١) ابن ميسر — تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٥
ابن كثير — البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١١٦

(٢) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ٣٥ — ٣٦

(٣) د • جمال سرور — النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٢

(٤) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ١٠٥

(٥) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ٣٨

ليجد جيش الاسماعيليين قد رحل عنها اثر سماعه باقتراب تتش(1). فدخلها تتش عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م دخول الظافرين (٢). فاتخذها مقرا له، بل وأسس فيها دولة سلاجقة الشام (٣). ولم يلبث أن قبض على حاكمها أتسز وقتله بسبب تعاونه في الدفاع عنها (٤). وان كان ابن كثير قد رجع اقدام تتش على قتله لأنه " لم يركب لتلقيه فأمر بقتله فقتل لساعته " (٥). وصار هو يتولى بمفرده جميع الامور في بلاد الشام " فأحسن السيرة في أهله وعدل فيهم (٦). واذا ماأخذنا قول ابن كثير في مقتل أتسز قضية مسلمه، فان ذلك يعزز اتهام ملكشاه بقتل وزيره نظام الملك من قبل حينما تطاول عليه. ويعزز من جانب آخر رأينا في ان السلاجقه لم يقبلوا مهادنة من يعانيهم أو يحط من قدرهم.

لم يقف الاسماعيليون في مصر مكتوفي الايدي أمام اقتطاع السلاجقه لأهم اجزاء دولتهم في بلاد الشام. فعمل بدر الجمالي على استرداد مايمكن استرداده منها. فسار في عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م في جيش آخر الى دمشق كي مايستردها من تاج الدوله تتش (٧). فحاصرها

(١) د. جمال سرور — النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٢
(٢) د. سعيد عاشور — مصر في العصور الوسطى ص ٢٣٢
(٣) المقريزي — اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٢٠
(٤) الذهبي — دول الاسلام ج ٢ ص ٥
د. عبد النعيم حسنين — سلاجقة ايران والعراق ص ٦٤
(٥) ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٦٤
(٦) ابن كثير — البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١١٩
(٧) ابن الأثير — الكامل ج ١٠ ص ٣٨
ابو الفدا — المختصر ج ٢ ص ١٩٤.

حصارا شديدا ودارت وهى الحرب بينهما . فلما تبين له عدم امكان التغلب على تتش قرر العودة الى مصر (١) . الا ان ذلك لم يفت فى عضده . فاعاد الكرة لاستعادة نفوذه على الشام . فتمكن عام ٤٨٢ هـ/١٠٨٩م من الاستيلاء على سواحله (٢) . فاستولى على صور من اولاد القاضى عين الدوله بن ابى عقيل ، وعلى صيدا ثم على عكا وجبيل " فملكوها وأصلحوا احوالها وقرروا قواعدها واستعمل أمير الجيوش عليها الامراء والعمال " (٣) . ولكن السلاجقه ردوا عليه بالمثل اذ حدث عام ٤٨٥ هـ/١٠٩٢م قرر السلطان ملكشاه بالاتفاق مع اخيه تاج الدولة تتش واقسنقر قسيم الدوله الاستيلاء على بعض ممتلكات الخليفة المستنصر بالله (٤) . فاستولى على حمص وقلعتى عرقه وفاميه (٥) .

بيد أن سحر الانتصار الذى تحقق لتتش فى بلاد الشام على عهد ملكشاه اطمعه فى أملاك اقرانه من السلاجقه . فتطلع الى امتلاك بلاد الجزيرة وفارس والعراق (٦) . فما ادى الى وقوع الخلاف

---

(١) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ٤٩
(٢) د . سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٣٢
(٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٦٠
(٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ١٠٨
(٥) د . جمال سرور النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٣
(٦) ابن كثير البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١٤٨

بينه وبين ابن اخيه بركيا روق عام ٤٨٦هـ/١٠٩٣م ٠ الـذى عـزز الاسماعيليون من شأنهم فى عهـده (١) حتى اتهم بركيا روق بمشايعتهم وبأنه يد الاسماعيليين الاول فى بلاد فارس واصفهان ٠ كما اتهم بذلك ايضا بعض سلاجقة كرمان (٢) ٠ وأما الاسماعيلية فكثروا بالعراق واصبهان واستنصروا وملكوا القلاع لاشتغال الاخوه محمد وبركيا روق وسنجر بالقتال على الملك " (٣) ٠ ومن هنا نستطيع الوقوف على مدى الدور الذى لعبه الاسماعيليون فى التلاعب بمقادير امور دولة من اعظم الدول الاسلاميه التى ظهرت فى بلاد الشرق فى عصره الوسيط ٠٠٠ الا وهى الامبراطوريه السلجوقيه ٠

وكيفما كان الأمر فقد ادى مقتل تتش فى حرب عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م الى اقتسام ملكه فى بلاد الشام بين ولديه رضوان ودقاق (٤) ٠ فاختص رضوان ٤٨٨ـ٥٠٧هـ = ١٠٩٥ـ١١١٣ بحلب ٠ لما دقاق ٤٨٨ـ٤٩٧هـ ـ ١٠٩٥ ـ ١١٠٣ ٠ فكان نصيبه دمشق (٥)٠ ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بينهما عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م ٠

---

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٦٤

(٢) البندارى — تاريخ آل سلجوق ص ٦٣

Sykes: A Hist. of Persia, Vol. II.P.119

(٣) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٢٣

(٤) ابن الجوزى — المنتظم ج ٩ ص ٨٧

ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ٨٤ ـ ٨٥

البندارى — تاريخ آل سلجوق ص ٨٥

(٥) ابن كثير — البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١٤٨ـ ١٥٠

فطمع كل منهما في ملك الآخر ٠ فاراد رضوان الاستيلاء على دمشق الا أنه عجز أمام حصانتها ٠ فرد عليه دقاق بمثل فعلته هذه ٠ فسار لمهاجمة حلب وحصار اخيه ٠ فالتقى الجيشان في معركة عنيفه عند قنسرين (١). وعلى اثر انتهاء الحرب بينهما بهزيمة دقاق اتفقا على اقامة الخطبة باسميهما في دمشق " على ان يخطب لرضوان قبل دقاق (٢) ٠

اذ من هذا العرض نفهم ان بلاد الشام ظلت ميدانا واسعا تتصارع على مسرحه القوى الاسماعيليه مع القوى السلجوقيه حتى نهاية عهد المتنصر بالله الاسماعيلي على وجه التقريب ٠ ذلك العصر الذي شهد أحداثا جساما تغيرت لها معالم التاريخ الاسلامي على مستوى الصعيد العربي كله في منطقة تربعت على قلب العالم ٠ وكانت ولا تزال مصدر الالهام لمختلف الحضارات الانسانيه ٠

اما تلك الاحداث فتتمثل اولا في موت المستنصر الاسماعيلي وماترتب على ذلك من انشقاق خطير في البلاط الاسماعيلي وفي صفوف الدعوة ٠ وقد سبق لنا بحث دوافعه واسبابه وماترتب عليه من نتائج وآثار ٠ وثانيهما ظهور الحسن بن الصباح الذي قاد الفرقة الاسماعيلية النزاريه والتي لعبت دورا هاما في تاريخ العالم الاسلامي في فارس

---

(١) الذهبي — دول الاسلام ج ٢ ص ١٩

(٢) ابن الأثير — الكامل ج ١٠ ص ٩٣

د ٠ جمال سرور — النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٤

وأصفهان ومصر وبلاد الشام . أما ثالثها وهو الأهم فهو ذلك الغزو الاوربي الخطير لبلاد الشرق الاسلامي والمتمثل في الحروب الصليبيه ، وماترتب عليها من تغييرات شامله في القوى الحاكمه ، ومالعبته من دور خطير في تشكيل الرقعه السياسية لخريطة الشرق العربي زهاء قرنين من الزمان او اكثر .

الأسماعيليون يتخذون حلب مركزا جديدا لهم :

أوضحنا فيما سبق أن مدينة سلميه من بلاد الشام كانت هي المقر الأول للدعوة الاسماعيلية السريه . فمنها خرج دعاتهم الى إطراف العالم الاسلامي حتى استقر بهم الامر في بلاد المغرب على عهد خليفتهم الاول عبيد الله المهدي ليقيم هناك لاول مرة في التاريخ خلافة اسماعيلية فتية اندفعت فيما بعد بكل قوتها لتغزو الكثير من الامصار الاسلاميه وغير الاسلاميه وعلى رأسها مصر وبلاد الشام (١) .

كذلك شهدت بلاد الشام في غضون ذلك العصر حركات القرامطة الذين اعترفوا — الي حين — بسلطان الاسماعيليين (٢) . حتى ليعتقد كثير من الباحثين ان القرامطه فرع من الاسماعيليين (٣) . ولكن

---

(١) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص١٨٣ـ١٨٥
(٢) ثابت بن سنان تاريخ اخبار القرامطه ص١٣ـ١٤
(٣) د . محمد يحيى الهاشمي الامام الصادق ص ٦٩

القرامطه فى حقيقة امرهم ليسوا الا فئه من المنشقين على الحكم العباسى اتخذوا الاسماعيليه مذهبا لدولتهم التى اقاموها فى البحرين ليستمدوا منها العون والقوة ضد الخلافة العباسيه التابعه على حدودهم فى بغداد ٠ ذلك فى الوقت الذى نجد بعض حكام القرامطه قد دانوا للخلافه العباسيه فى اواخر عهدهم بالحكم٠(١) وذلك مما يدعم رأينا فى ان القرامطه ليسوا فرعا من الاسماعيليين ولا الاسماعيليه كانوا من القرامطة ٠

ومهما يكن من امر فان الاسماعيليه لم تجد فرصه فى بلاد الشام الا وانتهزتها لتثبيت دعائم حكمها او لبث مبادئها ضد الحكم السنى القائم فى البلاد ٠ ولا يغيب عن فكرنا انه عندما ملك الاسماعليون مصر عام(٣٥٨ هـ ــ ٩٦٩م ولوا وجههم شطر بلاد الشام ليقفوا على المدى القريب او البعيد على حدود عدوتهم اللدود بغداد (٢) ٠ وقد تيسر لهم ذلك فدخلوها على عهد البساسيرى عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٩م ٠ واقيمت دعوتهم بها ورفعت راياتهم حوالى عام تقريبا (٣)٠ الامر الذى ترتب عليه فرار الخليفه القائم بامر الله العباسى الى قريش بن بدران (٤)٠

---

(١) ثابت بن سنان تاريخ اخبار القرامطه ص ١٠٤ ــ ١٠٦
ابو الفدا المختصر ج ٢ ص١١٧ ــ ١١٨
(٢) د ٠ سيده اسماعيل الكاشف مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٢٩
(٣) المؤيد فى الدين سيرة المؤيد ص ٤٠
(٤) ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ١٤٦

مما ساعد البساسيرى على الانقضاض على قصر الخلافه " فسيرت ثيابه وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر " (١) . وقد ظلت هذه الأشياء بها حتى استولى عليها صلاح الدين يوسف بن ايوب فبعث بها الى الخليفة المستضئ " . (٢) .

كذلك استطاعوا التأثير فى حكام الموصل من قبل . فخطب معتمد الدوله ابو المنيع قرواش بن مقلد للحاكم بامر الله الاسماعيلى بالموصل والانبار وقصر ابن هبيره والمدائن (٣) . وكان ذلك على عهد القادر بالله العباسى . كما استطاع الظاهر لاعزاز دين الله الاسماعيلى عام ٤٢٥ هـ/ ١٠٣٣م بث دعاته ببغداد عند اختلاف الاتراك بها فكثرت دعاته هناك واستجاب لهم خلق كثير " (٤) ومن هنا أصبح للاسماعيليين اتباع ومستجيبون فى مختلف ارجاء الشام . بالاضافة الى ذلك فقد مر الحسن بن الصباح حال فراره من مصر ببلاد الشام والعراق واستطاع الاقامة فى مدينه حلب فدعا الى مذهب امامه الاسماعيلى (٥) .

---

(١) المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٥٥
(٢) المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٥٥
(٣) ابن ايبك الدوادارى كنز الدرر ج ٦ ص ٢٨٣
ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ١٤٧
(٤) المقريزى الخطط ج ٢ ص ٣٥٤
(٥) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ٩٢
Defremery: Essai sut L'Hist. des Isma. P. 67

وعليه فقد اخذت المبادئ والعقائد الاسماعلية تقوى وتنتشر في بلاد الشام كلما واتت الاسماعيليين فرصه او بدرت لهم بادرة ٠

بالاضافة الى ذلك كله فقد كانت بلاد الشام في ذلك العصر منقسمة الى امارات صغيرة متنازعه فيما بينها وتشاحنه متباغضه بسبب مطامع الأمراء واحقادهم ٠ فرضوان بحكم مدينه حلب ويسيطر عليه زوج امه الامير جناح الدوله صاحب حمص ٠ ودقاق يحكم دمشق ويدير اموره ايضا اتابكه وزوج امه طغتكين ٠ وباغيسيان يحكم انطاكيا ٠ وتقام الخطبه في دمشق وانطاكيا باسم رضوان قبل اسمى اصحابهما ٠ وعلى ذلك فان كل هذه الامور اوجدت جفوه خطيره فيما بينهم جميعا ٠ الامر الذى سهل على دعاة الاسماعيلية التغلغل في صفوفهم وتثبيت أقدامهم في بلاط كل منهم على قدر الأمكان ٠

هذا ٠٠ ويبدو ان اقليم الشام كان قد وضع من قبل في اعتبار ابن الصباح — المؤسس الاول للنزاريه (١) — ومدينه حلب بالذات ٠ لأنها تعتبر من اهم مدن الشام ٠ ولأن ملك الشام يحصل بها " فمن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق" (٢) ٠ لذلك لاضرران يركز الاسماعيليون اهتماماتهم لامتلاكها والسيطرة عليها ٠ او على اقل تقدير اخضاع

---

(١) Browne: A Lit. Hist. of Persia. Vol. I .P. 408
Lewis: Assassins of Syria .P. 577

(٢) ابو شامه الروضتين ج ١ ص ٤٧

حكامها لنفوذ دعوتهم وكان اقليم الشام ـ على ما نعتقد ـ يخضع من الناحية الروحيه لاحد الدعاة الثلاثة الذين ولاهم ابن الصباح امر الدعوة ٠ وقد تولى ابو طاهر الدعوة فى الاراضى الشامية (١) ٠ فأخذ يبث دعاته فى تلك البلاد دون ان يحدد لمقامة مكانا بعينه ٠ حتى وفد على حلب رجل يعرف بالحكيم المنجم أسعد ٠ او كما اسماه ابن القلانس " بالحكيم المنجم الباطنى " ٠ وقد ذكر نفس المؤرخ أنه كان صديقا للملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب" (٢) ٠ وهو اول من أظهر مذهب الباطنيه فى حلب والشام " (٣) ٠ فحسن لرضوان مذهب العلويين المصريين ٠ واتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم يبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق " (٤) ٠ الامر الذى ترتب عليه اقامة الخطبه للخليفه المستعلى فى حلب عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م مدة اربع جمع (٥) ٠ ثم اعادها للخليفه المستظهر العباسى ثم للسلطان بركيا روق ثم لنفسه (٦) ٠

---

(١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨
(٢) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٤
(٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤
ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٩
(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٥٣
(٥) ابن كثير البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١٥٤
(٦) د ٠ سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ١١٧

وعلى الواقع لقد كان ذلك الاضطراب السياسى فى البلد من دواعى تسهيل مهمة الحكيم المنجم • وكان سبب ذلك - على حد قول المقريزى مؤكدا ماجا • فى تاريخ ابن الأثير - أن الامير رضوان انما قصد من ذلك ان يستعين بعساكر مصر على اخذ دمشق من أخيه دقاق • الا ان انكار الامير سقمان بن ارتق على رضوان عمله هذا اعاده الى صوابه فأعاد الخطبه لخليفة بغداد • وقد اضاف المقريزى قائلا " فكان مدة الخطبه للمستعلى اربعة أشهر " (١)• بينما يؤكد ابن الاثير وابو الفدا بانها " كانت لاربع جمع " (٢) •

اذا والحال كذلك ،كان لابد ان يستحوذ الحكيم المنجم على افكار رضوان وان يسيطر عليه بدهائه ومكره (٣)• فكان أن وسوس له ان اخاه بهرام وصهره جناح الدوله يتآمران عليه ، وانهما يريدان انتزاع حلب منه • كما زين له ان يستعد لملاقاة جموعهما ووعده الحكيم بمساعدة الموت • وفعلا ارسل الاسماعيليون فى بلاد الشام الى الامير رضوان يعدونه بكل مساعده ، كذلك فقد تمادوا فى اغرائهم اياه فلقبوه بالسلطان (٤)• فظن الامير رضوان - جهلا منه - انه لابد وان

---

(١) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P.146
(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٩٣
ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ٢١٠
(٣) فيليب حتى تاريخ العرب ج ٢ ص ٥٣٨
(٤) د • محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ٩٣

يجيء يوم يتولى هو الاماره عليهم . وقد وصفه ابن العديم بقوله " واستمال الحكيم رضوان الى الباطنيه جدا وظهر مذهبهم في حلب وشايعهم رضوان وحفظ جانبهم وصار لهم بحلب الجاه العظيم والقدرة الزائده .. وصارت لهم دار دعوة بحلب في ايامه . وكاتبه الملوك في امرهم فلم يلتفت ولم يرجع عنهم "(١). وعلى ذلك فقد " عظم شأنهم وصار كل من يجني جناية منهم منعوه وحرسوه وكاتبوا الملوك في امره حتى يخلصوه . فكثر بذلك اتباعهم واشتهر امرهم " واشتدت شوكتهم وصار الرجل منهم يلقى الرجل من غيرهم فينزع عنه ثيابه ولا يقدر على الامتناع منه ولا يجد نصاصرا . ويلقى احدهم المراه والصبي في الطريق فيقبضه ويذهب به اتى شاء ولا يقدر أحد على استخلاصه "(٢).

من هذا العرض السريع يتبين ان الاسماعيليين استطاعوا فساد العلاقات بين رضوان وبين اقرانه من الملوك والامراء السلاجقه وولاتهم في بلاد الشام (٣). وعليه فقد غدت هذه البلاد مسرحا لعمليات الاغتيال على غرار ماحدث في بلاد الشرق ... في فارس واصفهان .

---

(١) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٥
Guyard: Un Grand Maitre. P. 27

(٢) ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٧١ مخطوط

(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٩٣ـ ٣٩٥

وكان أن ساءت العلاقات فعلا بين الامير رضوان وصهره جناح الدولة الأمر الذى اوقع بينهما مايشبه الحرب [1] . حيث سار جناح الدوله عام ٤٩٦هـ — ١١٠٢م الى سرمين فالتقى بعسكر رضوان فهزمهم . ففر رضوان فى كثير من جنده . فى الوقت الذى اسر جناح الدولة الوزير أبا الفضل بن الموصول مع فريق منهم وحملهم الى حمص [2]. ولكنه فشل فى العثور على الحكيم المنجم الذى كان قد رافق رضوان فى حملته هذه حيث فر منهم عند محاولتهم القبض عليه . ومرجع ذلك — كما افاد ابن العديم — انه كانت فى نفس جناح الدوله هنات من صهره رضوان منذ ان استنجد به الأخير بعد هزيمة الاتارب فى شعبان عام ٤٩٢هـ يونيه عام ١٠٩٩م . وكان قد توجه رضوان على الفور الى حمص "مستنجدا بجناح الدوله فأجابه" [3] . فعاد الى حلب ومعه جناح الدوله . فدخل رضوان مدينته دون ان يلتفت الى جناح الدولة الذى رابط بظاهر حلب تلبية لنجدته . ولما لم يعره رضوان اى اهتمام اضطر آسفا للرجوع الى حمص متحملا مشاق الرحله . وقد دبر فى نفسه أمرا .

---

(١) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ٩٣
Gyar Guyard: Un Grand Maitre . P. 27

(٢) ابن العديم زبده الحلب ج ٢ ص ١٤٥

(٣) ابن العديم زبده الحلب ج ٢ ص ١٤٤

وكان من الطبيعي ان ينتقم الاسماعيليون لأنفسهم ولحليفهم رضوان من عدوه . وهنا كان لابد للخنجر ان يتحدث ليوجد جوا آخر من رعب الباطنية في بلاد الشام . فدبروا على الفور حملة لاغتيال جناح الدوله للخلاص منه . فانتظروه في جامع حمص حتى نزل من القلعه لصلاة الجمعة الثاني والعشرين من شهر رجب عام ٤٩٥هـ مايو عام ١١٠٢م [١] . وكان يحيط به خواصه واصحابه مزودين بسلاحهم . وبالرغم من كل ذلك فانه لم يكن يستقر في موضع مصلاه حتى وثب عليه ثلاثة من الباطنيه [٢] . " وكان معهم شيخ كبير يدعون ويأتمرون بأوامره " [٣]. وكان ذلك الشيخ — فيما يبدو — قائدا لتلك المجموعة من الفداويه . ومن الغريب انهم كانوا جميعا مرتدين ذي الصوفيه أو " زي الزهاد " . فانقضوا على جناح الدولة بخناجرهم فاردوه قتيلا فضلا عن ذلك فانهم قتلوا جماعة من رفاقه بالمسجد [٤] . فكان جناح الدولة هذا أول ضحية للفداويه في بلاد الشام [٥]. ويعزو ابن العديم — الذي كثيرا ماتحامل على الاسماعيليه — أن قتله " كان بأمر رضوان ورضا [٦]. وهو

---

(١) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٥٧

(٢) سبط ابن الجوزي — مرآة الزمان ج ٨ ص ٤

Guyard : Un Grand Maitre . P. 27

(٣) ابن القلانسي — ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢

(٤) ابن القلانسي — ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢

(٥) د . محمد كامل حسين — طائفة الاسماعيلية ص ١٩٤

Runicman: A Hist. of The Crusades. Vol.11P.120

(٦) ابن العدين — زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٦

الــذى وصف " بأنه كان يستعين بالباطنيه فى كثير من أموره لقلــــة دينــه " (١) • بل كان هو الأداه التى استخدمها الباطنيه لتنفيــــذ اغراضهم على عهده فى بلاد الشام (٢) •

يعتبر اغتيال جناح الدوله بداية طور جديد من أطــوار التاريــخ الاسماعيلى فى بلاد الشام • اذ ان الذى جنى ثمار تلك الجريمة النكــراء هم الصليبيون وحدهم (٣) • فقــد كان جناح الدوله ــ كما وصفه الكـثيــر من المؤرخين ــ مجاهدا شجاعا باشر الحروب بنفسه • وكان يعد العــدة لطردهم من بعض الحصون حول طرابلس (٤) • ذلك أن ريموند صاحب انطرسوس كان قــد فشل فى هجومه الاول على طرابلس لأخــذها من صاحبها فخر الملك بن عمار عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م (٥) • فعاد الـــى انطرسوس لرسم خــطه لحملة قادمه • فضلا عما قام به من توطيد مركــزه فى الجهات المجاورة لانطرسوس " حيث فتحها وقتل من بها مــــن المسلمين " (٦) • فخرج فى ربيع عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م للاستيلاء عـلــــى

---

(١) ابن الأثيــر الكامل ج ١٠ ص ١٧٥
(٢) Guyard : Un Grand Maitre . P27
(٣) سبط ابن الجوزى مرآه الزمان ج ٨ ص ٣ـ٤
د • طه شــرف النزاريه ص ١٨١
(٤) ابو الفــــدا المختصر ج ٢ ص ٢٢٦
(٥) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٥٥
(٦) ابن الأثيــــر الكامل ج ١٠ ص ١٢٠

القيعة حتى يتمكن من عزل طرابلس كذلك ليمد املاكه الى نهر العاصي • غير ان كل محاولاته باتت فاشله [1] • ذلك فى الوقت الذى استطاع ان يحاصر حصن الاكراد الذى كان قد استولى عليه عام ٤٩٣هـ/١٠٩٩م الا ان جناح الدوله استرد ممنه على الغور [2] وبناء عليه فقد تعين على جناح الدوله ان يهب لتطهير المنطقه • ولكن مصرعه على يد الغداويه فى هذه الظروف الحرجه ، جاء مخيبا لآماله وآمال المسلمين [3]. فضلا عن ذلك فقد تعرضت حمص نفسها لغارات ريموند على أثر وقوع هذا الحادث الحزين " فنازل حمص وحصر أهلها وملك أعمالها " [4] . " فصالحه اهلها على مال ورحمل عنها " [5].

وهكذا وقفت حمص فى مفترق الطرق لتحدد من يكون صاحبها بعد الفجيعة الكبرى • فارتفع صوت زوجه ـ أم رضوان فى جانب ابنها صاحب حلب ولكن سرعان ماخفت ذلك الصوت امام اصوات الذين خافوه من اهلها حيث " كره المقدمون ذلك وخافوه لسوء رأيهم فيه " [6] .

---

(1) ابن الأثير — الكامل ج ١٠ ص ١٢١
(2) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨
(3) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٥٩
(4) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٢٠
(5) سبط ابن الجوزى — المرآة ج ٨ ص ٤
الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٢٥
(6) ابن العديم — زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٧

فنادوا باخيه ، لتصبح حمص من نصيب دقاق صاحب دمشق الذى اسرع اليها على الفور واحسن الى اهلها (١) . كما انه اتخذ من الاجراءات مايكفل نقل اهل جناح الدولة الى دمشق معززين ومكرمين (٢) . وبعد ذلك سلم البلد الى اتابكه طغتكين . ويحدثنا ابن العديم ان الحكيم المنجم مات بعد ذلك بحوالى أربعة وعشرين يوما (٣) . بينما نجد أن ابن القلانسى وابا المحاسن يؤكدان بأنه مات بعد مقتل جناح الدوله باربعة عشرة يوما (٤) . كما يقال انه قتل (٥) . على اية حال فان الغموض حاط بشخص الحكيم المنجم ، فلم تسعفنا المصادر بحقيقة ماجرى له .

وتولى ابو طاهر بعد موت الحكيم المنجم امر الدعوة فى حلب اى اصبحت على عهده قلب الاسماعيلية النابض فى بلاد الشام (٦) . كان ابو طاهر اكثر جراة واعظم اقداما من سلفه . كما كان على جانب كبير من النفوذ والسلطان عند حليفه رضوان (٧) . وقد تقاسم ابو طاهر زعامة العالم الاسماعيلى فى بلاد الشام مع زميل له يعرف بابى الفتح

---

(١) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٢٥
(٢) سبط ابن الجوزى — مرآه الزمان ج ٨ ص ٤
(٣) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٥٩
(٤) ابن العديم — زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٧
(٥) ابن القلانسى — ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢
(٦) ابو المحاسن — النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٩
(٧) Grousset: Hist. des Croisades. Vol. PL. 478
(٨) ابن القلانسى — ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩
Runicman: AHist. of the Crusades. Vol. II.P.120

السرميني الذى اتخذ من سرمين كرمتا له حيث تولى القضاء بها . وفي الواقع فقد لعب كل منهما دورا خطيرا في تنشئة تلك الجماعه في حلب[1]. لكن يلاحظ ان الامير رضوان لم يستمر في مؤازرته او احتضانه للباطنيه بصفة مستمرة . فقد ساء موقفه امام السلطان محمد بن ملكشاه ، وبلغه حوالى عام ٥٠١هـ / ١١٠٧م ما ذكر به لمشايعه الاسماعليه وأنه لعن لذلك في مجلس السلطان . فما كان منه ـ مداراة لموقفه ـ ألا أن أمر أبا الغنائم شقيق ابي الفتح السرميني والذى اشترك في قتل خلف بن ملاعب بالخروج من حلب فيمن معه . فانسل وخرج في جماعة من اصحابه بعد ان قتل الكثيرون منهم[2].

وكان ان لقي خلف بن ملاعب مصير جناح الدوله . وكلاهما كان قد تولى امر حمص . وان اختلفت ظروف ومواقع الاحداث وكان ابن ملاعب متوليا لامر حمص من قبل . الا ان رجاله أساءوا معاملة أهلها فضلا عن قطعهم الطرق على الناس من المسافرين والرحاله والتجار . ولما كان ذلك العمل قد أساء الى تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وحلب ووالد كل من رضوان ودقاق ، فانه توجه الى حمص ليحدد موقفه من ابن ملاعب فحاربه فانتصر عليه[3] . وبذلك استطاع ان يستولى على البلد عام

---

(١) د . طه شرف النزاريه ص ١٨٦

(٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٣

(٣) لم تكن هذه الاسباب فحسب هى التى دعت تتش للاستيلاء على حمص بل من بينها ومن اهمها هو اعلان خلف بن ملاعب الخطبه في البلد للخليفه المستنصر بالله الاسماعيلى : ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٠ .

٤٨٥هـ/١٠٩٣م [١] • فتقلبت بابن ملاعب الاحوال حتى دخل مصر على عهد الخليفة المستعلي بالله [٢] • ولما كان اهل فاميه قد اعتنقوا مذهب الاسماعيليين • فقد قدم وفد منهم الى القاهرة يريد ان يجهز اليهم من يلي امرهم • فوقع الاختيار على خلف بن ملاعب وكان ذلك عام ٤٨٩هـ/١٠٩٦م [٣] •

بيد ان الامور لم تستقر بينه وبين السرميني قاضي فاميه النزاري [٤] • فضلا عن ذلك فقد ساءت سيرته من جديد وعمت الفوضى مما دفع انصاره ورجاله الى العودة للسلب والنهب " فقطعوا الطرق واخافوا السبل وانضم اليهم كل مفسد " [٥] • فاتفق القاضي وجماعة من اهلها وكاتبوا الامير رضوان صاحب حلب ـ الذي اعتبر في نظر كل المؤرخين انه عضد الاسماعيلية الاول [٦] • ـ ليرسل اليهم جماعة للتخلص منه [٧] • وبناء عليه ابى كل من رضوان وابي طاهر الدعوة فارسلا

---

(١) ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ٢١٢
(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٤٢
(٣) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٢٢
المقريزي اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٨
(٤) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ج ٨ ص ١٦
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. P.424
(٥) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٢٨
(٦) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج • ص ١٩٢
Grousset: Hist .des Croisades. Vol. I.P. 424
(٧) ابو الفدا المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣١

اليهم من ساستطاع الاجهاز على ابب ملاعب بقتله مع بعض أولاده وكـــان ذلك في رجب عام ٤٩٩ هـ مارس عام ١١٠٦م (١) . وعلى الفور " نـــادوا بشعار الملك رضوان " (٢) . وفى هذا مايؤيـد اشتراك رضوان الفعلى فى تدبير جرائم الاغتيال هذه . وفى غمار المعركه الدامية التى حـدثت بيـن انصار كل من الفريقين استطاع ابنه " مصبح " أن يفر الى شيزر ليقيــم هناك فترة من الوقت (٣) . ثم ليرحل بعد ذلك للاستنجاد بتنكـــرد الذى اسرع الى فاميه ليجنى هو الاخر ثمار ما اقترفه الاسماعيليون وليستولـى عليها بدوره (٤) . وكان مصرع خلف بن ملاعب هذا ثانى الجرائم الباطنيه فى بلاد الشام . وعلى اثر امتلاك تانكرد لفاميه فى المحرم عـــام ٥٠٠ هـ سبتمبر عام ١١٠٦م قتل ابى الفتح السرميني ضمن بعض أنصاره (٥).

---

(١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١
المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٦
وقد صور Grousset ان عدد الذين انفذوا لهذا الغرض كان حوالى ثلاثمائة فدائى وقد تزينوا بزى الفرســـان متظاهرين بانهم نجوا من احدى الغزوات الحربيه ، فـــلاذوا بالفرار الى حصن افاميه لقربه منهم
Grousset :Histse; des Croisades. I.P.424

(٢) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٠
(٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٤٣ الذهبى ٢/ ٢٨
(٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤١٢
(٥) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٧ ابن العديم ٢/ ١٥٢

على أنه لم يكن معنى أن الامير رضوان او عز اليهم بترك حلب على أنه القى بهم فى بحر الظلمات • فقد كانوا لا يزالون ساعده الايمن في حفظ بلده ضد الطامعين فيه • يدليل ذلك إنه استعان بهم في حراسة قلعة حلب ضد اطماع مودود واحمد بل قواد محمد بن ملكشاه الذى كان قد بعث بهما نجده لاهل الشام من اغارات الصليبيين [١] .

حدث ذلك عندما وقع حصن الاغارب — وهو من أعمال حلب — في يد تانكرد عام ٥٠٤ هـ — ١١١٠م عقب استيلائه على فاميه [٢] . مما ترتب عليه ضعف الجبهه الحلبية ضعفا ملحوظا • فاستغل تانكرد هذه الفرصه فطلب الى رضوان الافراج عن أسرى الأرمن الذين وقعوا فى قبضته عند اغارته على انطاكية عام ٥٠٤هـ/١١١٠م مع اسرى آخرين من الفرنج [٣] • فأذعن رضوان لطلبه في بادئ الأمر • مما أدى بتانكرد الى الاسترسال في طلباته وفرض شخصه على رضوان " فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيل والثياب " [٤] • كما صالحهم صاحب شيزر على قطيعة عشرة الاف دينار [٥] • وصالحهم صاحب حماه — على الكردى —

---

(١) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ١٧٠

Rn Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 121

(٢) ابن الوردى تاريخ ابن الوردى ج ٢ ص ٢٠

(٣) . د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج١٠ ص ٤١٩ — ٤٢٠

(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٧٠

(٥) ابن العديم زبدة حلب ج ٢ ص ١٥٧

على الفى دينار[١] . كما دخل امير صور فى عقد الصلح " على شئ " [٢]. ويعد ذلك بمثابة استسلام مشين من رضوان والامراء الذين ذهبوا مذهبه .

وكان ان ترتب على ذلك ان ضاق الحلبيون ذرعا بكل هذه التصرفات فضلا عن ذلك فقد ضعفت الحاله الاقتصاديه فى حلب بسبب كثرة الفتن الاسماعيلية وتلاعبهم بشئون الحكم " واقبالهم على احراق الاسواق وبيوت التجاره والتى كانت احدى الجوائح التى اصابت حلب واهلها " [٣] . الامر الذى ادى بهم الى الاستغاثه بالسلطه الحاكمه فى بغداد لتنقذهم من نير العذاب الذى وقعوا تحت وطاته . فساد وقدمتهم مستغريين على الفرنج " [٤]. فلما وصلوا بغداد اجتمع بهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم . فقصدوا جامع السلطان مستغيثين . فكثر الضجيج وبطلت الجمعه [٥]. فضلا عن كسرهم المنبر [٦]. امام ذلك كان لابد وأن تلبى بغداد دعوة الجهاد [٧] فجهز السلطان محمد بن ملكشاه فى

---

(١) ابو الفدا — المختصر ج ٢ ص ٢٣٦
(٢) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٣٢ : وقد اوضح ابو الفدا ان امير شيزر صالحهم على اربعة آلاف دينار وصالحهم اهل صور على سبعة آلاف دينار : المختصر ٢ / ٢٣٦ .
(٣) ابو شامه — الروضتين ج ٢ ص ١٦
(٤) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٧٠
(٥) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٣٢
(٦) ابن القلانسى — ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤
Grousset: Hist . des Croisades. Vol. II.P.461
(٧) ابن كثير — البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١٧٣

لواخر عام ٥٠٤هـ/ ١١١١م • جيشا للذب عنهم (١)• فكان اول من وصل مودود بن التوتناش اتابك الموصل بعسكره الى شيختان • " ووصل أحمديل الكردى فى عسكر ضخم " (٢)• فلاطفه جوسلين بمال وهديـه وأن يبذل له الكون معه والميل اليه فاجابه الى ذلك على كراهية من باقى الامراء (٣)• الا ان الاتابك مرد ودا استطاع فى تلك الاثناء فتح تل قراد وبعض الحصون • ذلك فى الوقت الذى اتفق وصوله مع وصول احمديل الكردى وسقمان القطبى • فعبروا الى الشام (٤) • وعلى الفور نزلوا الى تل باشر فحصروها حتى اشرفت على الوقوع فى أيديهم ولكنهم رحلوا عنها (٥) • نتيجة لتاطىء احمديل مع جوسلين وموت سقمان على الطريق •

وقد حدث فى ذلك الوقت ان وردة رسالة الملك رضوان الى مودود واحمديل " اننى قد تلفت وأريد الرحيل من حلب فبادروا الى الرحيل " (٦) فحسن لهم احمديل الرحيل عنها بعد ان اشرفوا على

---

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣١٦
(٢) ابن الاثير الدولة الاتابكيه ص ١٧
ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٧٥
(٣) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥
(٤) ابن كثير البدايه والنهاية ج ١٢ ص ١٧٣
ابو المحاسن النجوم الزاهره ج ٥ ص ٢٠١
(٥) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩
(٦) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩
Grousset: Hist .des Croisades .Vol. I.P. 462

اخذها . ولما وصلوا الى حلب " اغلق رضوان ابواب البلد ولم يجتمع بهم " (١) ، واخذ الى القلعة رهائن عنده من أهلها لئلا يسلموها (٢). كما أنه " رتب قوما من الجند والباطنيه الذين في خدمته لحفظ سور البلد ومنع الحلبيين من الصعود اليه " (٣). وفي ذلك دلالة واضحه على أنه كان للاسماعيليين في حلب من السطوة والقوة والمنعه ما يستطيعون معه التدخل في شئون حلب حتى في احرج اللحظات مما انعكست اثاره السيئه على الجيش الزاحف فيما بعد . فقد ادى وقوفهم بجانب رضوان أن خرج على الصف العربي وتحالف مع تانكرد Tancred ضد الغزاة من المسلمين (٤). ولو اننا نلتمس له عذرا في تصرفه هذا بسبب انهم عندما نزلوا على حلب " عاثوا في بلادها وفعلوا اقبح من فعل الفرنج " (٥).

لم يكن رضوان هو الذى خشى جيش مودود فحسب بل خافه طغتكين صاحب دمشق ايضا . ذلك انه " لما راى كثرة عسكره خاف ان يأخذ منه دمشق " (٦). اذا والحال كذلك كان لابد ان تفشل تلك الحمله

---

(١) ابو الفدا المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣٦
(٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦
(٣) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩
( ) Grousset: Hist: des Croisades .Vol. I.P. 462
(٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤٦٣
(٥) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦
(٦) ابن الاثير الدولة الاتابكيه ص ١٧

اخذها . ولما وصلوا الى حلب " اغلق رضوان ابواب البلـــد ولم يجتمع بهم [1] . واخذ الى القلعة رهائن عنده من اهلها لئـــلا يسلموها [2] . كما انه " رتب قوما من الجند والباطنيه الذين في خدمته لحفظ سور البلد ومنع الحلبيين من الصعود اليه [3] ـ وفي ذلك دلالـة واضحة على انه كان للاسماعيليين في حلب من السطوة والقوة والمنعـــه ما يستطيعون معه التدخل في شئون حلب حتى في احرج اللحظات ممـــا انعكست اثاره السيئة على الجيش الزاحف فيما بعد . فقد ادى وقوفهم بجانب رضوان ان خرج على الصف العربي وتحالف مع تانكر ضد الغزاة من المسلمين [4] . ولو اننا نلتمس له عذرا في تصرفه هـــذا بسبب انهم عندما نزلوا على حلب . عاثوا في بلادها وفعلوا اقبح مـــن فعل الفرنج [5] .

---

١) ابو الفدا — المختصر في اخبار لبشر ج ٢ص ٢٣٦

٢) سبطابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦

٣) ابن العديم — زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩

٤) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤٦٣

٥) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦

لم يكن رضوان هو الذى خشى جيش مودود فحسب بل خافة ظغتكين صاحب دمشق ايضا • ذلك انه " لما راى كثرة عسكره خاف ان ياخذ منه دمشق[1] • اذا والحال كذلك كان لابد ان تفشل تلك الحمله بسبب عدم اخلاص رضوان صاحب حلب وظغتكين صاحب دمشق[2] • واختلفوا ورجعوا فبئسما فعلوا لانهم طمعوا فى المسلمين عاسكر الفرنج [3] • فعاد مودود الى الموصل [4] • حتى كانت عام ٥٠٧هـ/١١١٣م حينما اختلف ظغتكين وبلدوين الاول حول صور [5] • فاستنجد ظغتكين ـ الذى تولى امر دمشق بعد وفاة صاحبها دقاق عام ٤٩٧هـ/١١٠٤م [6] • فلبى مودود على الفور داعى الجهاد [7] • فعبر الفرات عند منتصف المحرم ٥٠٧ هـ يونيو ١١١٣م ليلتقى بطغتكين وبعض جيوش السلاجقه على طبريه فى المحرم عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣م [8] وعلى اثر معركة ضاريه انزل فيها المسلمون الهزيمة بجيش بلدوين عاد مودود صحبة طغتكين الى دمشق [9] • ذلك بعد ان قرر تسريح بقية الجيوش للراحة على امل العود" للغزو والجهاد فى الربيع القادم [10] •

١) ابن الاثير — الدولة الاتابكيه ص ١٧
٢) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٧١ ـ ١٧٢
٣) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٣٣
٤) ابو الفدا — المختصر ج ٢ ص ٢٣٦
٥) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٢
٦) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٤
٧) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٣٤
٨) ابن القلانسى — ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٥
Grousset: Hist. des Croisades Vol. I. P. 484-485
٩) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣
١٠) ابن الاثير — التاريخ الباهر ص ١٩

وهناك فى دمشق يضع القدر نهاية ذلك المجاهد الكبير • فقد وثب عليه احد الباطنيه • جاءه فى زى سائل فطلب منه شيئا فاعطاه[1] فلما اقترب منه طعنه طعنه نكراء اثناء صلاة الجمعة الموافق السادس والعشرين من ربيع الاخر عام ٥٠٢ هـ العاشر من اكتوبر عام ١١١٣م اودت بحياته[2] • ويقف الجمع فى صحن المسجد مبهوتين مما حدث • وتدور حبائل الاتهام حول طغتكين بان له يدا فى ذلك ولكن كما هى العاده لم يخل الجو من منصف • وكان ••• صاحب المراه •• فقيل ان الباطنيه بالشام خافوه فقتلوه[3] • وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله[4] • وعلى كل فان الراى العام الاسلامى فيما عدا صاحب المراة اتهم طغتكين اتهاما صريحا بالتدبير لقتله[5] • وكان امر على الفور باحراق جثته[6] • اما صاحب المراة فانه ينفى هذه التهمه عن طغتكين نفيا قاطعا • وذكر بعضهم ان اتابك خاف منه فوضع عليه من قتله • وليس بصحيح • فان طغتكين كان احب الناس اليه وحزن عليه حزنا لم يحزنه احد وشقشوه عليه وجلفوفى

١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ص ١٧٣ •
٢) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧
Grousset. Hist. des Croisades. Vol. I. P. 485
٣) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ٢١٨ ـ ٢١٩
٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٧٤
ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ٢٣٧ -
٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٧٦
٦) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣

عزائه سبعة ايام . وتصدق عنه بمال جزيل [1] . وقد حدد المؤرخ عينه هوية القاتل بانه كان رجلا من بين الناس لا يؤبه له ولا يحتفل به . فقرب من مودود كأنه يدعو له ويتصدق منه فلزم ببند قبائه وضربه بخنجر اسفل سرته ضربتين احداهما نفذت الى خاصرته واخرى الى فخذه [2] .

اما فيما يختص بقطع رقبة القاتل . فقد اوضح اكثر من مؤرخ ان سيوف المحيطين بمودود اخذته من كل جانب [3] . وقطع راسه ليعرف شخصه فما عرف واضرمت له نار فالقى فيها [4] . واذا اشارت اصابع الاتهام الى طغتكين ، فمرجع ذلك ان طغتكين كان قد عد الخطوات وقت الكائنة واحاط به اصحابه [5] وكان لاغتياله رنة سمعت اصداؤها في الاوساط السلبية .. فبعث بيدوين يسخر من اقدام المسلمين على اغتيال زعمائهم في اشد الاوقات حرجا فكتب الى طغتكين "ان امة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت

---

١) شبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ ـ القباء : هو القفطان

٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١

٣) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٧

٤) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧

٥) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧

سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١

معبود ها لحقيق على الله ان يبيدها [١] . وقد افاضت المصادر المختلفة في ترديد هذه العبارة مما يدل على انها كانت مثار حديث الاوساط الاسلامية . ويقتل مودود تخلص الفرنج من عدو خطير كان له الشان الاعظم في كل حربه او تعامله لا معهم .

وكما افاد الفرنج من اغتيال كل من جناح للدوله صاحب حمص ، وخلف بن ملاعب صاحب فاميه . فقد افادوا ايضا من قتل مودود . فقد ترتب على مصرعه ان ارتمى طغتكين في احضانهم [٢] . والدليل على ذلك معاهدة الصلح التي وقعت بينه وبين بلدوين عام ٥٠٨ هـ/ ١١١٤م [٣] . حتى وصفه المؤرخون بانه " خلع طاعة السلطان وعاضد الفرنج [٤] . ومع ذلك كله الا ليامن كل منهما جانب الاخر [٥] . وان كان ذلك لا يمنع انه قلق لمقتل مودود . [٦]

---

١) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٧٥

٢) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١

٢) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٢٣

٣) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٧٧

٤) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٣٧

"يلاحظ ان من اهم الاسباب التى دعته الى عقد معاهدة صلح مع بلدوين ، هو ان السلطان ملكشاه نفسه . نسب اليه قتل مودود فاراد الامتناع به لابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٧٧ .

٥) د . حسين مؤنس — نور الدين ص ١٣٥

٦) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٨

كذلك اقبل الباطنيه على اغتيال زعيم اسلامى اخر كان علـــى درجة كبيرة من الخطورة والمكانه السياسيه والعسكريه والاجتماعيـــه فى مجتمع هو احوج ما يكون يحاجة الى امثاله من القاده الافذاذ ـ الا وهو اق سنقو البرسقى صاحب الموصل وحلب[1] . وكان البوسقـــى قد انضم الى طغتكين بناء على استنجاد شمس الخواص صاحـــب دفنيه فى صفر عام ٥٢٠ هـ/ مارس عام ١١٢٦ م ضد الامير بونـــــــز Pons صاحب طرابلس[2] . فخرج البوسقى من الموصل الـــى بلاد الشام ليتجه مباشرة الى انطاكيه . فحاصر حصن الاارب . فاستولـــى على اجزاء منه فى جمادى الاخره (يوليه) من نفس العام[3] . ولكنـــه استجاب للهدنه التى طلبها بلدون Baldwin فانسحب مـــــن حصن الاثارب على ان يرحل عن هذا الموضع ويتفقوا على " ما كانـــوا عليه فى العام الخالى[4] . فعاد الى الموصل ليعد الموقع اخر مـــن مواقع الجهاد ضد الصليبيين[5] . ولكن الباطنيه كانوا فى انتظـــاره ليستقبلوه بسكاكينهم وخناجرهم ، فى زى الزهاد ايضا[6] . وفــــى

---

١) ابن الاثير شذرات الذهب ج ٤ ص ٦١

٢) Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I.P.629

٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٤

٣) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٢

٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩

٤) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣

Grousset: Hist. des Croisades. Vol.I.P. 642

٥) نصت الهدنه المنوه عنها والتى وقعت بين البرسقى والفرنج على ان يناصفهم جبل الساق وغيره مما كان بايدى الفرنج وكان ذلك عام ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م . ابن العديم : زبدة الحلب ٢ / ٢٣١ .

٦) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٧

جامع الموصل حيث كان يؤدى صلاة الجمعة العشرين من ذى القعدة عام ٥٢٠ هـ ٧ ديسمبر عام ١١٢٦م ، غارد وده قتيلا [١] . وقيل كان مصرعه فى التاسع من ذى القعده [٢] . وفى قول اخر فى الثامن منه [٣] . وعلى كل فان اغتياله وافق يوم دخوله الموصل [٤] .

ولما كان البوسقى يسيطر بجانب الموصل على حلب والتى تولى امرها بناء على طلب اهلها [٥] . وكان الفرنج قد حاصرها فى ذى — الحجة ٥١٨ هـ يناير ١١٢٥م ليستولوا عليها ، فكاتبه اهلها بعد ان " قلت الاقوات عندهم واشرفوا على الهلاك ، فسار اليهم فى عسكره وجنده [٦] . فهرع الفرنج الى مغادرتها " فسلمها اليه اهلها [٧] لذلك فان البلد اهتز لمقتله ، فضلا عن انه تعرض لهجوم صليبى من جانب بوهمند الثانى امير انطاكيا وجوسلينى امير الرها [٨] . والغريب ان البرسقى كان قد احترز من الباطنيه بالرجال والسلاح والجاندراية [٩] .

١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ص٢٦٢
٢) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ٢١٩
٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥
٤) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ج ٢ ص٢١٤
ابن القديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٤
Grousset: Hist. des Croisades. P. Vol. I.P. 644
٥) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٠
٦) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢١ — ٢٢٢
٧) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٣
٨) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦١ — ٥٦٣
٩) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٦
ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٠

ولقد نال البوسقى اعجاب اكثر من مؤرخ • فقد وصفه ابو الفدا بانه كان شجاعا دينا حسن السيرة من خيار الولادة (١) • والدليل على تدينه انه راى فى تلك الليله فيما يرى النائم عدة كلاب ثاروا به " فقتل بعضها ونال منه الباقى ماداده (٢) • فلما قص رؤياه على اصحابه اشاروا عليه يترك الخروج من داره بعض ايام • لكنه ردهم بقوله " لا اترك الجمعه لشئ ابدا (٣) • وكان من عادته ان يحضر الجمعة مع العامه فى المسجد • فوقع ما كان قد راه ليلة البارحه • ويقال انه قتل بيده ثلاثة من قاتليه (٤) • كما انه كان عادلا فى الرعيه • وكان على حد تعبير صاحبى المراة والنجوم الزاهرة فقد نال احترام الخلفاء والملوك على السواء (٥) • وقد اتهم الوزير الدركزينى بالتدبير لقتله على يد انصاره من الباطنيه " فجل به مصاب المسلمين (٦) •

---

١) ابو الفدا — المختصر ج ٢ ص ٢٣٨

٢) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥

٣) ابن العديم — زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٥

٤) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥

٥) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ١٢٦

ابو المحاسن — النجوم الزاهره ج ٥ ص ٢٣٠

٦) البندارى — تاريخ ال سلجوق ص ١٣٢

وكانت هذه ذروة الماساه التى وضت قواد امراء المسلمين فى تلك الوقت اذ نتج عن تخوفهم من بعض وترصدهم لبعض وجود ثغرات خطيره وعديده بل وعميقه استطاع الاسماعيليون والصليبيون على السواء النفاذ منها لنيل اغراضهم وتحقيق اهدافهم المتعددة الجوانب والاهداف (١).

ومما يثبت سيطرة الاسماعيليين على الامير رضوان وتدخلهم ، تدخلا مباشرا فى شئون بلاده وتلاعبهم بامورها ما حدث مع التاجر المشرقى المعروف وبابى حرب عيسى بن زيد بن محمد الخجندى الذى قدم الى حلب فى غضون شهر ربيع الاول عام ٥٠٥ هـ = سبتمبر عام ١١١٠م ، ومعه حوالى خمسمائه حمل من اصناف المتاجر الشرقية المختلفة (٢) . وكان ذلك الرجل شديد الكراهية للباطنية (٣) . وقد صحبه فى تلك الرحله من خراسان احد الباطنيه ويدعى احمد بن نصر الرازى كان قد قتل اخ له بواسطة رجال الخجندى فى الثورة التى قام بها ضدهم الفقيه الشافعى ابو القاسم مسعود محمد الخجندى — باصفهان عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠م (٤) . وفور دخولهم حلب اتصل احمد

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣

٢) ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٥٨

٣) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٦٢

٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩

بابى طاهر الصائغ رئيس الباطنيه فيها والذى كان متمكنا من صاحبها برئ من اى تهمه فى شانه . اذ هو معروف بكراهيته وبغضه لهم [١] . وعلى العاده سار رضوان فى غيبه نحو تشجيع الباطنيه طمعا فى مال التاجر . فبعث غلمانه يتوكلون به . كذلك سير ابو طاهر معهم جماعه من اصحابه حاشيه . انه باحمد بن نصر الرازى الباطنى ينقض عليه فى جماعه من اصحاب ابى طاهر . لكنه لم يستطيع تنفيذ جريمته كامله ليقظه حاميه التاجر الذين وثبوا عليه فاردوه قتيلا فى جماعة من موافقيه [٢] .

وقد ادت تلك الجريمه الفاشله الى انفجار ثورة شعبية حادة ضد الاسماعيليه فى البد . كما انه يبدو ان ابا حرب هذا — بحكم مركزه الاقتصادى — كان معروفا لكل ملوك وامراء الشام حيث ابلغهم جميعا بكل ما وقع له فى حلب " فتوافر رسلهم الى رضوان ينكرون عليه . فانكر وحلف انه لم يكن له فى هذا الرجل نيه . [٣] .

ومهما يكن من امر فان الوضع لم يستمر بالنسبة لهم فى حلب ، فقد قضى عليهم قضاء شبه مبرما على عهد ابنه الب ارسلان الذى تولى الحكم عقب وفاة والده رضوان عام ٥٠٧ هـ/١١١٣م [٤] . وذلك حينما دفعه السلطان محمد بن ملكشاه الى ذلك [٥] . وكان

١) ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ١ ص ٥٨
لويس الدعوة الجديده ص ١١٩
٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٦٢
٣) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٦٣
برنارد لويس الدعوة الجديده ص ١١٩
٤) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٩ — ١٩١
ابن ايبك الدوادارى كنز الدرر ج ٦ ص ٤٧٧
٥) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٦

السلطان محمد قد بيت النيه للقضاء عليهم منذ ان كتب اليه اخوه سنجر • ان هوءلاء لا يبقون على ولا عليك والواجب قلعهم من الارض وابادتهم (١) • فكانت مذبحة حلب•

وكان الرئيس ابن بديع صاحب الشرطه فى حلب الدور الاكبر فى اذكاء نار الثورة ضدعهم • فقد اتفق رايه مع ما جاء فى كتاب محمد بن ملكشاه لابن اخيه الب ارسلان • وكان والدك يخالفنى فى الباطنيه وانت ولدى فاحب ان تقتلهم (٢) • ذلك فى نفس الوقت الذى " اشار البديع رئيس حلب على لوءلوء والصبى يقتل كل من فى حلب منهم واغلق دار الدعوة (٣) • فاتفق الرايان على تنفيذ مخططهما ضد الاسماعيلية (٤) • فتم القبض على ابى طاهر وقتله • كما قتل اسماعيل الداعى وبعض كبارهم (٥) • كذلك تم القبض على زهاء مائتى نفس منهم وسجن بعضهم واستصفى اموالهم (٦) • وفى نفس الوقت هرب منهم جماعة فتفرقوا فى البلاد (٧) • اما ابراهيم الداعى ففر هاربا من القلعة الى شيزر (٨) •

---

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٢
٢) ابن العديم زبده الحلب ج ٢ ص ١٦٨
٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٧
Grousset: Hist des Croisades. Vol. I.P. 478-479
٥) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ص ٤٢٢
٦) ابن الاثير الكامل ج ١٠ص ١٧٥
٧) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨
٨) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠

ولكنه بالرغم من وقوع تلك المذبحه الخطيره ، فانهم ظلوا مصدر خطر في المنطقة • كما انهم ظلوا محتفظين ببعض من تماسكهم في بعض اطراف حلب• وكعادتهم لم يتهاونوا في اخذ الثار• فتربصوا بابن البديع ليسقوه من نفس الكاس التي شربوا اوساقعهم منها •

بيد ان الحظ كان قد لعب معهم دورا هاما في ذلك• فقد نجم عن استنجاد الب ارسلان بطغتكين اتابك دمشق لحفظ الامور في حلب تغييرات شامله في القيادات الرئيسية فيها [1] • وكان من اهم نتائجها القبض على الرئيس ابن ابديع وايداعه السجن• ولكن لم يلبث ان افرج عنه اثر محاولة الانتحار في سجنه [2] • فخرج مع اهله في قطع من الليل قاصدا رمالك ابن اسلم صاحب قلعه جعبر ليتوجه من هناك الى ايلغازى فيطلب اليه المتوسط في عودته الى حلب التي كان قد ساءت حالها • وعلى طريق معبره الفرات تريمى له ثلاثة من الباطنيه • فوثب عليه رجلان منهم فطعناه بخناجيهما طعنات عدة • ولكنهما قتلا بيد اثنين من اولاده المرافقين له • كما اقتل ابن بديع واحد اولاده وجرح اخر [3] •

---

١) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ١٩١
٢) ابن العديم زبده الحلب ج ص ١٧٠
٣) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ص ١٨٦

والذى يلفت النظر فى ذلك الموضوع هو تخطيط الاسماعيليه له تخطيطا دقيقا ومحكما . اذ انه عندما حمل الابن الجريح الى القلعه كان فى انتظاره من القداويه من وثب عليه فارداه قتيلا [1]. فلما القى القبض عليه انتحر على الفور بالقاء نفسه فى غله من حراسه فى الفرات [2] . وكان من عادة شيخ الجبل ان يبعث الى اعدائه بثلاثة من فدائيته بحيث اذا فشل احدهم ادى الاخران المهمه على اكمل وجه [3] . وقد اتهم الاصفهانى الوزير الدركزينى ايضا " بالمشاركة فى التحريض على قتله [4] . ونستطيع تعليل اقدام الاسماعيلى على الانتحار بانه كان يقصد اخفاء اسرار الجريمه ودوافعها من ناحية وحتى لايقع تحت طائلة تعذيب الحكام او استجوابهم من ناحية اخرى . وحتى لايكشف سر من حوله من الاسماعيليين .

ومن الغريب ان يتخذ الباطنيه وزراء السلاجقه وامرائهم مطيه يحققون عليها اغراضهم فى النفاذ الى اعماق الحكم والحكام [5] . مثال

---

١) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ص ١٨٧

٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص١٨٧
Grousset: Hist, des Croisades. Vol. P.P. 480

برناد وليوس الدعوة الجديدة ص ١٢٠ ـ ١٢١

٣) Browne: A Lit. Hist. of Persia. Vol. I.P. 209 - 210

٤) البندارى تاريخ ال سلجوق ص ١٣٢

٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج اص ٥٥٠ ـ ٥٥١

ذلك اتخاذهم الوزير الدركزيني طريقا الى بلاط السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه واخيه السلطان طغرك من بعده[1] • وفيما يبدوا انهم تبادلوا المنافع•

فلستعان بهم الوزير الدركزيني للاخلاص من بعض من خشى يا سهم • فمثلا قتلوا — بوحى منهم — عم الكاتب العماد الاصفهانى احمد بن حامد بن محمد ابو نصر المستوفى المعروف بالعزيز وقد قبض عليه في سلطنه محمود بن محمد بن ملكشاه • وكان صديق الوزير الدركزيني فحبسه بقلعه تكريت• فما زال محبوسا حتى مات محمود واجلس الدركزيني اخاه طغريل في السلطنه[2] • فاوعز للسلطان الجديد بقتله • فخنق خنقا وقيل سم وقيل دخل عليه قوم من الباطنيه فقتلوه[3] وكان ربك بالمرصاد فقد وسى الواشى بالدركزيني عند طغريك فامر به فصلب بعد اربعين يوما من قتل العزيز[4] • وهذا الامر دل على شئ انما يدل على ان الباطنيه استطاعوا ان يلعبوا بكل مقدرات الامور في تلك الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية •

---

١) البندارى — تاريخ آل سلجوق ص ١٣١

٢) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

٣) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

٤) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

لم يكن هناك يد لاسماعيليه حلب بعد تلك الحوادث الداميه من الفرار الى معقل اخر اكثر امانا واعم استقرارا ٠فهرب اكثرهم الى شيزر (١) ٠ وقد سبقهم اليها الداعى ابراهيم بن اسماعيل العجمى (٢) ٠ وكان من كبار دعاة حلب على عهد لملك رضوان (٣) ٠ وقد استطاع ابراهيم هذا ان يجمع فلول الاسماعيليين من اهالى حلب وفاميه وسرمين ومعرة النعمان ومعرة مصريين وغيرها (٤) ٠ وقد بدا واضحا من تجمعهم فى شيزر محاولة الاستيلاء على قلعتها (٥) ٠ غير انهم فشلوا فى خطتهم فطردوا من المدينة بعدا ن قتل منهم عدد غير قليل (٦) فرجع بعضهم الى حلب بزعامة الداعى ابى محمد من دماج الذى ربطته صداقه عريقه بالامير بلغازى اتقاء لشرهم حيث كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم (٧) ٠

---

١) د ٠سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ص ٤٢٢ — ٤٢٣
٢) مصطفى غالب سنان راشد الدين ص ٩١
٣) Grousset: Hast. des Croisades: Vol. I.P. 479
٤) مصطفى غالب سنان راشد الدين ص ٩٢
د ٠ طه شرف : النزاريه ص ١٩٨
٥) اسامه بن منقذ كتاب الاعتبار ص ١٥٩ — ٢٦٠
٦) د ٠ سعيد عاشور الحركة الطليبيه ج ١ ص ٤٢٣
٧) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥

وهناك في حلب استطاع ابو محمد ان يوئثر على صديقه ايلغازى فتنازل لهم عن قلعة الشريف حوالى عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م [١] .

وبناء عليه تمكن الاسماعيليون من استعادة قوتهم من جديد فى حلب وفى غيرها . فاخذوا يمارسون جرائم القتل والتهديد على نطاق واسع . حتى جاء بلك بن بهرام من ارثق الى بلاد الشام فى ذى القعده عام ٥١٨ ديسمبر عام ١١٢٤م . فقبض على نائب بهرام داعى الباطنيه فى حلب وامر باخراجهم منها فباعوا اموالهم ورحالهم وخرجوا منها [٢] .

---

٢) د . محمد كامل حسين طائفه الاسماعيلية ص ٩٦

٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢١٦

الاسماعيليون فى دمشق :

لم تضعف قوة الاسماعليين بما اصابهم فى حلب• بل حدث عكس ذلك على اثر دخول الداعى بهرام الاسترابادى بلاد الشام حوالى عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م • فاستطاع بما عرف منه من المهارة وحسن التدبير وسرعة الحيلة ان يتصل بالامير طغتكين صاحب دمشق وان يكون من اصحاب الخطوة عنده (١) فاكرم لاتقاء شره وشر جماعته وجملت له الرعاية وتاكد به العناية (٢) • وقد وصف كل من ابن القلانس وصاحب المرآة حال بهرام فى تلك الاونه بانه استفحل امره وعظم خطبه فى حلب والشام وهو على غاية من الاستتار احد شخصه حتى صار فى دمشق وتبعه • خلق كثير من الجهال وسفهاء العوام والفلاحين (٣) فاتفق مع طغتكين فى ذى القعده عام ٥٢٠هـ نوفمبر ١١٢٦م • على ان يتنازل للاسماعيليين عن قلعه بانياس (٤) • وهى التى لعبت فى ظل الاسماعيليين دورا خطيرا فى تحديد علاقاتهم بسكان المنطقة على مختلف عقائدهم ومذاهبهم (٥) • وسرعان ماغدت بانياس حصنا ياوى اليه ومعتقلا يحتمى به ويعتمد عليه (٦) •

---

١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦ ٥

٢) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٥

٣) ابن القلانس نيسل تاريخ دمشق ص ٢١٥

٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥
Grousset: Hist. des Croisades. Vol.I.P. 659

٥) برناذ ولويس الدعوة الجليبية ص ١٢١

٦) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٧

وكان سبب ذلك حسب تعبير صاحب المراه ان "طغتين كان قد مخافه فدان بطاعه الناس له فالتمس معقلا ياوى اليه وملجـا يعتمد عليه فاعطاه بانياس فى ذى القعده ، فاجتمع اليه اوباشه ورعاعه وسفهاؤه وعظمت بهم المصيبه وجلست بهم المحنه وضاقت صدور العلماء وارباب الدين واهل السنه . ولم يتجاسروا على الكلام خوفا من شرهم وقتلهم من يعاندهم بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولا وزير ، ولا مقدم ولا امير (١) . فضلا عن ذلك فانه ترتب على تسليمهم حصن بانياس ان سلم اليهم ابن محرز حصن القدموس (٢) . وفيما يبدو كان ذلك على سبيل المجامله جريا على ما فعله طغتكين ووزيره . او ان شئت : فقل هو الخوف .

والواقع كان ذلك العمل من جانب طغتكين مدعاة لاستمرارهم فى فرض شخصيتهم عليه فتدخلوا تدخلا مباشرا فى شئون دمشق فى اهم مرافقها حساسيه . فاستطاع الداعى اسماعيل العجمى الذى ، تولى امر الدعوة بعد مقتل الداعى بهرام على يد الدروز عام ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ان يؤثر فى حكام دمشق فولى احد اتباعه المعروف بابى

---

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٨ — ١١٩

٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

زامباور معجم الانساب ج ١ ص ١٦١

الوفا وظيفة قاضى قضاة دمشق[1] . فقوى امره علا شانه وكثر ابتاعه وقام بدمشقه فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه اكثر من حكم صاحبها تاج الملوك"[2] . وقد ادى ذلك الى عواقب وخميه من اهمها اعدام الوزير المزدغانى ساعدهم الاول ثم من بعده ٠٠٠٠٠ مذبحة دمشق .

ويرجع سببه مقتل بهرام الاسترابلذى الى انه كان قد قتل برق بن جندل " احد مقدمى ولدى التيم حيث عاش اصحاب مذاهب مختلفة من القصيريه والدروز وغيرهم[3] . لغير سبب حمل عليه ولا جناية دعته[4] . فضلا عن ذلك فانه جمع حشدا كبيرا من الاسماعيليين وهاجم ديارهم للنيل منها . وعلى اثر معركة ضاربه بين الطرفين فى غضون عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨م انهزم الاسماعيليون وقتل بهرام الافقطع راسه ويده بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين .[5] . ولم يقتصر الامر على ذلك بل ارسل الدروز راسه وفى ذلك دلاله على ان مصر المستعلوية كانت لاتزال تتربص الدوائر بالنزاريه حيثما حلوا ركابهم . كما يدل من ناحية اخرى على ان الدروز كانوا على علاقة طيبة بالمصريين اكثر من اخوانهم النزاريه .

ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤
د . محمد كامل حسين طائفه الاسماعيليه ص ١٩٧
٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤
٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤
٤) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١
٥) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٠ — ٢٢١

ولقد ترتب على تعيين الداعى ابى الوفا فى وظيفة قضـــــاء دمشق ان حدثت سوءا مرات خطيره • وكان من اهمهما تلك التى دارت بين الاسماعيلى والصليبيين حول تسليم دمشق للصليبيين فى مقابـــل استيلاء الاسماعيليين على صور[١] • وكان عندهم فى ذلك ـ كما يقـال الوزير لمزدغانى[٢] • حيث كانت له اليد الرئيسيه فى تلك الاحداث[٣] فكان مصيره الاعدام وابرام النار فى جثته[٤] • كما علق راسه على احد ابواب قلعة دمشق[٥] •

ذلك ان ابا على طاهر بن سعد المزدغانى وزير تاج الملـــوك يروى كان اعانهم • على الايغال فى هذا الضلال معونه بالغ فيها لمـا تقرر بينه وبين بهرام الداعى من الموءازرة والمعاضدة[٦] • كما ان تاج

---

١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٨
٢) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢
٣) د • سعيد عاشور الحركة الصيبيه ج ١ ص ٥٥٨
٤) ابن القلانس ذسل تاريخ دمشق ص ٣٢٣
٥) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٩
٦) د • سعيد عاشور الحر كة الصليبية ج ١ ص ٥٥٩
٧) ابن العماد شذرات الذهب ج ٤ ص ٦٧
٨) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشـ قج ٢٢١

الملوك بورى تتبع الاسماعيليين فى دمشق، وعليه فقد قامت مذبحة دمشق فى رمضان ٥٢٣هـ سبتمبر ١١٢٩م ، على غرار ما حدث معهم فى حلب " فذبح منهم حوالى ستة الاف شخص [١] . وفى قول اخر "عشرة الاف[٢] . كما علق رؤوس كبارهم على باب القلعه[٣] . كذلك تم القبض فى تلك الثورة على غلام ابى طاهر المعروف بشاذى الخادم . فصلب ومعه نفر غير قليل على شرفات دمشق، [٤] .

هذا ... وقد كان لكل من الحاجب يوسف بن فيروز شحنه دمشق والرئيس الوجيه ثقه الملك ابى الذواد مفرج بن الحسن الصوفى الذى اتهمه ابو المحاسن بانه كان سببا فى انتماء المزدغانى الى الاسماعيلية خوفا منه لعداوة كانت بينهما [٥] . السيد الطولى فى القضاء عليهم . ذلك انهما اتفقا . على قتل الوزير المزدغانى . [٦] .

---

١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤

King: The Knights Hospitallers. P. 80

٢) سبط ابن الجوزى مراة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠

٤) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣

٥) ابن المحاسن النجو "الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٥

٦) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

٧) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج

لانه كما اتهموه بذلك ـ كان يكاتبهم ويمارتهم خوفا من بنى الصوفى (١) لذلك كله تعين عليهما ـ التحرز والاحتياط من اغتيال من يندب اليهما من باطنيه الموت مقر الباطنيه بلبس الحديد والاستكثار من الحفظ حولهما بالسلاح • الوافر العتيد (٢) • وقد لعب ابن الصوفى دورا هاما فى ذلك • الدليل ان يرى كان قد اعتقله من قبل فعلم ان الصواب معه فى تتبع الباطنيه فاطلقه ورده الى الرياسه (٣) • وقد ثبت بذلك عداوته للمزدغانى •

وعليه فانا نستطيع القول ان قتل المزدغانى كان ـ فى المقام الاول نتيجة مؤامرات خطيره حاكها حوله سادة دمشق قبل ان يكون نتيجة تحالفه مع الاسماعيليين • فلولا العدواة التى وقعت بينه وبين كل من الحاجب يوسف بن فيروز وابن الصوفى لما ارتمى فى احضان الباطنيه • الامر الذى اعطى الاسماعيليين المحدثين الحق فى ان يقتدا و دعوى تحالف اجدادهم مع الصليبيين ضد دمشق • وحجتهم فى ذلك الاعتداء

---

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

٢) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٤

Grousset: Host. des Croisades. Vol. I. P. 661

٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٣

الذى قام به بلدوين الثانى Baldwin II ـ طرف الاتفاق الاخر ـ على بانياس اثر فشله فى تنفيذ مخططه على دمشق(١) .

فلو ان ـ وذلك رايهم ـ تحالفا تم بينهما لما كانت النتيجة السيئة التى حاقت باسماعيليه بانياس بعد (٢) . وان كان ذلك لايعتبر ـ فى رايتا ـ تبريرا ـ منطقيا بسبب ان بلدوين الثانى Baldwin II ماكان يهمه من اتفاقيته مع الاسماعيليين الا القضاء على قوة دمشق، ثم ـ وليس ذلك ببعيد ـ يعيد الكرة على اسماعيليتها فيخلص منهم . اما وانه قد فشل فى الاولى فكان لا بد ان ينتقم لنفسه حتى ولو من حلفائه . وذلك لكى لايكون كالذى رجع بخفى حنين . وعموما فقد استطاعت دمشق التخلص من كان بها من الاسماعيليين واراح الله الشام منهم (٣) .

لكن ليس معنى ذلك ان الباطنيه ظلوا مصدر خطر مستمر بالنسبة له دمشق . فقد كانوا فى بعض الاحايين عونا لبنى جلدتهم المسلمين ضد اطماع الفرنج . يدلنا على ذلك اشتراكهم فى الدفاع عنها ـ جنبا الى جنب ـ مع اخوانهم السنيين عندما حاول بلدوين الثانى ملك بيت المقدس غزوها عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥م . (٤) .

---

(١) Runciman : AHist of the Geusades.Fol. II.P. 1791180

٢) مصطفى غالب سنان راشد الدين ص١٠٦

٣) ابن كثير البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٠٠

٤) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص٢١٣ ـ ٢١٤

لم يترك الاسماعيليون مذبحة دمشق التى قتلوا فيها شر قتله ذبحا ورضا بالاحجار وبالسيوف(١) • فضلا عمن صلب منهم على اسرارها ـ تمردون ان يكون تاج الملوك بورى يشطى نارها اويشرب من مرها • وكان على الموت ان تحدد موقفها منه • فبيتوا له امرا • وما اوسع حيلتهم التى حار فى تعليلها الباحثون • اختاروا من بين عناصرهم الفداويه رجلين من الخراسانيه (٢) • استطاعا ان ينخرطا بحيله عجيبه ـ وهى البحث عن عمل يرتزقان منه فى صفوف المرتبين لحفظ ركاب بورى(٣) • ثم بعد ان اصبحا موضع ثقته وثقة من حوله تربصا به • حتى واتتهم فرصتهم يوم الخميس لخمس خلون من شهر جمادى الاخره عام ٥٢٥ هـ السابع من مايو عام ١١٣١م • فانهما الاعليه ضربا احدهما بسيفه والاخر بسكين فى حاضرته(٤) • فلم يكد بورى يتجه لهما حتى القى بنفسه على لفور عن فرسه ،فادركهما حرأسه فاتول عليهما بسيوفهم فتم القضاء عليهما(٥) • وبالرغم مما بذل من محاولات عدة لعلاجه فانه مات متاثر بجراحه فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر رجب عام ٥١٦ هـ ٦ يونيو عام ١١٣٢م(٦) • كما يقال انهم

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

٢) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٥٦٠

٣) ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠

Rünicman: AHist. of the The Crusades. Vol.II P.174

٤) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٢

٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩

٦) ابن العماد شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٨

Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II.P. 196

قتلوا ابنه شمس الملوك فيما بعد في ربيع الاخر عام ٥٢٩ هـ يناير عـــام ١١٣٥م (١) . بوعى من امه . وكان قد كاتب زنكى ليسلم اليه مدينــــة دمشق . فخافته الامراء وامه فهيأت من قتله (٢) . ذلك في الوقت الذى نجد صاحب النجوم يوضح ان اهل دمشق هم الذين كاتبوا زنكـــى بالسير اليهم لسوء سيرته فيهم ومصادرته الناس واخذه موالهم فضلا عن سفكه الدماء (٣) .

---

١) ابو الفدا المختصر ج ٣ ص ٩

٢) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٥٠ ـ ٥١

٣) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦

الاسماعيليون والخلافة والعباسيه فى بغداد :

ولم يقف نشاط الاسماعيليه عند حد اغتيال الامراء او الوزراء او فقهاء القوم فحسب ، بل تعداد الى اغتيال الخلفاء انفسهم . فقد اقدموا على اغتيال الخليفة المسترشد بالله فى ذى القعده عام ٥٢٨ هـ اغسطس عام ١١٣٥ [1] . ثم الحقوا ابنه الراشد بالله فى السابع والعشرين من رمضان عام ٥٣٢ هـ الثامن شهر يونيه ١١٣٨ م [2] .

وترجع اسباب مقتل الخليفه المسترشد بالله الى العداوة المستحكمه بينه بين الاسماعيليين بسبب موقفه منهم . ذلك انه كان قد نمى لعلم بغداد فى شعبان عام ٥١٨ هـ / سبتمبر ١١٢٤ م . ان فئة من الباطنيه وصلوا من خراسان ودمشق، وقد ندبوا لقتل اعيان الدولة من الوزراء الفقهاء وغيرهم فانكشف امرهم فصلب البعض وغرق البعض [3] .

ونعتقد انه كان لهم انصار فى بغداد . فقد غمز على ابن ايوب

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ج ص ٥٧٢

٢) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ٥٣ ـ ٥٤

٣) ذكر الاربلى فى خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ان الراشد بالله لما عارض فى خلعه من الخلافه واظهر التمسك ببيعه الناس له والمطالبه بموجبها ، استمر بعد ذلك فى الموصل حتى رجب عام ٥٣١ هـ مارس عام ١١٣٧ م . ثم خرج منها الى كابل فقصد مراغه حيث زاره برابيه المسترشد بالله . ثم سار بعد ذلك الى اصفهان حيث اقام بها بعض الوقت . فمرض هناك فمات فى السابع من رمضان عام ٥٣٢ هـ .

٣) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ٢٥٠

قاضي عكبر • فنبهت داره فوجد فيها اجربه منهم "١" وينتهى الامــــر بالانتقام من الخليفه • وذلك بتعاون الاسماعيليه مع كل من السلطانين سنجر ومسعود فيفتكون به (٢) • وقد كان اتهام كل من سنجر ومسعــود في هذه الجريمه واضحا ومحققا (٣)

ويلاحظ رغم ذلك ان الاسماعليين لم يقفوا جامدين حيال الخلافـة العباسية طوال قيامهم بالموت• وانما حدث تقارب كان له الاثر البالـغ في قيام تحالف عسكري فيما بينهما ستطاع ان يحقق انتصارا كبيرا علـى بعض المنشقين عليها •

وكانت البداية عندما فوجئت بغداد عام ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م برســـول يأت من طرف شيخ الجبل جلال الدين حسن صاحب الالموت — الذى لقب فيما بعد بالمسلم الجديد (٤) • يحمل الى الخليفه الناصر

---

١) سبط ابن الجوزى المرآة ج ٨ ص ١١٣

٢) الاربلى خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٢٣

٣) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٥٠

Huart: Hist. des Arabes, Tome II.P. 354

٤) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٧٨

د • طه شرف النزاريه ص ٢٢٣

Sykes: A Hist of Persia. Vol. II.P.182

لدين الله ان مقدمتهم جلال الدين اظهر الانتقال من فعل المحرمات واستحلالها وامر باقامة الصلاة والشرائع الاسلامية ببلادهم من خراسان والشام (١) . كما انهم تبراوا من الباطنيه وبنوا المساجد والجوامع وقد اقيمت الجمعه والجماعات عندهم وصاموا رمضان (٢) . فضلا عن ذلك فانهم التزموا بمذهب الشافعى رحمه الله (٣) . وقد كان لذلك النبا اعظم الاثر واسعده فى نفس الخليفه والناس الامر الذى شجع جلال الدين على ان يبعث بوالدته للحج فاكرمت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريق مكه (٤) .

والواقع ان ذلك كان من العوامل التى قاربت بين الاسماعيلين والعباسيين " فارسل الخليفه الناصر لدين الله الى جلال الدين يطلب اليه مساعدة اوزبك فى حربه ضد منكل واستقرت بينهم القاعدة على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها وترتب على انتصارهم ان اوفى الخليفه بعهده .

---

١) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ١١٥
٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٥٥
٣) ابن واصل الكامل ج ١٢ ص ١١٥
٤) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ١١٥
ابو الفدا المختصر ج ٣ ص ١٢٠

فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيليه من البلاد ما كان قـــد اتفق عليه في الحلف المشترك •

لكن هذا لا يمنع من اتهامهم بافساد عقائد المسلمين زمانـــا غير قصير فضلا عن فتكهم بكثير من العلماء والوزراء والصالحـين • الامر الذى جعل الكثيرين من مختلف طوائف القوم غير متفقين معهم فى الراى ولا راضين عن سلوكهم •

---

١) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ١١٨

٢) الافغانى الرد على الدهرين ص ٤٠

" الفصـــل الثالــــــث"

" الفصل الثالث "

الاسماعيليه والقوى الصليبيه فى بلاد الشام
فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر

بلاد الشام بين غزوين • الاسماعيلى من الشرق والصليبى من الغرب التوسع الصليبى فى بلاد الشام • موقف الاسماعيلية من الخطر الصليبى • عوامل التحالف بين الاسماعيلية والصليبيين • الخلافة العباسيه والخطر الصليبى فى الشام • الترحيب بالغزو الصليبى فى بلاد الشام ومناقشه حول اسباب ذلك • فتح بيت المقدس وموقف الاسماعيليه من ذلك • الحملات الاسماعيلية على بلاد الشام وفشلها • استيلاء الصليبيين على مدن الشام الساحليه ودور الاسماعيليه فى ذلك • حصن بانياس واهمية سقوطه فى يد الصليبيين • شيخ الباطنيه على بن وفاء وتحالفه مع ريموند بواتييه ضد نور الدين • نور الدين وفتح مصر • الصراع النورى الاسماعيلى الصليبى حول مصر • تحالف راشد الدين سنان وعمورى ضد نور الدين • اغتيال رسل المفاوضات الاسماعيلية الصليبيه على مشارف طرابلس • اتهام راشد الدين سنان بقبول اعتناق المسيحيه ورأى الاغتيالات • اغتيال ريموند الثانى أمير طرابلس • اغتيال كونراد مونتفرات ومناقشه ورأى حول ذلك • صلح الرمله وخضوع الاسماعيليه لصلاح الدين الاسماعيليه والاسبتاريه • الاسماعيلية بعد سنان وعلاقاتهم بالصليبيين اغتيال ريموند الابن الاكبر ليوهمند الرابع واثره • العلاقات الاسماعيلية الايوبيه ضد الصليبيين • اغتيال البرت بطريرك بيت المقدس • موقف البابوية من الاسماعيلية نتيجة لذلك •

شاء القدر أن تتعرض بلاد الشام مع نهاية القرن الرابع الهجرى — الحادى عشر الميلادى — لغزوين خطيرين . تضافر كل منهما مع الاخر احيانا بطريق مباشر أو غير مباشر للفتك بالمجتمع الاسلامى فى المنطقة أو اختلفنا احيانا اخرى ليفتك كل منهما بالاخر . هذا مع اختلافهما من حيث الدين والجنس والعقيدة . فاذا كانت الفروسيه الاوربيه قد تمثلت بكل معانيها فى الغزو الصليبى ، فان التسلل الاسماعيلى كان غزوا سياسيا مذهبيا اجتماعيا من الدرجة الاولى .

فمن ألموت خرجت جموع الدعاة والفداوية لتؤسس فى بلاد الشام دولة اسماعيلية أو شبه دولة يهابها الكبير والصغير ويحسب لها قبل التعامل معها الف حساب . ومن أواسط أوربا خرجت جحافل الصليبيين لتؤسس هى الاخرى فى نفس البلاد وفى نفس الوقت امارات او ممالك لاتينيه صليبيه يهابها الكبير والصغير أيضا ويحسب لها قبل التعامل معها الف حساب وحساب(١) .

فأما الاسماعيلية ، فقد كان لضعف السلطة السلجوقية الحاكمة فى بلاد فارس وبلاد الشام وتناحرها فيما بينها على كراسى الحكم — خاصة بعد عهد ملكشاه — أكبر العوامل الرئيسيه التى ساعدتهم على رسوخ اقدامهم وبث مبادئهم بسرعة لم يشهدها التاريخ من قبل . فأستطاعوا بحكمة وروية أو بخدعة ورشوة التغلغل فى صفوف السلاجقة بصورة أوقعت فيما بينهم الخلاف اكثر واكثر(٢) . وعمقت لعوامل الانهيار السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٢

٢) البندارى — تاريخ آل سلجوق ص ٧ ، ٩١

Sykes: A Hist . of Persia. vol. II.P.115

الأمر الذى كان له أسوأ الاثر فى انهيار الجبهه السلجوقيه فى آسيا الصغرى وفى بلاد الشام أمام الغزو الصليبى الضارى (١) . ذلك بعد أن " كانوا قبل عروض الرهن لعقائد المسلمين وطرووا الفساد على أخلاقهم فى قلق لايستقر لهم أمن على حياتهم وهم فى بلادهم خوفا من عادية المسلمين (٢) . وقد احتل الاسماعيليون منطقة جبل السماق غرب حلب ، وامتدت قلاعهم حتى اقليم طرابلس (٣)

أما عن الصليبيين فقد كان لضعف الجبهه الاسلامية نفسها وتفككها أسوأ الاثر أيضا فى استقبال ذلك الغزو دون مقاومة أو بمقاومة لاتذكر بل وفى الترحيب به أحيانا ليكون عونا على القضاء على بعض الحكام المسلمين لصالح البعض الاخر (٤) . وظلت المنطقة العربية ترزح تحت نير الاستعمار الصليبى الاوربى ردحا من الزمن يقارب المائتى عام أو يزيد حتى هيأ الله سبحانه للمسلمين من يجمع شملهم ويوحد كلمتهم ليتفقوا على قلب رجل واحد فيطيحون بذلك الخطر الجاثم على صدر الامة الى أعماق البحر الى ماغير رجعة (٥) .

---

(١) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II.P.115

(٢) الافغانى الرد على الدهريين ص ٤٢ — ٤٣

(٣) Le Strange: Palestine under Moslems . P. 81

(٤) سيديو تاريخ العرب العام ص ٢٢٥

Grousset: Hist. des crolisandes. Vol. I.P.125

(٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٨٣ — ١١٨٤

ولتعود قلاع العروبة من جديد مراكز يشع منها نور الحضاره الاسلاميه وترفرف عليها اعلام النصر .

وكان لتفاهم كل من الامبراطور ميخائيل السابع والبابا جريجورى السابع على غزو الأرض العربية الاسلامية فى بلاد الشام أثره فى خروج الحمله الصليبيه الاولى التى مهدت لبعث حملات صليبيه اخرى بلغت ثمان حملات (١) .

هذا ..... وكان بيت المقدس مأملا يراود خيال اباطره القسطنطينية منذ خرجت اليه لاول مرة الامبراطوره هيلينا أم قسطنطين للحج عام ٣٢٨م وزعمت انها اكتشفت الصليب الحقيقى . مما دعاها الى اقامة جدار حول ماتصورته بالقبر المقدس بالقرب من كنيسة القيامة ومنذئذ عرفت حملات الحج المسيحية طريقها الى بيت المقدس (٢) .

هذا الى أن بابوات الكنيسه الغربية طالما تاقت نفوسهم الى ضم الكنيسه الشرقية تحت حوزتهم لتوحيد كلمة المسيحية فى الشرق والغرب (٣) وكان ذلك فى الوقت الذى أخذ الضعف يدب فى صفوف المسلمين فى بلاد الشام . الامر الذى كان له أسوا الاثر على الكيان الاسلامى فى تلك المنطقة ومما ساعد بطريق مباشر على نجاح الصليبيين فى التغلغل فى تلك البلاد وعلى اقامة كيان لانفسهم استمر قائما فوق الارض العربية زهاء قرنين او يزيد وذلك على الرغم من الجهود الجباره التى بذلها سلاجقه الروم والشام لوقف تيار الغزو الصليبى (٤) .

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٢

٢) المقريزى الخطط ج ١ ص ٢٦٦

Sykes: A Hist. of Persia . vol. II. P. 113

وباستيلاء الصليبيين على انطاكية عام ٤٩١هـ (١٠٩٧م) حدث تغيير خطير فى موازين القوى فى شمال بلاد الشام [١] مما شجع الصليبيين على الاتجاه فورا نحو للجنوب لاستكمال فتوحاتهم على حساب الدولة الاسلامية المفككه [٢] .

هــذا .... مع ماسبق الاشاره اليه من أن بلاد الشام كانت ميدانا للصراع السنى الشيعى ، أو بمعنى أوضح بين الخلافتين العباسيه فى بغداد وغريمتها الاسماعيلية فى القاهرة .

كذلك أدى تقاعس الخلافة الاسماعيليه فى مصر عن نصره مسلمى الشام لجهل قادتها باهداف الحركة الصليبية [٣] الى استفحال الخطر الصليبى حتى أصبح الصليبيون وقد هددوا الخلافة الفاطمية الاسماعيلية نفسها ، بل واقتطعوا منها اهم ممتلكاتها فى بلاد الشام [٤] .

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢ ١١٥
٢) ابن القلانس ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٤ ـ ١٣٥
٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥٥
King: The Knights Hospitallers. P.15
٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج
٤) ابن ميسر تاريخ مصرج ٢ ص ٣٨
Grausset: Hist. des croisades Vol. I.P. 3
Sykes: A Hist. of Persia . Vol . II. P. 113-116
٥) د . سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبيه ص ١٩
٦) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٧ ـ ١٤٨

ومما يؤخذ على الاسماعيليين فى مصر وعلى عهد الافضل شاهنشاه والخليفه المستعلى اسراعهم للتحالف مع الصليبيين ضد بنى جلدتهم من المسلمين السنيين (١) • وكان سبب ذلك هو تطلع السلاجقه لامتلاك مصر بعد استيلائهم على بلاد الشام وبيت المقدس• فلما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزه ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية اخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين(٢) فتبودلت المراسلات أوائل عام ٤٩١ هـ عام ١٠٩٨ م بين الافضل وزير المستعلى فى مصر وبين الصليبيين على انطاكيه من ناحيه وبينهم وبين الامبراطور البيزنطى الكسيوسى كومنين Alex Commenus من ناحية اخرى (٣) • وذلك على أساس أن الافضل يسمح لعدد من المسيحين غير المسلحين لايتجاوز الثلاثة ألاف حاج بزيارة بيت المقدس كل عام • الا أن عرضه هذا قوبل من جانب الصليبيين بالسخريه وعدم الاهتمام (٤) •

---

١) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ٤٥
ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠١
Grousset: Hist dds croisades. Vol. I.P.L83-84
٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٩٤
٣) د • سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبيه ص ٢٠
٤) د • سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبيه ص ٢٣

وكان ذلك فى نفس الوقت الذى تحركت الخلافة العباسية فى بغداد بعض التحركات التى لم تنم عن اهتمام عميق بالحركة الصليبيه واخطارها المرتقبه • وعلى سبيل المثال استنجد الخليفة المستظهر العباسى بالسلطان بركيارق على أثر رسالة كل من دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب • فبعث الخليفة أبا نصر بن الموصلايا الى السلطان بركياروق " مستنفرا على الفرنج برسالة من الديوان [1] • وقد حدث كل ذلك وعساكر الاسماعيلية فى مصر " لم تهيأ للخروج [2] •

ونتج عن هذا التقاعس من جانب القوى الاسلامية وتفككها ان نجح الصليبيون فى الزحف جنوبا حتى استولوا على بيت المقدس عام ٤٩٢هـ عام ١٠٩٩م ليقيموا فيها مملكة صليبيه كبيرة سيطرت على معظم موانى " فلسطين وشواطئها [3] • كما استولوا على طرابلس عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م ليقيموا فيها امارة صليبيه كبرى [4] • الى جانب امارة انطاكية فى شمال الشام وامارة الرها فى اقليم الجزيرة • ولا شك فى أن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ألقى الضوء على اهدافهم [5] • فتعين على الدوله الاسماعيلية فى مصر أن تحدد موقفها من الغزو الذى ساندته من قبل ظنا منها انه انما جاء ليستخلص شمال

---

١) ابن الجوزى — المنتظم ج ٩ ص ١٠٥
٢) ابو المحاسن — النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٨
٣) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٤١
٤) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ص • ٢٧٠ــ٢٧٢
٥) د • سعيد عاشور — شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٢ ـــ ٢٤

الشام والجزيرة واسيا الصغرى من أيدى السلاجقة ، تاركا لها التلاعب بمقادير الأمور فى جنوبه . فلم يدر فى خلد الافضل حينما بعث برسائله الى الصليبيين على أنطاكيه أو الكسيوس كومنين فى القسطنطينيه أو حينما فتح أبواب القاهرة على مصراعيها ليستقبل رسلهم ، أنهم انما جاءوا ليضربوا — المسلمين جميعا من سنة وشيعة ويتغلغلوا فى صميم بلاد الشام حتى حدود مصر (١) .

وقد دار الحديث فعلا بين القادة الصليبيين حول غزو مصر قبل فتح بيت المقدس لولا اختلافهم فى الرأى (٢) .

وعليه فقد بدأ الاحتكاك بين الاسماعيليين فى مصر والصليبيين فى فلسطين وفى بلاد الشام . وذلك بعد أن خاب أمل الافضل أو بمعنى آخر اسماعيلية مصر فى تحالفهم مع الصليبيين ضد السلاجقة او العباسيين من أهل السنة (٣) .

وكان على القاهرة وهى صاحبة الامر فى بيت المقدس عندئذ أن تغير من سياستها ازاء الغزو الصليبى . فحشد الافضل جيشا مصريا كبيرا واتجه به الى عسقلان . لكنه حسب تعبير ابن القلانس كان " قد فات الامر " (٤) ومن عسقلان التى وصلها فى الرابع عشر من رمضان عام ٤٩٢ هـ ٤ من أغسطس م ١٠٩٩ م (٥) . أرسل يعاتب الفرنج وينكر عليهم اخلالهم بما اتفقوا عليه طالبا

١) د . سعيد عاشور — مصر فى العصور الوسطى ص ٢٨٣
٢) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٤٠
٣) Grausset: Hist des croisades. Vol. I.P. 146
٤) ابن القلانس — ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧
٥) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ٩٩

اليهم سرعة الرحيل من ألاملاك المصرية فى فلسطين (١) • ولكن هل فى ذلك جدوى بعد ان تحقق لهم أعز ماكانت توفو اليه البابوية فى بلاد الشرق الاسلامى وهو امتلاك بيت المقدس • لاجدال فى أن الرد سيكون حربا ضارية ستحدد الموقف وتزيد من وضوح الرؤيا "فأعادوا الرسول بجواب مجمل ورحلوا فى اثره فكبسوا المصريين " (٢)

ثم من ناحية اخرى كان على جودفرى Godfrey صاحب الامر فى بيت المقدس أن يتخذ من الوسائل مايكفل له رصد أى هجوم قد يقع من جانب مصر • وساعده الحظ بوقوع بسرية استطلاعيه مصرية فى رمضان عام ٤٩٢ هـ اغسطس عام ١٠٩٩ م فى قبضه حامية المدينه الصليبيه • فأصلت أمام التعذيب القاسى بكل معلوماتها عن تحركات جيش الافضل (٣) • مما زاد الطينه بله •

وعلى ذلك فانه تعين على جودفرى أن يتخذ موقفا حاسما ازاء ذلك كله فيتجهز على الفور القيادة جيشه الى السهل الساحلى • كما انه ارسل الى تنكرد Tancred ويوستاسى Eustace يطلب اليهما التوجه على وجه السرعه الى ناحية عسقلان لاستطلاع اخبار جيش مصر وللوقوف على مدى امكانياته واستعداداته الحربية (٤) • كذلك لرصد تحركاته أولا باول • ذلك فى

=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=

١) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٤
Runciman: A Hist of The crusades Vol. I.P. 295
٢) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٢١
٣) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٥٤ — ٢٥٥
٤) Runciman: A Hist of the crusades Vol. I.P. 295

نفس الوقت الذي كان الافضل يترقب وصول اسطول مصر ليمده بما لزم الحرب(١) الا أن جود فرى Godfrey كان اسرع مما جرى فى استعدادات الجيش المصرى فى عسقلان (٢) . فخرج من بيت المقدس بجيش لا يقل ضراوة عن جيش مصر الاسماعيلية بل يزيد . وقد صحبه البطريك أرنولف Arnulf فزحف مباشرة الى سهل أسدود . ثم لينفذ الى سهل المجدل شمال عسقلان صبيحة الثانى والعشرين من رمضان عام ٤٩٣ هـ الثانى عشر من أغسطس عام ١٠٩٩ م حيث عسكر الافضل (٣) . ووقعت المفاجاة التى لم يكن يحسبها أحد . لتكمل المفاجاة الكبرى التى أخفاها الصليبيون (٤) اذ " هجم الصليبيون عليه بجيش عظيم(٥) فحاقت الهزيمة بجيش مصر فارتد الى عسقلان(٦) وضدئذ تبعهم الصليبيون ليضعوا فيهم السيف . فأتى القتل على الراجل والمطوعه واهل البلد(٧) ثم اضرموا النار فيمن تسلق منهم الاشجار حول المدينه فاشتعلت الاشجار بين عليها . فقرر الافضل العودة الى مصر(٨) . وقد ترك عسقلان فى يد المقادير ليتلاعب بها الصليبيون . وليفرضوا على أهلها اتاوة تبلغ نحو عشرين الف دينار (تحمل اليهم " (٩)

---

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٢٠
٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٦
٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٩٩
Runciman : A Hist. of the crusades. Vol. I.P. 296
٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٦
٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٩٩
٦) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠
٧) ابن القلانسى ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٧
٨) د . سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٥
٩) ابن القلانسى ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٧

وقد حدثت معجزة انقذت المدينه من الوقوع فى ايدى الصليبين حيث كان فى امكانهم امتلاكها بكل سهولة بعد أن استسلم اهلها ولكنها افلتت من ايديهم بسبب خلاف وقع بين كل من جود فرى وريموند الصنجيل فوقف كل منهما للاخر بالمرصاد منذ بدء المسيرة الى بيت المقدس. فوقف ريموند بطريق غير مباشر مع أهل عسقلان وحرضهم على مقاومة جيش جودفرى مفضلا أن تبقى عسقلان في أيدى المسلمين[1] . كذلك فعل نفس الشئ مع أهل ارسوف فيما بعد[2] .

ولم يسكت الاسماعيليون فى مصر على هذه الهزيمة كما أنه صار عليهم تحديد موقفهم ازاء استيلاء الصليبيين على بيت المقدس. خاصة أنه قامت فى الشمال ـ فى دمشق وحلب ـ حركة واسعة قادها العلماء واهل الدين متجهة الى بغداد تطالب بالثأر لما حل بالمسلمين فى بيت المقدس[3] .

على أنه يبدو أن هذه الحركة لم تؤت أكلها . فقد " ورد المستنفرون من بلاد الشام وأخبروا بما جرى على المسلمين . وقام القاضى أبو سعد الهروى قاضى دمشق فى الديوان واورد كلاما أبكى الحاضرين وندب من الديوان من يمضى الى العسكر ويعرفهم حال هذه المصيبه ثم وقع التقاعد[4] وفى ذلك بطبيعة الحال زعزعة لمركز الدولة صاحبة الهيمنة على تلك المدينة المقدسة .

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٥٧
٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٥٨
٣) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠
٤) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ١٠٨
ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠

وهكذا صار لابد للافضل من أن يبادر بعمل حاسم حتى يبعد نفوذ الخلافة العباسيه السنيه فى بغداد اذا مافكرت ـ جدلا ـ فى القيام بعمل ما للتدخل فى شئون بلاد الشام تحت ستار انقاذ تلك البلاد من الخطـــر الصليبى •

وحدث ذلك فى الوقت الذى كان انفتاح الاسماعيليين على بلاد الشرق منذ حملة جعفر بن فلاح على بلاد الشام عام ٣٦٠هـ (٩٧٠م) •مركزا فـــى المقام الاول على امتلاك الاماكن المقدسة كالحرمين الشريفين فى مكة والمدينـة وبيت المقدس فى فلسطين حتى يجذبوا اليهم أنظار العالم الاسلامى وقتذاك وحتى يستمدوا منه العون والقوة ضد اعدائهم العباسيين وليظهروا بمظهـر حماة العالم الاسلامى • هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كى يسدوا الطريق امام المد الصليبى المتجه جنوبا بكل سرعة •

ولذلك كان استيلاء الافضل على بيت المقدس من أيدى الاراتقه فـى شعبان عام ٤٩١هـ (يوليو ١٠٩٧م) فى زحمة الحروب الصليبيه المستعمـرة نارها فى الشمال وفى لحظة انشغال السلاجقه بمواجهة الغزو الصليبـــى المفاجئ لاراضيهم (٢) • وقد ظن الافضل انه كسب بذلك صيدا ثمينا • ولـم يكن يعتقد انه مهد بذلك لاستيلاء الصليبيين على المدينه المقدسة الـــتى كانت تشكل هدفهم الاساسى منذ خروجهم من الغرب الاوربى •

والواقع انه اذا كان الحظ قد خان الافضل فى أنه لم يوفق فى استعاده بيت المقدس الى خظيرة الاسماعيليين بعد ان ملكة الصليبيون ، فاننا لاننكر أن عهده ـ رغم اتهامة بالتقصير ـ كان عهد نضال جاد وصراع شديد ضـد

١) الذهبى — دول الاسلام ج ١ ص٢٢٢
٢) د • سعيد عاشور — شخصية الدولة الفاطميه ص٢٢

القوى الصليبيه فى بلاد الشام (١) • ذلك انه لم يبخل بنفسه أو بولده فى سبيل صد ذلك الغزو الضارى ماأمكنه ذلك • ولكن الذى يؤخذ عليه فعلا هو ترحيبه فى بادئ الامر بأولئك الذين أخفوا غايتهم وأهدافهم عن حكام المنطقه • وذلك عكس ماصار بعد عهد الافضل وابن الواخشى وابن السلار من تقاعس أولئك الذين تولوا الأمر بعده (٢) فشغلتهم مباهج القاهره وطيب ريحها عن الجهاد فى سبيل الله والدين والوطن • فراحوا ينشغلون بأهوائهم أو بالحفاظ على مكاسبهم أو بالتطلع الى مناصب أعلى داخل البلاط الاسماعيلى (٣) وتركوا مابقى لهم من مدن الشام طعمة يتلقفها الصليبيون المدينه تلو الاخرى

ومهما يكن من أمر فقد حدد سقوط بيت المقدس فى يد جودفرى أول حكام بيت المقدس الصليبيين الخطوط العريضه فى سياسة الصليبيين ضد حلفائهم الاسماعيليين • لذلك جهز الافضل جيشا بقيادة سعد الدوله الطواشى الذى أخذ من عسقلان قاعدة لتحركاته العسكريه (٤) • وبعد انتظار طويل لوصول الأمدادات المصرية تحركت جيوشه لتلتقى بجيوش الملك بلدوين الاول ملك بيت المقدس الصليبى (١١٠٠ ــ ١١١٨م) فى ذى الحجة عام ٤٩٤هـ (سبتمبر ١١٠١م) فى سهل يقع جنوب مدينة الرملة (٥) • ولما اتخذ الملك الصليبى بلدوين الاول (٦) • أيضا عنصر المفاجأة للجيش المصرى حيث كان قد وصلته أخبارهم • اذ انتصر عليهم وشتت شملهم مع استشهاد قائدهم

١) د • سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية ص١٩

٢) د • سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية ص ٤٦ ــ ٤٧

٣) ابن الاثير الكامل ج ١١ ص ١٢٤
المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥
سيد امير على مختصر تاريخ العرب ص ٤٩٦ ــ ٤٩٧
سيديو تاريخ العرب العام ص ٢٢٦

٤) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٦

٥) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥

٦) "ويلدوين هذا هو أول من تلقب بملك بيت المقدس حيث تسلمها فى صفر عام ٤٩٥هـ نوفمبر عام ١١٠١م اثر وفاة اخيه جودفرى" د • حسين مؤنس : نور الدين ١١٠

سعد الدولة الطواشي[1] . وقد حدث ذلك بعد انتصار حاسم سابق على تلك المعركة يقال أن جودفرى قتل فيه بسبب " سهم اصابه فقتله "[2] الا أن الثابت أنه مات متأثر ليعرض ألم به أثناء المعركة[3] .

وهكذا تعين على الافضل أن يجدد العزم على مقاتلة الفرنج أثر هزيمة جيشه الثاني . والا فعليه أن يتحمل عار الهزيمة . فبعث بجيش ثالث بقيادة ابنه شرف المعالي في رجب عام ٤٩٥هـ مايو عام ١١٠٢م الى فلسطين حيث أخذ شرف المعالي هذه المرة عنصر المفاجاه . فاوقع بجيش الملك الصليبي بلدوين الاول هزيمة ساحقة على الرمله . الامر الذى نجم عنه تشتت شل الجيش الصليبي وهروب بلدوين نفسه من ميدان المعركة حيث استقبل في أرسوف ، ثم في يافا استقبالا حافلا فرحا بنجاته[4] . وهناك في تلك المدينة التى رحبت به بعيدا عن عيون الجيش المصرى استطاع مع من تجمع حوله من الصليبيين وما وصله من امدادات مختلفة استطاع برغم تفوق الجيش المصرى من حيث العدد والعدة أن يعيد الكرة على الجيش المصرى[5] . فحاقت الهزيمة بعسكر شرف المعالي كما أخذ يتتبعه الى عسقلان[6] .

---

١) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص١٤٠ وقد ذكره تحت اسم القوامسي "

٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص١٢٧

٣) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص٢٤

٤) Runciman : A Hist. of the crusades Vol. I.P. 313 - 314

٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص٢٩٧ ـ ٢٩٨

٦) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص١٤٩

ابن ميشر تاريخ مصر ج ٢ ص٤١

المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص٣٢

Grousset: Hist des croisades Vol. I.P. 229 - 233

ومما يوءسف له ان النواحى المذهبية لعبت دورا هاما فى هزيمة جيش مصر الاسماعيلى فى تلك الجوله • ذلك ان الافضل اراد ان يمد يده طالبا نجده دقاق صاحب دمشق ليكون حليفة ضد اولئك المعتقدين (١) • ولكن صاحب دمشق السنى ابى ان ، يوءازر الافضل الاسماعيلى • " فاعتذر عن ذلك (٢) • ونعتقد ان ، سلوكه هذا كان ردا على موقف مصر العدائى منهم حينما رحب ـ قادتها بالصليبيين علو انطاكيه من قبل • او بسبب ما كان بين حكام دمشق وحكام مصر امن الخلافات المذهبية (٣) •

والواقع لم يكن ذلك الموقف وحده امن اسباب الهزيمة فحسب ، بل هناك سبب اخر اخطر من ذلك كله هو " اختلاف قادة ، الجيش في مقصدهم (٤) • وهو الخلاف الذى دب بين كل من تاج العجم قائد الجيش والقاضى ابن قادوس (٥) ، الامر الذى ادى الى تفكك القوى الاسماعيلية على يافا (٦) • فحاقت الهزيمة بهم (٧) •

---

١) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٩٩
٢) ابن ميسر — تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١
٣) د • سعيد عاشور — شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٨
٤) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٢٧
٥) المقريزى — اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٣
٦) ابن الاثير — الكامل ج ١٠ ص ١٢٧
٧) ابن القلانسى — ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩

ولم يتقاعس الافضل — رغم تلك الهزائم المتلاحقـــه — فبادر مرة اخرى الى ارسال بانه سناء الملك حسين فى ذى الحجة عام ٤٩٨ هـ اغسطس عام ١١٠٥ على راس حملة رابعة [١] . وقـــد مد يده هذه المرة الى طغتكين اتابك دمشق — الذى تولـــى امرها اثر موت صاحبها دقاق صاحبها دقاق فى رمضان عام ٤٩٧ هـ يونيو عام ١١٠٤ م [٢] . للمعاونته على حرب الفرنج [٣] . فما كان مـــن طغتكين الا ان استجاب لدعوته الى الجهاد فارسل اليهم قائده واصيبذ صباو يوافقه الف وثلاثمائه فارس . ذلك فى الوقت الـــذى فيه الجيش المصرى نحو خمسة الاف مقاتل [٤] . فالتقى الجيشـــان مع جيش الملك الصليبى بلدوين الاول البالغ عدده حوالى الـــف وثلاثمائة فارس وكذا ثمانية الاف راجل . فوقع المصاف بينهما علـــى عسقلان يومى ١٠ ، ١١ من ذى الحجه عام ٤٩٨ هـ ٢٣ ، ٢٤ اغسطس عام ١١٠٥ [٥] . فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخـــرى [٦]

---

١) د . سعيد عاشور   شخصية الدوله الفاطميه ص٣٠

٢) ابن العديم   زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٠
Grousset: Hist des croisades Vol. I.P. 242

٣) المقريزى   اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٥

٤) سبط ابن الجوزى   مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ — ٥
Grousset : Hist des croisades Vol.I.P. 244

٥) ابن الاثير   الكامل ج ١٠ ص ١٣٧ — ١٣٨
Grousset: Hist des croisades Vol. I/P. 243

٦) ابن الاثير   الكامل ج ١٠ ص ١٣٨ .

وقد قتل من الفريقين عدد من غير قليل قدره الذهبى باكثر من الفين ، حيث " قتل من كل منهما ازيد من الف[1] . وكان على راس شهداء المسلمين جمال الملك اميرعسقلان . وابنتهاء المعركة على هذا الشكل رجع كل من شاء الملك بن الافضل الى القاهرة واصبهم صباو الى دمشق[2] .

لاشك ان هزائم عسقلان هذه اكدت من غير جدال امتلاك الصليبيين لبيت المقدس من ناحية ، ومن ناحية اخرى فتحت امامهم الطريق على مصراعيه ليتملكوا الكثير او البقية الباقية من بلاد الشام وما حوله[3] . وعليه فقد ان الا وان للقوى الاسلامية في المنطقة ان تحدد موقفها من ذلك الخطر الداهم .

واذا اشتعرضنا ما استولى عليه الفرنج من بلاد الشام . نجدهم قد ملكوا اقليما كساحلا مع البحر الشامى[4] . اى الابيض المتوسط .

---

١) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٢٨

٢) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٥

Grousset : Hist des croisades . Vol I.P. 243-245

٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٧

٤) ابن فضل الله العمرى التعريف ص ١٧٣

يشتمل ذلك الاقليم على سبيل ساحلى وعلى تتاثر فيه بعض الاراضى الصالحة للزراعه • ويقع فيه بعض موانئ البلاد الاسلاميه مثل اللاذقيه وطرابلس وبيروت وصيدا وث ور وعكا والتى كانت على مدى عمر التاريخ معبرا للتجارة الشرقية الى الغرب (١) • هذا فضلا عما كانت تصدره من مختلف المصنوعات المحلية التى اشتهرت بها بلاد الشرق• كانت كل تلك الاراضى باستثناء الرها تلاصق البحر المتوسط وترتكز فى اتصالها باوربا على المواصلات البحرية (٢) •

ولما كانت كل تلك الاراضى فى متناول القوى الاسلامية • فقد تعيين على الغزاه الجدد ان يقيموا الامرات الصليبية المختلفة • بل ويقيموا بها من الحاميات العسكرية ما يكفل حصانتها لرد اغارات المسلمين (٣) ومن الطبيعى كان عليهم ان يقيموا علاقات تجاريه مع بعض القوى الاسلامية بالمنطقة •• اذ مهما توسع الصليبيون وامتلكوا من الاراضى العربية فانهم لن يمثلوا اكثر من نقطة فى محيط•

لذلك نلاحظ حرص الصلبيين وهم وسط غمار الحروب الطاحنه على التماس وبعض جيرانهم المسلمين من الذين تعاطفوا معهم اما بدافع الخوف ، واما بدافع الكسب المادى•

١) د • حسين موئنس نور الدين ص ١٠٢

٢) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٦١

٣) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٩

والواقع ان بلاد الشام غدت بعد الغزو الصليبي ، وقد تقاسمها مع الصليبيين ثلاث قوى اسلامية . ففي الشمال يقبع البيت السلجوقي الذى وقف رجاله ـ بعض الوقت ـ بالمرصاد لكل توسع صليبي ، وان كان قد لعب البعض منهم دورا هاما في تعزيز ذلك الغزو ودعمه ردحا من الزمن جريا وراء مصالحهم الخاصة . مثال ذلك تحالف الامير رضوان مع تنكرد امير انطاكيه عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م ضد جاولي سقاو[1] . كذلك تساهل بعض الحكام والامراء العرب في تحالفهم مع الصلبيين عند عبورهم الجنوب ليستكملوا فتوحاتهم في جنوب الشام على حساب اسماعيلية مصر المتداعية .

وقد ورث الزنكيون ـ فيما بعد ـ سلاجقة الشام بزعامة عماد الدين زنكي الذى قدر له ان يقيم دولة بين الجزيرة والعراق والعربي عام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م[2] . فبلغ من الهيمنة على من جاوره من الامراء مدى واسعا[3] . ثم ورثه فيما بعد ابنه السلطان

---

١) ابن الاثير　　الكامل ج ١٠ ص ١٦٣ ـ ١٦٤

ابن القديم　　زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٣

Grousset: Hist des croisades. Vol. I.P. 439-440

٢) ابن الاثير　　التاريخ الباهر ص ٣٤ ـ ٣٥

ابن الشامة　　الروضتين ج ١ ص ٣٠

٣) ابن واصل　　مفرج الكروب ج ١ ص ١٠٠

سيديو　　تاريخ العرب العظم ٢٢٥ ـ ٢٢٦

نور الدين محمود [1] . الذى عاش عمره مجاهدا فى سبيل اللـــه حريضا على اقامة جبهة اسلامية متحدة تقف فى وجه الخطر الصليبى [2] .

الاسماعيلية والصليبيون

اما فى الجنوب فتقف الخلافة الاسماعيلية على حدود مصـــر الشمالية والشرقية لترد ما امكن لها ردة من المد الصليبى المستمر مع فقدانها ما كان لها من موانىء الشام ومدنه الهامه .

واما فى منطقة طرابلس وحول دمشق وحلب وفى جبل لبنـــان حول منطقة جبل السماق، فقد عاشت فرق مختلفه على راسها وفـــى مقدمتها تلك الفرقه التى عرفها التاريخ بالنزاريه او الحشيشيه او ـ الاسماعيليه او الباطنيه [3] . وهى احدى الفرق الشيعية الـــتى تفرغت من البيت الاسماعيلى فى مصر والتى لعبت دورا هاما فى مقـــدرات الامور ابان الحروب الصليبية [4] .

١) ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص ١٠٧
المقريزى السلوك ج ١ ص ٣٨

٢) د . سعيد عاشور

٣) ابو شامه الروضتين ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١
د . سامى نسيب مكارم اضواء على مسلك التوحيد ص ١٤٠ ـ ١٤١

٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٠

وكانت بداية المطاف عندما استطاع الاسماعيليون امتلاك قلعة الشريق[١]. وهى التى بداوا منها مدهم للتوسعى الى مختلف بقاع البلاد الشاميه. خاصة بعد ان تولى ابو الوفا الاسماعيلى وظيفة القضاء بدمشق. فترتب على ذلك وقوع المواءمرة الاسماعيليه الصليبيه حول دمشق طمعا من الاسماعيليه فى الاستيلاء على صور[٢] وهى التى ملكها الملك الصليبى بلدوين الثانى فى شهر جمادى الاولى عام ٥١٨ هـ (يوليو ١١٢٤م) . وذلك على عهد الخليفة الامر باحكام الله الاسماعيلى بعد ان فشلت جهوده المشتركه مع طغتكين صاحب دمشق فى الدفاع عن البلد[٣] . وكان ذلك على اثر مقتل الافضل بن بدر الجمالى وزير الامر[٤] . وانتهى الامر باحتلالهم عسقلان عام ٥٤٥هـ (١١٥٠م)[٥] . وكان ذلك عقب مقتل وزير الظافر راس الامراء على بن السلار[٦] .

---

١) د. محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص٩٦

٢) د. سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ص ٥٥٩

٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ص ٢٢٥

٤) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص٢١١

٥) ابو الغدا المختصر ج ٢ ص ٢٣٧

٥) ابن ايبك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص٥٤٨ ـ ٥٤٩

ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص١٨٢

٦) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٦٣

ومهما يكن من امره فان الذى يهمنا فى هذا المقام هـــو ما تمخض عن فشل المؤامرة الاسماعيليه الصليبيه حول دمشـــق ، وهو وقوع حصن بانياس فى ايدى الصليبيين . فظلت فى ايديهـم حتى استردها شمس الملوك بورى بن تاج الملوك عام٥٢٧هـ/١١٣٢م [١] . وقد عبر سبط ابن الجوزى عن ذلك بانه كان فتحا عظيما لم ير اهل دمشق مثله [٢] . وقد اعتبر نفس المؤرخ ان تسليمه للاسماعيليين من قبل كان سيئة من اكبر سيئات طغتكين بحيث تغطى حسانه [٣] .

والواقع ان حصن بانياس بوقوعه فى يد الصليبيين لعب دورا ــ خطيرا فى تلك الفترة ، اذ ترتب على ذلك ان قويت نفوس الفرنج على قصد دمشق واستعدوا لها [٤] . فهب بلدوين

---

١) ابن الاثيـــر الكامل ج ١٠ ص٢٤٤

٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٥

٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص١١٩

٤) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

Runciman: AHist of the crusades . Vol. II. P. 179.

فى ذى القعده عام ٥٢٣ هـ اكتوبر عام ١١٢٩م مع من اجامع اليـه من انطاكيه وطرابلس وبلاد الساحل الشامى ، فضلا عن الامدادات الاوربية لذلك الغرض [١] . ولكن يقظة تاج الملوك لم تترك لهـم الفرصة لتحقيق اغراضهم . ففشل غزوهم لدمشق حينما التقى الجيشان على جسر الخشب قرب دمشق[٢] . فحاقت الهزيمه بجبش بلدوين الاول واندحر يجرر اذيال الخيبه والعار امام عسكر دمشق[٣] . لكن ليـس معنى ذلك ان دمشق كانت فى منأى من شرهم . وظلت مهدده مـن جراء الغزو الصليبى منذ ان استلولوا على عسقلانه ، حتى استولـى عليها نور الدين محمود بن صغر عام ٥٤٩ هـ ـ ابريل عام ١١٥٤م [٤] .

والواقع ان مؤامرات الاسماعيلية ضد حكام وامراء الشام لم يقتصر على المدن الكبرى مثل دمشق وحلب فحسب ، بل تجاوزتها الى حـد المعاونة العسكرية لحلفائهم الصليبين ضد بنى جلدتهم من المسلمين مثال ذلك ما حدث من اتحاد على بن وفاء شيخ الباطنية وانضمامـه

---

(١) Runciman: A.Hist of the crusades. Vol. II.P. 179 - 180

٢) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦

(٣

٣) سبط ابن الجوزى المرآة ج ٨ ص ١٣١ .

٤) واصل مفرج الكروب ج ١ ص ١٦٥

الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٦٥

ببعض رجاله مع ريموند بواتييه فى صفر عام ٥٤٤ هـ يونيه ١١٤٩ م [١]
ذلك للوقوف ضد السلطان مسعود صاحب قونيه عند محاولته مهاجمة
انطاكيه بغية الاستيلاء عليها من يد الصليبيين [٢] . حدث ذلك
اثر الهدنه المعقودة بين نور الدين محمود وبين جوسلين الثانى
صاحب تل باشر [٣] . وكان جوسلين .
هذا وقد ارتمى فى احضان نور الدين نتيجة فشل الحمله الصليبيه
الثانية بقيادة كوتراد الثانى الالمانى ولويس
السابع ملك فرنسا [٤] . الا ان السلطان مسعود
اسرع بالاستنجاد بنور الدين [٥] . فالتقوا على الفور بريموند
امير انطاكيه فى عين مراد فصبوا عليه بالسهام ليتساقط رجاله صرعى
وليخر ريموند قتيلا بيد اسد الدين شيركوه [٦] .
ثم ليقتل ايضا فى تلك المعركه رينالد صاحب مرعش
وشيخ الباطنيه على بن وفاء [٧] .

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٣٧ ـ ٦٣٨
٢) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٠
٣) ابوشامه الروضتين ج ١ ص ٥٨
٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٦٣٥ ـ ٦٣٦
٥) ابن العديم زيدة الحلب ج ٢ ص ٢٩٨
٦) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ٩٨ ـ ٩٩
٧) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٥٩
٧) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٣٨

ولم يكن غريبا ان يساند على بن وفاء ريموند وريناالد ضد نور الدين • اذ كان ذلك بمثابة الرد على نور الدين لما قام به من تغييرات جوهريه فى الحياة الاجتماعية الدينية فى حلب • فقد اظهر بها السنه وغير البداعه التى كانت لهم فى الاذان وقمع بها الرافضة [1] • كما انه امر بقتل من لم يخضع لاوامره [2] • وكان مما شجعهم على ذلك ظهور احد ابناء نزار فى القاهرة والتفاف البعض حوله [3] • فلو نجحت محاولتهم ضد نور الدين فى الشام مع ما كانوا يتوقعونه من نجاح النزاريه الجدد فى القاهرة لتحققت اهدافهم فى اعادة مجد اسماعيليه حلب من جديد •

ومن جهة اخرى اهتمام نور الدين بفتح مصر من يد الاسماعيلية الذين طمع فيهم الصليبيون " فهاجموا مصر واستباحوها اكثر من مرة [4] وكان ذلك ايضا من اهم الاسباب التى وضعته فى مركز العدو اللدود لكل من اسماعيليه مصر والنزاريه فى بلاد الشام معا • وعليه كان لابد من تحالفهم مع الصليبيين ليقضوا على ماصورره باطماع نور لدين فى مصر الاسماعيليه [5] •

١) ابو شامه — الروضتين ج ١ص ٥٩
٢) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص١٩١
٣) ابو المحاسن — النجوم الزاهرة ج ٥ ص٢٨٢
٤) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ٦٦
٥) د • سعيد عاشور — مصر فى العصور الوسطى ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤

وزاد الامر خطورة ـ من وجهة نظرهم ـ ما اقبل عليه نـــور الدين حينما نجح فى استصدار تقليد من خليفه بغداد " المستضــئ العباسى " بان عمله هذا جهاد دينى ،فاجابه الخليفة الى مـــا طلب ، فضلا عن ذلك فانه جعل له امرة مصر اذا تم له فتحها (١) . كما لقبه بالملك العادل (٢) . يضاف الى ذلك كله امتلاكه لحصن شيـ عام ٥٥٢ هـ/١١٦٨م الذى كان الاسماعيليون قد طمعوا من قبـــــل لحصانته واهميته لهم (٣) . كل هذه الاعمال المختلفة اثارت حنقهم عليه وزادت من كرهيتهم له .

وفى ذلك الوقت حينما كان نور الدين مشغولا يحرب بانيـــاس عام ٥٥٩ هـ ١١٦٤م (٤) . وشيركوه يسيطر على بعض الاراضى المصرية

---

١) ابن الاثير الكامل ج ١١ص ١٤٨
د . حسين مؤنس نور الدين ص ٢٩٨
٢) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص٦٦
٣) ابن الاثير الكامل ج ١١ص ٨٢
ابو شامه الروضتين ج ١ ص١١١ ـ ١١٣
٤) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٣٢١
King: The knights Hospitallers P. 90
ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص ١٤٠
٥) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ١٢١
ابو شامه الروضتين ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٣١

كان شاور وزير العاضد يرتمى بحاميته وبكل قواه ـ بعد ان حنث بوعده لنور الدين وشيركوه فى احضان عمورى صاحب بيت المقدس. ذلك ليقف معه ضد الغزو النورى لمصر (١) . وقد نسى شاور وتناسى ان الفضل يرجع قبل كل شىء لجيش نور الدين الذى اعاده الى وزارة مصر بعد ان قضى على ضرغام وثبت اقدامه بها (٢) .

وكيفما كان الامر فقد نجح الغزو للنورى الثالث لمصر عام ٥٦٤ هـ عام ١١٦٨ م . فى فتح مصر بقيادة اسد الدين شيركوه (٣) فقضى على قتله الوزير شاور وقتله بامر العاضد خليفة مصر وقتئذ (٤) .

ولكن على الرغم من ذلك كله فان الامور لم تقف عند هذا الحد بعد ان استنجد قادة مصر الاسماعيليه فى نفس الوقت بالامبراطور البيزنطى مانويل كومنين الذى كان على اهبة الاستعداد عندما دعاه عمورى وصادفت دعوته رغبة المنشقين الذين ارسلوا يطلبون اليه المسير الى مصر للتخلص من جيش نور الدين (٥) . لوكن فات

---

١) د . سعيد عاشور — شخصية الدوله الفاطميه ص ٥٩
٢) د . سعيد عاشور — الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص١٣ ـ ٢٥
٣) ابن شداد . — النوادر السلطانيه ص ٣٩ ـ ٤٠
ابن الاثير — التاريخ الباهر ص١٣٧ ـ ١٤٠
٤) ابو شامه — ابروضتين ج ١ ص ١٧٢
الذهبى — دول لالاسلام ج ٢ ص٧٧
٥) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٤٨
د . حسين موءنس — نور الدين ص ٣٢٠

الجميع ان صلاح الدين لايقل خطوره ولامهارة ولا اقداما عـــــن سلفه شيركوه • وفى تلك الاثناء استطاع صلاح الدين ان يستحـــوذ على عطف الخليفة العاضد وان يتولى هو شئون الوزارة فى البلاد (١) كما انه استطاع ان يحطم من جهة اخرى مشروعات الخليفة واعوانـــه فقد قيل ان الخليفة العاضد رضى بعض الوقت عن تصرفات اولئـــك المنشقين ، ولكنه ــ امام سطوة صلاح الدين وقدرته على السيطـــرة على الجو العام فى البلاد ــ عاد الى صوابه (٢) .

وكان ان تحقق ما كان يرنو اليه اعداء العهد الجديد • ففى الوقت الذى انشغل صلاح الدين باخماد ثورة الجند داخـــــل البلاط الاسماعيلى فى مصر وصلت طلائع الغزو الصليبى للبلاد • فدخلت قوات عمورى وتجمعت عند القرماء بينما اتجه الاسطول البيزنطـــــى مباشرة الى دمياط فى صفر عام ٥٦٥ هـ نوفمبر عام ١١٦٩م (٣) • وكانت المفاجاة لصلاح الدين حيث اضحى بين شقى الوحى ففى القاهرة ، ثورة • وعلى اطراف البلاد الشمالية غزو خطير • الا ان ذلك لـــم يثن من عزمه فى مجابهة الخطرين معا • فقرر على الفور ارســـال الحاميات الى دمياط فى الوقت الذى لابد ان يكون على اتصـــــال

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٧٩

٢) د • سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٩٢

٣) د • سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية ص ٦٣

دائم برئيسه نور الدين في الشام • فبعث اليه يستنجده ويوضح له الامر[١] • فانه ان خرج من مصر خلفه اهلها بسوء وان قصد عن الفرنج اخذوا دمياط وجعلوها محتقلا يتقووا بها على اخذ مصر[٢] • وكان من الطبيعى ان يستجيب نور الدين على الفور للنداء " فانته فوق الجند ارسالا[٣] • ذلك في الوقت الذى وقف اهل دمياط مع صلاح الدين على قلب رجل واحد • فسدوا الميناء امام سفن الاسطول البيزنطى بسلاسل ضخمة مما عاق سيرها جنوبا نحو القاهرة ، فضلا عن منعها من دخول البرزخ الدمياطى[٤] كذلك لعبت كرات النار التى قذفه بها الاهالى دورا هاما فى تدميره • فاتت على جزء كبير منه[٥] •

وان دل ذلك على شىء انما يدل بصورة جلية وواضحة على ان اهل مصر رحبوا بحكم صلاح الدين السنى نابذين وراء ظهورهم عهد الاسماعيليين بكل ملامحه • وان كان ذلك لايمنع ان نحق الحق • فقد ورد ان العاضد الاسماعيلى اخر الخلفاء بمصر امد

---

١) ابوشامه الروضتين ج ١ص ١٨٠
د • حسين مؤنس نور الدين ص٣٢٥

٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠

٣) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ١٤٣
ابن واصل مفرج الكروب ج ١ص ١٨١

٤) د • سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٩٤ — ٢٩٥

٥) د • سعيد عاشور شخصية الدوله الفاطميه ص ٦٣

صلاح الدين بما لا يقل عن " الف الف دينار " لمساعدته في حربه على دمياط [١] . الامر الذى جعل صلاح الدين يعترف له بالفضل وقد اعلن ذلك بنفسه قائلا " ما رايت اكرم من العاضد جهز الى فى حصار الفرنج الف الف دينار سوى الثياب وغيرها [٢] .

بيد ان القدر اراد ان يلعب دوره في هزيمة اولئك المعتدين فاشتركت السماء بميل منهمر لتحول الارض تحت اقدامهم اوحالا . فلم يبق لهم من الرحيل مناص [٣] . فغادرت الحمله دمياط فى الثالث والعشرين من ربيع الاخر عام ٥٦٥ هـ — ١١ ديسمبر عام ١١٦٩م [٤] . ذلك في الوقت الذى كان نور الدين يلعب اعظم ادوار البطوله فى بلاد الشام حيث قام بغارات عنيفة على مملكة بيت المقدس وممتلكاتهم فى السام . فدخل بلاد الفرنج فنهبها واغار عليها واستباحها ووصلت الغارات الى مالم تكن تبلغه لخلو البلاد من مانع [٥] . فترتب على ذلك ان " قتل خلقا من رجالهم وسبى كثيرا من نسائهم واطفالهم

١) ابوشامه — الروضتين ج ١ ص ١٨٢

٢) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٧٩
المقريزى — الخطط ج ١ ص ٢١٤

٣) د . حسين مؤنس — نور الدين ص ٣٢٦

٤) المقريزى — اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٥ — ٣١٦
Grousset: Hist des croisades Vol. II. P. 544-550
ابن الاثير — التاريخ الباهر ص ١٤٤

وغنم من اموالهم [١] . فاضطر عمورى امام ذلك الخطر الداهم الى سرعة الرحيل لبلاده [٢] . فضلا عن ذلك فقد فسر الاسطول البيزنطى هاربا الى الشمال ليلاقى حتفه وسط عاصفه ارسلها الله تعالى لتكتب نهاية ما سلم من سفنه فى جريقد مياط بسبب عجز بحارتها عن السيطرة عليها [٣] .

وبذلك فشلت المؤامرة الاسماعيلية الصليبية لطرد الجيش النورى من البلاد . وماتت خيوطها البالية تذورها الرياح ... مما مهد لرسوخ اقدام صلاح الدين فى مصر [٤] . لتسبح بقية خيوط النهاية لقصة الاسماعيلية فى مصر اولا ثم فى بلاد الشام فيمابعد .

على ان عمورى الاول ملك الصليبيين فى بيت المقدس لم يقف مكتوف الايدى فى ذلك الدور امام خطر الجبهة الاسلامية التى جمعت بين الشام ومصر والتى احاطت بمملكة بيت المقدس الصليبيه وطوقتها من الشمال والجنوب [٥] .

---

١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠
٢) ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص ١٨٢
٣) د . سعيد عاشور شخصية الدوله الفاطميه ص ٦٤
٤) د . سعيد عاشور شخصية الدوله الفاطميه ص ٦٤
٥) د . سعيد عاشور شخصية الدوله الفاطميه ص ٦١

لذلك انتهز عمورى الاول فرصة الخلاف الواقع بين اسماعيلية الشام بزعامة راشد الدين سنان وبين نور الدين ليحقق بعض المكاسب ويدعم مكانته على حساب المسلمين وكان سنان — كما ذكرنا انفا — قد اعتبر نفسه الوارث الشرعي لاسماعيلية مصر. هذا من وجهة ، ومن جهة اخرى فان نور الدين استطاع القضاء على الفوضى الضاربة اصنابها فى بلاد الشام بسبب الفتن الاسماعيلية كله قضائه . علــــى الخلافه الاسماعيليه فى مصر[1] . لذلك كان على سنمسان ان — يتعاطف مع غريم نور الدين الصليبى ليقضيا معا على ذلك القائـــد الذى اقلق بالهم وشتت شملهم ومازال يتعقبهم حينما حلو ركابهم .

لذلك حدث على اصر عودة نور الدين الى دمشق وصـــلاح الدين الى مصر ان انتهز كل من سنان وعمورى تلك الفرصه المواتيـــه ليعقدا معا اتفاقا مشتركا ضد نور الدين . فحواه ان يتوسط عمورى لرفـع الاتاوة التى فرضها فرسان الدولة على بعض الحصون والقـــرى الاسماعيلية المتفوقة فى الجبـال التى سيطر عليها الاسماعيليون .

ثم خضعت فيما بعد من ارتاحية السياسية للنفوذ الصليبى[2] ولا غرابة ان يوافق عمورى على ذلك لكسب صديق سلم قوى ضد نور الدين .

---

١) د . سعيد عاشور الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٢٩ —٣١ — ٣١ .

٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٣٤

ومهما يكن من امر فقد نجح وفد سنان الى عمورى فى ذلك . فوافق عمورى من حيث المبدأ على التوسط بين كل من الاسماعيليــــة والدوية فى ذلك الشان [١] . وكما سبق ان اوضحنا فقداتهم راشـــــد الدين سنان فى هذا الصدد بانه عرض على عمورى قبول اعتناقــــه المسيحيه مقابل ذلك [٢] . الامر الذى كان له اطيب الوقع فى نفـــس عمورى مما جعله يستمر فى تاييدهم فى طلبهم هـذا [٣] . الا اننـــا فى واقع الامر نؤيد الراى القائل برفض مثل ذلك الاتهام الباطل [٤] ولا نستبعد ان يكون ذلك الامر مدسوسا عليه من بعض المؤرخين .

ومما يدعم راينا هذا ان الوفد الاسماعيلى لبيت المقدس لـــم تكتب سلامتهم على طريق العوده . ذلك انهم ماكادوا يقتربون مـــن طرابلس حتى ارسل رئيس الداويه فارسا من طرفه يدعى "والترميسنيل .

١) د . سعيد عاشور   الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٧٣٥

٢) د . حسين مؤنس   نور الدين ص ٣٥٢

Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II.P.397

Runciman: A Hist. of the crusades. Vol. II.P.397

٤) د . سعيد عاشور   الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٧٣٤

فانقض عليهم فقتلهم جميعا [١] . ونعتقد انهم اقبلوا على ذلك حتى يفشل حذفهم مع صاحب بيت المقدس ، فيكون الداوية فى حل مما اتفقوا عليه من ناحية وليفسدوا العلاقات بين كل من عمورى و الاسماعيليين من ناحية اخرى وقد كان لذلك الحادث رد فعل خطير حيث غضب عمورى Amalric انه غضبا بالغا [٢] . فاصدر امرا بالقبض على " والتر " walter والقى به فى السجن . كذلك بعث الى البابا يستاذنه فى حل جماعة الداوية . ذلك فى الوقت الذى ارسل يسترضى حذيفه سنان ويعتذر له عما حدث متعاهدا واياه على تنفيذ ما كانا يبغيانه معا [٣] . لدرجة ان المؤرخين الاوربيين اعتبروا ان عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م هو عام العلاقات الطيبة بين الاسماعيلية الحشيشيه والصليبيين . [٤] .

---

١) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٢

runciman: A Hist of the crusades. Vol. II.P. 297

٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ص ٧٣٥

٣) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٣

Grousset: Hist des croisades. Vol.II.P.601 602

Runciman. AHist. of the crusades. Vol.II.P.397

وكيفما كان الامر فنحن لا نسطتيع لن نؤكد اتهام راشـــــد الدين سنمان بذلك الامر الخطير . وخاصة اذا علمنا ان فرســـان الداوية جاءوا على كل شيء مع الوفد الاسماعيلى ليخفوا معالم الاتفاقية التى يـ حتمل ان تكون قد وقعت بينهم . فضلا عن ذلك فان راشـد الدين سنان لم يكن من الضعف بمكان لدرجة انه يخرج عن دينـــه ودين اباثه واجداده ، فى سبيل كسب مادى رخيص يتمثل فى الضرائب او الاناوات المفروض عليهم دفعها للداويه او لغيرهم [1] . ولذلـــك فاننا نعتبر ان ذلك الاتهام كان محض افتراء لا اساس له ولا يتمتـــع باى نصيب من الصحة

ومهما يكن من امر فان مخطط عمورى — سنان ، ضد نور لديـن فشل بسبب كارثة الاسماعيليين على مشارف طرابلس [2] .

وكيفما كان الامر فانه بوفاة نور الدين محمود فى شوال عام ٥٦٩هـ مايو عام ١١٧٤م اصبح صلاح الدين يتعامل وجها لوجه مـــع كل من الفريقين الصليبى والاسماعيلـى معا . [3]

---

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ص ٧٣٤
٢) د . سعيد عاشور الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٧١
٣) د . سعيد عاشور الايوبيون والمماليك فى مصروالشام ص٤٧

وقد وضحت الصورة تماما عندما ملك الاسماعيلوينة حصن مصياف عام ٥٣٥هـ/ ١١٤١م [1] • فتاكد بذلك دورهم الرئيس في المجالين الاسلامى والصليبى على السواء • وعلى وجه الخصوص عندما اتخذها سنان قاعدة له [2] • والواقع فقد لعب حصن مصياف دورا هاما فى التاريخ الاسماعيلى لاهمية موقعه بين دمشق وطرابلس وفى منطقة جبل اللكام • هذا فضلا عن جمتل الطبيعة من جوله • فقد كان محاطا ببعض الحدائقالغناء بالاضافة الى قرية من نهر العاصى وكان ـ فوقذلك كله ـ يتوسط قلاع الاسماعيليه فى تلك المنطقة ، وهى القدموسى والمنبثقة والعليقه والكهف• فضلا عن تمتعه ـ باستحكامات قوية ومنيعه •• لذلك اتخذ مقرا لشيخ الجبل [3] •
والمشاهد ان النواحى المذهبية كان لها بالضرورة المقام الاول فى كل الاتجاهات الاسماعيلية ذلك فضلا عن نوع الخطر المحدق بهم ، سياسا كان ام عسكريا •

---

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٧٧
٢) الذهبى دول الاسلام ج ٢ص ٥٤
٣) د • محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص ١٠١
٤) Le strange : Palestine P. 507

ذلك انه عندما وطدوا امارتهم في مصياف ، وجدوا انفسهم امام قوة طامعه في الغرب متمثلة في الصليبيين • وقوة ناهضة في الشمال والشرق والجنوب متمثلة في المملكة النورية الجديدة فاخذوا في التمكين لانفسهم بتحصين قلاعهم وحشدها بالجند من الفداويه مع التركيز على تدريبهم في مدرسة الكهف[1] • ومن هنا نفهم انه كان للحصون الاسماعيلية في بلاد الشام ـ ارض متخصصة لعبت دورا هاما في تربية اتباعهم على مختلف درجاتهم في الدعوة •

وكان اول تعاملهم الفدائي مع الصليبيين عندما لاح خطر ريمند الثاني امير طرابلس عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م • فكان ردهم عليه ان لقى مصرعه بخناجرهم[2] • والواقع لقد اقام الاسماعيليون علاقاتهم بكل من المسلمين السنين والصليبيين على اساس المصلحة الذاتيه البحته دون النظر الى اى اعتبار اخر •

وفيما يبدو ان شعورهم بالاقليه في وسط ذلك البحر الخصم من التيارات السياسيه والحربيه هو الذى املى عليهم ضرورة اتباع سياسة العنف احيانا والمراوغه والمداهنه احيانا اخرى •

---

١) ميشيل لباد   الاسماعيليون في مصياف ص١٠٦

٢) د • سعيد عاشور   الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٦٠

ذلك انهم اقدموا على قتل كونراد مونتفرات عندما اعترض رجاله سفينه اسماعيليه كانت تحمل تجارة لشيخ الجبل راشد لدين سنان . وكانت قد اخذت طريقا تجاريا فى البحر املتوسط فاسروها بمن ومافيها (١) ولما فشل سنان فى مفاوضاته مع مونتقرات

فى شأن اعادة سفينته مع اطلاق الاسرى ورد الاموال . تعين عليه ان يحدد موقفه من خصمه العنيد . فلقى مونتقرات مصرعه على يد فدائيته يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاخر ٥٨٨هـ ٢٨ابريل ١١٩٢م فى صور (٢) . ثم ذلك بعد ان دس سنان اثنين من رجاله تعايشا فى الاوساط الكنسية فى مدينة صور فترة غير قصيرة من الزمن لينفذوا ما امرا به فى غريم الاسماعيليه مونتقرات (٣) . حتى ليقال انهما تظاهرا باعتناق المسيحيه لاخفاء حقيقه شخصيهما . فارتديا ملابس الرهبان (٤) . فضلا عن ذلك فانهما استطاعا تعلم لغة الفرنج واجادتها (٥) .

---

(١) Sykes: A hist of Persia Vol. II.P.100

Runciman :A Hist of the crusades. Vol.II.P. 64-65

٢) العماد الاصفهانى الفتح القسى ص٤٧٩

Guyard: Un grand moitre. P. 84

٣) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١

٤) ابن واصل مفرج الكروب ج ٢ص ٣٨٢

٥) ابو فراس مناقب المولى سنان ص ١٨٤ .

Guyard: Un grand moitre . P.50

وقد اختلفت الروايات حول دوافع اغتياله · فاتهم البعض صلاح الدين [1] · وكان سبب ذلك هو تحسن علاقاته براشد الدين سنان · حتى قيل ان راشد الدين سنان براس مونتقرات هديه لحليفه صلاح الدين [2] · فيقال انه عندما تم اغتياله + اجتز القاتلان راسه وحطاه في مخلاه واخطا سيفه وحياصته وخرجا من جيش الافرنج مسرعين الى ان دخلا على الملك صلاح الدين فوضعا راسه بين يديه وسيفه وحياصته [3] · الا ان ذلك - في تصورنا - امر بعيد الاحتنال · اذ كيف جيء براس مونتفرات Montferrat الى صلاح الدين وقد تم القضاء على القاتيلين في الحال [4] ا

وهناك راى اخر يفيد ان صلاح الدين كان قد اوعز الى سنان يقتل كل من مونفرات Montferrat وريتشارد قلب الاسد [5] · الا انه كان على سنان ان يحدد موقعه من كل من الثلاثه · فوقع الاختيار على مونتفرات دون رتيشارد حتى لا يخل

---

١) د · محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ١٠٤
ميشيل لباد الاسماعيليون في مصياف ص١٠٧

٢) فصل من اللفظ الشريف

٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص٤٣٠
Guyard: Un grand moitre P.49

٤) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١
Rundiman: A Hist. of the crusades.Vol. III.P

٥) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١
King: The Knights Hospitallers: P. 153

الجو الصلاح الدين . وحيث لم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرغ لهم (١) .

لم يقتصر الامر عند حد اتهام صلاح الدين فحسب ، بل اتهم ايضا الملك ريتشارد في هذا الصدد اتهاما صريحا وواضحا (٢) فنجد بعض مؤرخي الصليبيين يتهمونه بالتدبير لاغتيال مونتفرات حتى يصفو له الجو في الارض الفلسطنيه من جهة ، ومن جهة اخرى لينفرد هو بزعامة الصليبيين في الارض العربية المحتله ، وذلك بالتخلص من منافس خطير مثل مونتفرات (٣) . وايدهم في هذا الراى كثير من مؤرخي المسلمين وعلى راسهم ابن الاثير . وقد عبر عن ذلك بقوله : " ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار لينفرد بملك الساحل الشامى (٤) . فضلا عن ذلك فان اغتياله وقع موقعا طيبا من نفس ريتشارد وقد عبر صاحب المراة عن ذلك بقوله : وسر ملك الانكلتار بقتله لانه كان يضاهيه ويضاده ويراسل السلطان في الاعانة عليه (٥) . يؤكد ذلك ما جاء في الروضتين : فلما قتل سكن روعه وذهب عنه ضره (٦) .

---

١) King: The knights Hospitallers: P. 153

٢) مونورند تاريخ الحروب المقدسه ج ٢ص٣ ١٥٣
Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III.P.65

٣) ابن الاثير الكامل ج ١٢ص ٣١

٤) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣٠ — ٤٣١

٥) ابوشامه الروضتين ج ٢ص ١٩٦

٦) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣١
King: The knights Hospitallers .P.153
Runciman: A Hist of the crusades vol. III.P.66

يعزز ذلك كله انه لم يكد يمضي حوالى اسبوع من مصرعه حتي اعلن في الخامس من مايو عام ١١٩٢م (٢٠ ربيع ثانى عام ٥٨٨هـ) خبر زواج ارملته " ايزابيلا " من الامير هنري شامبني ابن اخت ريتشارد ليحمل بدوره لقبا ملكيا وهميا وهو ملك بيت المقدس[1] . وذلك في الوقت الذى كانت مدينه بيت المقدس ذاتها قد سقطت في يد صلاح الدين يوم الجمعة ٢٧ من رجب عام ٥٨٣ هـ الثانى من اكتوبر عام ١١٨٧ م ولم يعد لها ملك غيره[2] .

وقد ساعد على تعزيز اتهام ريتشارد ان القاتلين اعترافا بانهما من الاسماعيليه " وان الانكتار وضعنا عليه[3] .

ولقد تمثلت خطورة مصرع مونتفرات في انه كان للمشرح الوحيد لتاج بيت المقدس. وقد جرت مفاضلة بينه وبين جاى لوزجنان في موئتمر عسقلان ابريل عام ١١٩٢م على هيئة استفتاء فكان الراى في جانبه[4] . وقد لعبت عوامل الكراهية التى — اضمرها الصليبيون

١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣١

٢) د. سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ص ٨١٩—٨٢٢

٣) ابن شداد العليمى النوادر السلطانيه ص٢٠٨
أنس الجليل ج ١ص ٣٥٨

٤) د. سعيد عاشور الناصر صلاح الدين ص ٢٥٤

في بلاد الشام لال لوزجنان دورا هاما في تعزيز اتهام ريتشارد بفللك[1]

والواقع لو اننا بحثنا في ثنايا الموقف بالنسبة للقضية العربية لتبين لنا انه كان من الضرورى والافضل لصلاح الدين ان يظل مونتفرات على مسرح الحوادث . بسبب انه تسابق مع غريمه ريتشارد في التفاوض مع صلاح الدين كل يريد ان يكون له قصب السبق في النيل بموافقته على مايريد .

ففى الوقت الذى كان صلاح الدين يستقبل مبعوث مونتفرات[2] كان شقيقه العادل يجرى ـ من ناحية اخرى ـ مفاوضات مع الملك ريتشارد . وقد دارت المفاوضات جميعها على مستوى واحد اوبمعنى اخر في مجال متقارب[3] . ولا شك ان مصرعه كان لابد ان يعطى ريتشارد دفعة قوية للتمادى في مماطلة صلاح الدين .
ولكن صلاح الدين فيما يبدو لم يتاثر كثيرا بموت مونتفرات[4] . بالرغم انه "لم يعجبه قتل المركس لانه كان قد ابدى عداوة الانكلتير ومنازعته في الملك[5] . فسار صلاح الدين في تحديه لريتشارد حتى اذعن

١) د . سعيد عشاشور قبرص والحروب الصليبيةص ٢٧
٢) العما (الاصفهانى الفتح القسى ص ٥٦٠ ـ ٥٦٢
٣) ابن شداد النوادر السلطانية ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨
٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٨٤
٤) ابوشامه الروضتين ج ٢ ص ١٩٦
٥) ابن واصل مفرج الكروب ج ٢ص ٣٨٢

الاخير لطلبه (١) . وهكذا لعب الاسماعيليون بقتل مونتفسرات دورا هاما — ربما عن غير قصد — حتى تم الصلح المثمر بين كل من صلاح الدين وريتشارد .

وعليه فقد ارسل ريتشارد " لصلاح الدين في الصلح واظهر من ذلك ضد ما كان يظهره اولا فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنا منه انه يفعل ذلك خديعة ومكرا (٢) . ولكن المفاوضات سارت بينهما في الطريق المرسوم لها حتى عقد ما عرف " بصلح الرملة في العشرين من شعبان عام ٥٨٨ هـ ٢ سبتمبر عام ١١٩٢م (٣) . وكان من اهم بنوده دخول بلاد الاسماعيليه في حوزته (٤) . فتم الاتفاق على ان البلاد الساحليه التي بايدى الفرنج هي لهم والبلاد الجبلية التي فيها القلاع تبقى بايدى المسلمين (٥) . ذلك مع السماح بالحج المسيحي — المجرد منه كل الغايات العسكرية — الى بيت المقدس مع اعفاء الحجيج من اية ضريبة مقابل ذلك (٦) .

---

١) العماد الاصفهاني — الفتح القسي ص ٦٠٣
٢) ابن الاثير — الكامل ج ١٢ ص ٣٤
٣) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٨
٤) تولى العماد الاصفهاني كتابة عقد الهدنه . وكان ذلك في يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شعبان عام ٥٨٨ من اول ايلول (سبتمبر عام ١١٩٢م المده ثلاث سنين وثمانيه اشهر الاصفهاني الفتح القسي ص ٦٠٥ .
٥) ابن الجوزى — المنتظم ج ٢ ص ٢٠٠
سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٤١٨
٦) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٨٩٨

ويرجع اعتقاد البعض في ان صلاح الدين كانت له يد في اغتيال مونتفرات الى ان صاحب المناقب ادعى ان صلاح الدين اصبح على اثر سماعه بذلك الحادث، فرحا مسرورا ٠ فطلب الفداويه فلما حضرا قام قايما لهما وعظم قدرهما وقام وزراؤه وجلساؤه لقيامه لهما ثم خلع عليهما واحسن اليهما واجلسهما الى جانبه (١) ٠ كما ادعى نفس الكاتب ان صلاح الدين رسم بان يكتب لدعوة الهاديه في كل معاملة من المعاملات القريبه الى قلاع الدعوة عشرة ضيع ويبنى لبيت الدعوة الهاديه في كل مدينة من المدن دار دعوة في مصر ودمشق وحمص وحماه وحلب وغير هذا من المدن ٠ وسير المولى واشد الدين هديه سنيه (٢) ٠

على ايه حال فان علاقة الاسماعيليين بالصليبيين لم تكن على اسس عدائيه بصفه دائمه ٠فقد سادتها عوامل الود والصداقه فترة غير قصيرة وتبودلت الزيارات بين قادة كل من الفريقين ٠ وكان — الصليبيون قد اعتقدوا ان موت سنان عام ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م سيحدث فراغا في المجتمع الاسماعيلي ولمن ابنه الحسن سرعان ما استطاع ان يملاء ذلك الفراغ ٠ ففتح ابواب قلاعه ليستقبل الملك الشاب هنرى الشامبنى

---

١) فصل من اللفظ الشريف ١٤٥

٢) فصل من اللفظ الشريف ١٤٥

الذى تولى امر الصليبين بالشام اثر مصرع مونتقرات وهو طريقة الى انطاكيه فهرع هنرى لزيارة الحسن بن سنان صاحب قلاع الاسماعيليه • حيث استقبله في قلعة الكهف(١) • ذلك لانه كما وصفه ابن الاثير "كان خير الطبع قليل الشر رفيقا بالمسلمين محبا لهم(٢) •

وهناك في قلعة الكهف استطاع هنرى ان يقف على قوة الاسماعيليين • وكيف حولوا شابا من البشر في مقتبل العمر الى مجموعات من الفداويه لا يهابون الموت ولا يخشون الردى في سبيل تحقيق اغراض شيخهم وعملا على مرضاته كما وانهم كانوا رهن اشارته(٣) فدعا الحسن بعض رجاله بن الفداويه لامره بقتل نفسه بخنجر ففعل • وامر اخر بالقاء نفسه من اعلى ابراج القلعة فهوى على الغور ليراه هنرى بعد ثوان جثة هامده • ولما راعه ما راى ه طلب الى الحسن الا يامر بثالث وكفى ء(٤) •

---

١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٠٩

٢) ابن الاثير الكامل ج ٢ ا ص ٣٤

Rubciman: A Hist f the crusades vol. III.P 89 (٣

٤) ميشيل لباد الاسماعيليون ؛ مصياف ص ١٠٨

وهذا ـ في واقع الامر ـ مما جعلهم يتعايشون مع جيرانهم الاسماعيلية على اساس من الود والمحبه ، اوربما هو الخوف من شر خناجرهم . فخرج هنرى من القلعه مرتبط مع الحسن بصداقة عريقه . وعلى وعد من الحسن بانهم على اتم استعداد لمساعدته بضد الى عدو يشير اليه (١) . وان دل ذلك شيء فانما يدل على انه كان لريتشارد دور في اغتيال مونتفرات عن طريق الاسماعيليه انفسهم . والا لما عرض الحسن على هنرى المساعدة ولما لبى هنرى على وجه السرعه الدعوة لزيارته في قلاعه . وربما كان ذلك اعترافا بفضل الاسماعيلية في تقلده ذلك المنصب الكبير باخلاء الجو من منافسه الخطير مونتفرات (٢)

ومهما يكن من امر فقد كسب المسلمون بتعيين هنرى ملكا على ما خلفه مونتفرات صديقا حينما . لانه كان عاقلا كثيرا لمداراه الاحتمال (٣) . وكان فيما يبدو على درجة كبيرة من الدبلوماسية والذكاء . لذلك استطاع ان يقيم علاقة طيبة مع كل صلاح الدين

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٠٩
٢) وقد علل بعض المؤرخين الاوربيين ان خليفة سنان قصد من وراء ذلك التصرف باستمرار قيام العلاقات الطيبة بينهم وبين الصليبيين . حتى لنجده يذكر ان الحسن اعتذر لاقدامهم على اغتيال مونتفرات باعتباره احد القادة الصليبيين العظام . فما كان من هنرى دى شامبني الا ان قابل اعتذاره عن ذلك ببساطه ودون تكلف . اى انه حسب مفهومنا نحت الشرقيين طيب من خاطر اصدقه الجديد الحسن بن سنان .
Runciman:AHist of the crusades. Vol.III. P89
٣) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١

وخلفاء راشد الدين سنان على مستوى متكافيء حتى يتعايش مع كل من الفريقين في ود واخاء (١) .

وكما استخدمهم بعض حكام المنطقة الشاميه من المسلمين كاداة فعالة للتخلص من اعدائهم او ممن لا يرغبون فيهم ويرهبون جانبهم . فقد استخدمهم الصليبيون كذلك في هذا المضمار . ولما كان الاسماعيليون قد ارتبطوا بدفع جزيه لكل من الاستباريه والداويه ، فقد حاولوا عبثا بعد ذلك التخلص من ذلك العبء الباهظ باساليب شتى كان من اهمها تلك المحاولة التى اقبل عليها راشد الدين سنان بتحالفه مع عمورى Amalric لذلك الغرض ولكن دون جدوى . فضلا عما فقده بمن اغتيل من رجاله على مشارف طرابلس . لذلك لم نكن هناك مندرحة امام ذلك من تحالفهم مع كل من الفرقتين الداويه الاستباريه كان في بعض الاحيان اجدى واسرع من احالفهم مع قرينتها ا الدواية خاصة انهم كانوا على عداء مع الدارية بسبب ما اقترفوه معهم من قبل .

وفيما يبدو ان الود او التفاهم دام بين الفريقين اى بين الاسماعيليه والصليبين وقناما . حتى اقبل الباطنيه على اغتيال ريموند Reymond الابن الاكبر لبوهمند الرابع Bohemond IV امير انطاكيه عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣م في كنيسة انطوسوس (٢) .

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٠٩ - ٩١٠
٢) ابن واصل مفرج الكروب ج ٣ ص ٢١٩
Rüncimann: AHist of the crusades. Vol. III.P.13

ولما كان لذلك الحادث المؤسف وقع سيء في نفوس الصليبين ، فقد قرروا الانتقام من الاسماعيليه . فشن بوهند هجوما عنيفا على الممتلكات الاسماعيلية . فحاصر الخوابي عام ٦١١ هـ/ ١٢٢٤م حصارا شديدا كادت تسقط بسببه في يده[١] . لولا ان بادر الاسماعيليون بالاستغاثه بالملك الظاهر صاحب حلب فاسرع بارسال نجده لحماية الحصن وفك حصاره[٢] . كذلك اتخذ من جانبه خطوة جريئة لتاديب الصليبين فهاجم اللاذقيه[٣] . وفي ذلك دلالة واضحة على ان الاسماعيليين كانوا على وفاق مع بعض القوى الاسلامية في بلاد الشام في ذلك الوقت . الامر الذى حدى بالملك الظاهر الوقوف بجانبهم في اكثر من مناسبة والشاهد على ذلك ما رواه ابن واصل حيث " بعث الملك الظاهر الى الفرنج يعلمهم انه لايمكنهم من الاسماعيلية[٤] .

ونعتقد ان خوفه من عمه العادل صاحب مصر ودمشق هو الذى لعب دورا هاما في محالفته للاسماعيليين ضد بوهند ليكونوا عونا له اذا ما فكر العادل في اغتصاب حلب منه . رغم انه كان عمه وصهره في نفس الوقت .

______

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٤
٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٣ ص ١٦٦
٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٤
٤) ابن واصل مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٢٤

وقد اثيرت الشكوك — فيما يختص بمصرع ريموند Raymond
حول الاسبتاريه بسبب تعاطف الاسماعيليه معهم جريا وراء تحقيق مطلبهم الخاص بالاعفاء من الجزيه المقررة عليهم (١) . اما بوهمند فقد وجه الاتهام لكل من الاسبتاريه والداويه معا . الامر الذى ترتب عليه رفع تقرير ضدهم الى البابا ، والذى بعث بدوره الى امراء صيدا وصور وبيروت يطلب اليهم ابلاغ النظام العسكرى المتمثل فى الاسبتاريه والداويه ضرورة الغاء كل ارتباط مع الاسماعيليين فى بلاد الشام (٢) . او بمعنى اوضح قطع العلاقات فيما بينهم .

والواقع كان لابد للبابا من اتخاذ مثل ذلك القرار . فقد ثبت ان موءامرات الاسبتاريه لم تتوقف عند حد اغتيال ريمنوند فحسب بل حدث اغتال الاسماعيليون — بايعاز منهم — ادم سيد بغراس الذى تولى الوصايه على ملكة ارمينيا الطفله ايزابيلا لبنته ليو الثانى (٣) . فضلا عن ذلك فقد اغتالوا بايجاز منهم ايضا — البرت بطريرك بيت المقدس عام ٦١٢ هـ / عام ١٢١٥م (٤) . الامر الذى كان

---

(١) King: The Knights Hospitallers P. 216

(٢) King: The Knights Hospitallers P.234 - 235

(٣) Runciman: A Hist of the crusâdes Vol. IIIP 171

(٤) Runciman: A Hist of the crusades Vol. III. P. 138

له اثر شيء في نفس البابا والصليبيين جميعا فترتب على ذلك ان نازل الفرنج الخوابي وجدوا في حصاره وقتال اهله ، وقاتلتهم رجالة الحلبيين الذى بعثهم الملك الظاهر - مرة اخرى - نجده لاهل الخوابي (١) . ثم وقع الصلح بينهم (٢) .

مما سبق عرضه نتبين ان المد والجذر الاسماعيليين قد استمرا يلعبان ادوارهما المختلفة في بلاد الشام حتى تعرضت تلك البلاد للغزو التترى الذى جاء بمثابة بداية النهاية لاوضاع سياسية متعددة في بلاد فارس والعراق والشام (٣) .

---

١) ابن واصل مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٢٩

٢) المقريزى السلوك ج ١ ص ١٨٠

٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٤

"الفصـــل الرابـــــع"

الفصل الرابع

انكماش النفوذ الاسماعيلي على عصر سلاطين المماليك في بلاد الشام

حالة بلاد الشام عند قيام دولة المماليك فى مصر سنة ١٢٥٠ ، الحشيشيه والصليبيون . موقف اسماعيلية الشام من المماليك فى مصر . ظهور التتار . سقوط حصون الاسماعيلية فى بلاد فارس والشام فى أيديهم . موقعه عين جالوت واثرها فى عودة ظهور نفوذ الاسماعيلية . تمرد الاسماعيليه ضد الحكم المماليكى فى بلاد الشام . الظاهر بيبرس يستولى على حصون الاسماعيليه . خضوع الاسماعيليه فى بلاد الشام للحكم المماليكى . أثر ذلك فى المجتمع الاسلامى فى مصر والشام .

تمخضت حملة لويس التاسع على مصر عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م عن تطور خطير فى الاوضاع السياسيه فى مصر والشام هو سقوط دولة الايوبيين وقيام دولة المماليك فى مصر (١) .

ويهمنا من امر هذه النقلة الخطيرة ان الاسماعيلية فى بلاد الشام لم يرتاحوا القيام بدولة المماليك فى مصر ، وهى دولة ناشئه فتيه ، لان هذه الدولة لم تلبث أن تمد سيطرتها على بلاد الشام . مما جعل الاسماعيليه فى مواجهة قوة جديدة ناميه بدلا من قوة الايوبيين المتداعيه (٢)

---

١) د . سعيد عاشور مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص١٨

٢) د . سعيد عاشور العصر المماليكى فى مصر والشام ص٦٣

لذلك بادر الاسماعيلية فى رمضان عام ٦٤٨ هـ (ديسمبر عام ١٢٥٠ م) فأرسلوا مندوبين من طرف شيخ الجبل الداعى ابى الفتوح الى الصليبيين فاستقبلهم الملك لويس — الذى اتخذ من عكا مقرا له بعد الطلاق سراحه من الاسر — استقبالا لا فوق العادة وسمح لهم أن يجلسوا فى حضرته (١) . وكان القصد من زيارتهم التفاوض لفرض اتاوة على لويس مقابل التزام الاسماعيليين بالوقوف على الحياد فى النزاع بين الصليبيين (٢) .

والواقع فقد أردا الاسماعيليون بذلك أن يضربوا هدفين برمية واحدة فأن فشلوا فى طلبهم هذا فلا أقل من أن يحصلا على اعفاء من الجزية التى كانوا يدفعونها للاسبتاريه والداويه حلفاء لويس التاسع فى بلاد الشرق الاسلامى (٣) .

وكان من الطبيعى أن ينظر لويس فى طلبهم على الفور ، فحدد اليوم التالى موعدا للاجتماع بهم والتفاوض مع وليم دى شاتينوف رئيس طائفة الاسبتاريه ورينالد دى فيشيه رئيس طائفة الداويه (٤) . وكان أن استطاع كل من الاسبتارية والداوية تغيير سير المفاوضات ، ففرضوا شروطهما لقبول طلب الاسماعيلية وهو أن يبادر شيخ الجبل بارسال هدية قيمة للملك لويس التاسع تكفيرا عن جراته

---

١) د . زيادة حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٥٣
King: The Kbights Hospitallers. P.249
٢) مونروند تاريخ الحروب المقدسة ج ٢ ص ٢٣٦
٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١٠٩٧
٤) King: The Knight Hospitallers.P . 249

فـى طلبه هذا (١) . حيث اعتبر ذلك الطلب من وجهة نظرهما خروجا عـن المألوف ، وأن فيه امتهان لكرامة الملك الفرنسى زعيم الصليبيين فى ذلك الوقت وتحت تأثير الضغط والتهديد استجاب الاسماعيليون . فتبودلت الهدايـا مع لويس التاسع الذى غدا من أقرب المقربين لشيخ الجبل الذى سعى بـدوره جاهدا لامكان اغفائهم من الاتاوة المقررة عليهم (٢) .

كمـا أنه تم تبادل السفارات بين الطرفين بغية اقامة تحالف وثيـق بينهما وقد لعب بيف البريتونى Yves The Breton دورا رئيسيا فى عقـد معاهدة دفاع مشترك بين الاسماعيلية ولويس التاسع عندئذ (٣) .

وكان هدف لويس التاسع من ذلك كله اذكاء نار العداوة والبغضاء بين الاسماعيليين الشيعيين من جهة واخوانهم من أبناء المنطقة السنيين ليحقق مكاسب على حساب الجميع (٤)

---

١) مونروند — تاريخ الحروب المقدسة ج ٢ ص ٢٣٦
"وقد اضاف المؤرخ على ذلك ان الرسولين كانا قد هـدد بقتلهما ورميهما فى البحر الابيض المتوسط لولا أنهما فى حضر الملك لويس :
٢) King The Knights Hospitallers. P. 249
٣) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١٠٩٨
٤) د . زياده — حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٥٤

لم يكن الاسماعيليون وحدهم هم الذين اقبلوا على عقد معاهدة مع لويس التاسع . اذ عقد الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب معاهدة معه في ذى الحجه عام ٦٤٩ هـ فبراير عام ١٢٥٢ م حتى يتفرغ لمواجهة خطر التتار[1] وكان ذلك في الوقت الذى أخذ لويس التاسع نفسه يسعى الى ابرام تحالف مشترك مع التتار ضد مسلمى الشام ومصر . فأرسل مبعوثه وليام دوبرك الى قراقورم مقر الخان الاعظم في عام ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م لهذا الغرض[2] .

على انه يبدو أن المماليك في مصر لم يعبأوا بهذه التحركات وان كانوا من جانبهم قد عقدوا اتفاقا مع لويس التاسع أطلقوا بموجبه سراح ثمانمائه من أسرى المنصورة . وذلك بقصد منع لويس التاسع من الاستمرار في تحالفه مع الناصر يوسف[3]

---

١) المقريزى السلوك ج ١ ص ٣٩٣

٢) King: The knights Hospitallers P. 249
Sykes: A Hist. of Persia Vol.II.P.169.170
Runciman . A Hist. of the crusades. Vol.III.P.295

٣) سعيد عاشور مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٣٥

المغول فى بلاد الشام :ـ

وفى ذلك الدور ظهر خطر المغول ليهدد الوطن الاسلامى فى الشرق الادنى ، فضلا عن الاسماعيليه والصليبيين جميعا .

وقد بدأ احتكاك المغول بالاسماعيليين اثر الشكوى التى أثارها بايجونيان ـ حاكم ايران من قبل المغول ـ ضد الملاحدة وخليفة بغداد . ذلك فضلا عما أثاره شمس الدين القزوينى فى حضرة هولاكو من خطر الملاحدة فى خراسان . اذ أوضح له انهم لايمتنعون عن القضاء على الدولة المغوليسة اذا ماتيسر ذلك لهم . وكان شمس الدين هذا يلبس الزرد تحت ملابسه خشية الملاحدة (١) ، وذلك فى وقت " كثر أمر الباطنية بالعراق وقتلهم الناس واشتد الخطب بهم حتى كان الامراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم (٢) . وذلك خوفا منهم . وعليه فقد تجرد هولاكو لقتلهم والخلاص منهم (٣) .

وكان أن وقع اختيار منكوقا ن على أخيه هولاكو لفتح غرب ايران والشام ومصر وبلاد الروم والارمن (٤) . وامره فيما أمره به أن " أبدأ باقليم قهستان فخرب القلاع والحصون " (٥) . ثم أمرة ايضا أن يجعل كردكوه وقلعه لنيسر رأسا على عقب " فلاتبق فى الدنيا قلعة قط ولاكومة واحدة من تراب " ثم

---

١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٣
٢) السيوطى تاريخ الخلفاء ص ١١٧
٣) ابن فضل الله العمرى التعريف ص ٤٣ ـ ٤٤
٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٢
٥) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٧

طلب منه " فاذا فرغت من هذه المهمه فتوجه الى العراق وأزال من طريقك اللوز والاكراد الذين يقطعون الطرق على سالكيها ، واذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعه فلاتتعرض له مطلقا . أما اذا تكبر وعسى فألحقه بالاخرين من الهالكين " (١) .

من هذا القول نستطيع الوقوف على خطة المغول فى غزو بلاد العراق والشام . ومنه ايضا نفهم ان قلاع الاسماعيليه وبغداد وضعت فى المقام الاول للغزو المغولى على اثر الترابط الذى حدث بين بابوات روما وخانات المغول نتيجة للرسائل والسفارات المتبادلة بين كل من الطرفين (٢) . وعليه فقد تحرك هولاكو بجيوشه الى تلك الديار فى ذى الحجه عام ٦٥١هـ يناير عام ١٢٥٤م (٣) . ومن مدينة كش التى تقع فى الجنوب الغربى من سمرقند والتى كان قد وصلها فى شعبان عام ٦٥٣هـ سبتمبر عام ١٢٥٥م (٤) . أرسل عدة رسائل الى ملوك وسلاطين فارس جاء فيها " بناء على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وازعاج تلك الطائفه (٥) . فاذا اسرعتم وساهمتم فى تلك الحملة بالجيوش والعدد والالات فسوف نبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم وسنحمد لكم مواقفكم . أما اذا تهاونتم فى امتثال الاوامر واهملتم فاننا حين

---

١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٧

٢) Sykes: A Hist . of persia Vol. II. P.169

٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠٩

٤) King : The knights Hospitals P. 255
المقريزى السلوك ج ١ ص ٣٨٣
براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٥٧٦

٥) يقصد بالملاحدة : الاسماعيليين

نفرغ بقوة الله من امر الملاحده فاننا لانقبل عذركم ، وتتوجه اليكم فيجرى على ولاياتكم ومساكنكم مايكون قد جرى عليهم "[(١)] . وكان من الطبيعى أن يستجيب أمراء وملوك المنطقه لهذه الدعوة — أو بمعنى أكثر وضوحا — لهذا الانـذار عن يد وهم صاغرون . الامر الذى ساعد هولاكو على أن يعبر نهرجيجون — بسهولة ويسر وكان ذلك فى ذى الحجه عام ٦٥٣هـ يناير عام ١٢٥٦م .

وهنا تحددت الخطوط العريضه لمسيرة المغول . فتعين علـى كتيوبوقانويان أحد قادة جيش هولاكو أن يسبقه الى قلاع الاسماعيليه فـى قهستان حيث توجه على رأس مقدمة الجيش الى تلك البقاع ليمهد الطريـق للجيوش الرئيسيه بقيادة هولاكو فيما بعد . وقد وقع ذلك فى المحرم عام ٦٥١هـ مارس عام ١٢٥٣م . وكانت قلاع الاسماعيليه فى فارس هى أول أهداف هولاكو اذ أنه لن يستطيع اقامة حكومة منظمه فى بلاده الجديده مالم يحطم اصحـاب المذهب الاسماعيلى او مذهب الملاحدة على حد وصفه لهم [(٢)] . هذا فضـلا عما كان يكنه لهم من بغض عميق بسبب اقدامهم على اغتيال جغتاى ثانى أبنـاء جنكيزخـان [(٣)] .

---

١) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤
٢) رشيد الدين — جامع التواريخ ج ١ ص . ٢٤
٣) Runciman: AHist of the crusades. Vol.III P. 299.

وهكذا كان على كيتوبوقا أن يعبر جيجون ليحاصر قلعة كرد كوه (١) الا أن حاميتها استطاعت ان تفاجئ الجيش المغولى فى شوال من هذه السنه فدمرت معسكرهم وقتلوا منهم حوالى المائة شخص كما قتل فى تلك المعركة قائدهم الامير " بورى " الذى كان قد تولى قيادة الجيش حال غياب كيتوبوقا لذهابه فى مهاجمة بعض القلاع الاخرى (٢) • ومع ذلك فقد احتفظ الجيش المغولى بقوته وعنفوانه • وعلى الرغم مما تحمله المغول فى تلك المعركة فقد استطاع كيتوبوقا اثر عودته أن يعبث فى المنطقه فسادا ، ويخرب انحاءها مما أثر على حامية القلعة نفسها ، الامر الذى جعلهم يبعثون الى علاء الدين محمد صاحب قلعة ألموت يخبرونه أن وباء قد انتشر فى قلعة كردكوه تسبب فى القضاء على معظم المحاربين • كما أوضحوا له أن القلعة قد تسقط قريبا (٣)

ولم يقف علاء الدين عاجزا امام الخطر المحدق به ، فأمدهم فورا بنجدة حربيه بقيادة " مبارز الدين على ثوران وشجاع الدين حسن السريانى واستطاعت تلك القوة أن تخترق صفوف المغول وتصل الى القلعة دون أذى الا أنه حدث فى تلك الاثناء ان تغيرت القيادة فى ألموت بقتل علاء الدين بيد حاجبه حسن المازندرانى نتجة مؤامرة دبرها ابنه خورشاه الذى تولى الامر بعده فى ذى القعدة عام ٦٥٣ (٤) هـ ديسمبر عام ١٢٥٥ م •

---

١) رشيد ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠٩
سبط ابن الجوزى — جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٣
٢) رشيد الدين — جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٤
٣) رشيد الدين — جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٤
٤) رشيد الدين — جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٥

ولقد وضحت خطورة خورشاه أو بمعنى آخر عناده وتحديده لهولاكو عندما أرسل الاخير برسالة الى ناصر الدين المحتشم فى قلعة " سرتخت يدعوه للدخول فى طاعته ، فاستجاب الاخير على الفور لدعوته . وعندما سأله هولاكو " لما لم تنزل معك سكان القلعة وتحثهم على التسليم أجابه ناصر الدين " ان لهم ملكا يدعى خورشاه يأتمرون بامره [1] . وازاء ذلك زاد اصرار هولاكو على فتح بلاد الاسماعيليه وتخريبها . وكانت الاوامر قد صدرت اليه بتدمير كل معاقل الدعوة [2] . فاتجه على الفور الى مدينه طوس فى ربيع الاخره عام ٦٥٣ هـ مايو عام ١٢٥٥ م وعسكر فيها ، ومنها بعث برسله الى ركن الدين خورشاه يطلب اليه التسليم [3] .

وكان ذلك فى نفس الوقت الذى تحركت جيوشه لتحاصر بقية قلاع الاسماعيلية وعلى رأسها ألموت ، فوصلت امام بعضها فى جمادى الاخر عام ٦٥٣ هـ يوليو عام ١٢٥٥ م . وفى العاشر من شعبان عام ٦٥٤ هـ الثانى من سبتمبر عام ١٢٥٦ م أعاد هولاكو مراسلة خورشاه مهددا اياه حتى يستسلم [4]

وكان ان تدخل القدر فى تلك الظروف ليلعب دورا اساسيا فى تحديد مصير ركن الدين خورشاه . ذلك انه عاش معه فى نفس الموت عدد من العلماء

---

١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٦
٢) Runciman: AHist. of the crusades. Vol.III. P.300
٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤ ـ ١١١٥
٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٩

الافداف وعلى رأسهم الخواجه نصير الدين الطوسي الذى " وزر لاصحاب قلاع الالموت من الاسماعيليه ثم وزر لهولاكو وكان معه فى وقعة بغداد [١] — فاستطاعوا أن يوءثروا على خورشاه ويحملونه على الاستسلام والاعتراف بهولاكو والخضوع له • وفى ضوء ماجرى من مفاوضات بينه وبين هولاكو حول هدم وتخريب بعض جوانب قلاع الاسماعيليه واسوارها وافق خورشاه شريطة أن يمنح " مهلة سنه يغادر بعدها القلعة [٢] • فأيقن هولاكو ان فى الامر خدعة وعليه أن — يحدد هو بنفسه موقعه من تلك القضية الهامة والخطيرة •

وكان هولاكو على صواب • حيث أن ركن الدين كان يراوفه فعلا فى التسليم حتى يقف على نتائج محاولات المغول فى اقامة تحالف مع غرب اوربا المسيحى ضده [٣] • أما ركن الدين فكان قد بعث هو الآخر بسفارة الى أوربا ولكنها قوبلت بفتور تام • ويقال ان مبعوثا من قبله زار بلاط هنرى الثالث ملك انجلترا (١٢١٦م — ١٢٧٢م) بقصد عقد تحالف مشترك بينهما ولكن عداوة أساقفة منشستر للاسماعيليه بسبب اغتيالهم بعض أمراء الصليبيين جعلت أحدهم يعبر عن رايه للملك فنصحه قائلا " دع هؤلاء الكلاب ينهش بعضهم البعض وافنهم كلية • وسوف نرى الكنيسه الكاثوليكيه العاليه تقوم على انقاضهم [٤]

١) ابن كثير — البدايه والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٧

٢) رشيد الدين — جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٠

٣) برنادو لويس — الدعوة الجديدة ص ١٦

٤) Sykes: A Hist of Persia Vol. III.P.172

وعليه فقد باءت كل محاولات ركن الدين بالفشل [1] وبالطبع لم يكن هنرى نفسه قد نسى اعتداءات الحشيشيه من قبل .

حدث ذلك فى الوقت الذى تحركت جيوش المغول فى شعبان عام ٦٥٤ هـ (ديسمبر ١٢٥٦م) نحو قلاع الاسماعيليه فوصلت الى مدينه " عباس أباد الرى " ليتخذها هولاكو منطلقا لتحركاته العسكرية اذا مافشلت التحركات السياسيه مع خورشاه [2] . وبالرغم من أن ركن الدين اظهر الولاء والطاعة عن فضلا امتثاله لاوامره [3] . فان هولاكو استطاع ان يفاجئه بحصار ضربه حول أهم قلاعه . وفى شوال عام ٦٥٤ هـ اكتوبر عام ١٢٥٦ م تم حصار قلعة الموت مقر ركن الدين [4] . فلما تعذر عليه فتحها . شاور قادة الجيش فيما يجب أن يكون عليه مصير القلعة فاختلفوا فى رايهم . ولكنه فى النهاية نزل عند الرأى القائل باستمرار الحصار .

وعليه فقد بادر هولاكو من جانبه فى اعادة المفاوضات مع خورشاه تلك التى انتهت باستسلام ركن الدين ونزوله من القلعه [5] . وقد صحبه فى

---

١) المقريزى السلوك ج ١ ص ٣٨٣
وقد أورد المحقق نفس النص المشار اليه فى الحاشيه (٢) مترجما باللغه الانجليزية ولكن عن Browne: A-it Hist Vol.II وفيما يلى نصه من نفس Sykes I P 6 الجزء الصفحه :
Let those dogs devour each ohter
and be utterly wiped out and then we shann see found on their wins, the Universal Catholic church.

٢) المقريزى السلوك ج ١ ص ٣٨٣
Runciman: A Hist of the crusades vol.III.P.300

٣) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٤

٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٣

٥) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٥

ذلك الخواجه نصير الدين الطوسى والخواجه أصيل الدين الزوزنى الوزير مؤيد الدين وابناء رئيس الدولة . " فوجد ذلك الحصن الذى ظلت اسرته تتخذه مقرا لها مدة قرنين (١) فجاء فقبل الارض بين يدى السلطان الاعظم (٢) وتم ذلك صباح الاحد غرة ذى القعده عام ٦٥٤هـ ٢٠ نوفمبر عام ١٢٥٦ (٣) وباستسلام خورشاه سقطت جميع قلاع الاسماعيليه فى بلاد فارس فى يد هولاكو (٤) ذلك فيما عدا قلعة كردكوه التى صمدت فى مقاومتها حوالى العام حيث سقطت فى ايديهم عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م (٥)

أما ألموت مركز الاسماعيليه الرئيسى فقد أراد قائد حاميتها الاستمرار فى مقاومة هولاكو الا أنها مالبثت ان استسلمت بعد ان عجز قائدها عن الاستمرار فى المقاومة ، فسقطت فى يوم الاثنين السادس والعشرين من ذى القعدة عام ٦٥٤هـ ١٥ ديسمبر عام ١٢٥٦م (٦) وبسقوط ألموت توالى سقوط بقية قلاع فارس

---

١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٤
٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤
٣) ظلت الالموت قائمة حتى عهد الشاه اسماعيل الصفوى الذى اتخذها معتقلا لاعداد البلاد " البدليسى ١ / ٤٤
٤) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ١٥٨
Sykes: A Hist of persia Vol.II.P. 173
٥) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٥
براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ص ٢٨٠
٦) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤

وخراسان القلعه تلو ألاخرى [١] ومن أهمها لمسر التى سقطت فى ذى الحجه عام ٦٥٤هـ يناير عام ١٢٥٧م [٢] ولا شك أن نصير الدين الطوسى وحاشيتـــه من أولئك الذين تنعموا فى خيرات الاسماعيلية فى ألموت ، كانوا من اوائـــل الخارجين على سادتهم السابقين حيث زينو لخورشاه ضرورة التسليم وخوفـــوه من هولاكو ، وما كان ذلك الا العداوة أظهروها للاسماعيليه رغم ماحاطوهم بـــه من كرم وترف وأبهة ورخاء عيش [٣] .

ومن مفارقات القدر ان يتعاون الاسماعيليون فى ألموت مع المغول فى بادئ الامر على محاربة جلال الدين خوارزمشاه ، لانه كان قد ناصبهم العداء فاعتدى على قلاعهم [٤] ، فأوقفوهم على عورات جيشه حيث "ارسل أمام الاسماعيلية صاحب الالموت عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م فعرف التتر ضعف جلال الدين بالهزيمه الكائنه عليه من الملك الاشرف وسلطان الروم وحثهم على قصده وضمن لهم الظفر للوهن الذى صار اليه " [٥]

---

١)	لسترنج	بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦
٢)	المقريزى	السلوك ج ١ ص ٣٩٩ .
	بـــــروان	تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٥٨٢
٣)	المقريـــزى	السلوك ج ١ ص ٤٢٠ حاشيه ٥
٤)	الذهبى	دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٠
٥)	سبط ابن الجوزى	مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٠٣
	ابن واصل	مفرج الكروب ج ٤ ص ٣١٥ — ٣١٦ مطبوع

"كان صاحب الالموت وقتذاك شيخ الجبل علاء الدين محمد بن جلال الدين : زامبارز : معجم الانساب : ج ٢ ص ٣٢٩ .

كذلك ابلغوهم بأنه " قد عادى جميع الملوك حولة حتى الخليفه [1] وكان جلال الدين هذا قد أساء الى الاسماعيليين بحربه التى شنها على قلاعهم عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م فخربها وقتل اهلها [2] .. حيث سار فى عسكره الى بلاد الاسماعيليه من حدود الموت الى كردكوه بخراسان فخرب الجميع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمه وانتقم منهم [3] .

والواقع أن ذلك لم يكن رغبة فى حربهم . وانما كان ردا على اغتيالهم لامير له كان قد ولاه حكم مدينة كنجة واعمالها . فوثب عليه ثلاثه من الفداويه فقتلوه بظاهرها . هذا الى انهم تمادوا فى تحديهم لجلال الدين خوارزمشاه فدخلوا المدينة والسكاكين بايديهم ينادون بشعار علاء الدين [4] ومن المؤسف أن جلال الدين حينما اكتشف تآمرهم ضده مع هولاكو زاد من عدائه لشيخهم علاء الدين محمد الثالث [5] وكان ذلك فى الوقت الذى كان يتعين عليه مداراتهم لمصلحته .

---

١) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٣ ص١٢٨

٢) ابن واصل — مفرج الكروب ج ٤ ص٣١٧

٣) ابن الاثير — الكامل ج ١٢ ص١٨٢

٤) النسوى — سيرة جلال الدين ص ٢٢٩

٥) النسوى — سيرة جلال الدين ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠

والواقع لقد اخطأ الاسماعيليون فى تحريضهم المغول على محاربة جلال الدين حيث انه كان بمثابة السد المنيع بين المغول وبينهم[(١)] . وكان سدا بين المسلمين والكفار وسندا لاهل الاسلام من الفجار . كان يدفع التتر عن المسلمين فلما هلك انفتح السد " [(٢)] . وكانت كسرة خوارزمشاه على حد تعبير الملك الاشرف " سببا لدخول التتر بلاد المسلمين .وما كان الخوارزمى الامثل السد الذى بيننا وبين يأجوج ومأجوج[(٣)] . لكن فيما يبدو أن الاسماعيليين لم يتوقعوا أنهم سيشربون من نفس الكاس التى شرب منها جلال الدين وهو الدمار الشامل والطرد من القلاع التى عانوا الكثير فى سبيل الاستيلاء عليها وامتلاكها من اصحابها . وقد حدث ذلك على يد هولاكو هادم المدنية[(٤)] وبدأت الجوله بمقتل جلال الدين فى منتصف شوال عام ٦٢٨ هـ ـ ١٦ أغسطس عام ١٢٣١ م بيد أحد الفلاحين الاكراد (٥) وذلك بالقرب من ميلفارقين (٦) حيث كان الاكراد يحفظون الطرق لسحت يجمعونه فوقع فى ايديهم (٧) .

يضاف الى ذلك ماكان هناك من عداوة قديمه بين الاسماعيليين والخوارزميين . فقد اقبل الباطنيه من قبل على محاولة اغتيال خوارزم شاه

---

١) سيد بيو — تاريخ العرب العام ص ٢٣٢
٢) سبط ابن الجوزى — مرآة الزمان ج ٢ ص ٦٧٠
الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٤
٣) ابن كثير — البدايه والنهاية ج ١٣ ص ١٣٢
٤) Ivanow: Studies in Early Persian Ism. P. 27
٥) د . سعيد عاشور — مصر فى العصور الوسطى ص ٣٦٧
٦) ابو المحاسن — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٤
٧) النسوى — سيرة جلال الدين ص ٣٨١

مؤسس الدولة الخوارزمية[1] . حيث قيل " ان الباطنيه جهزوا اليه رجلا ليقتله وكان يحترز كثيرا . فجلس تلك الليله يلعب بالعود[2] فاكتشف امره . فخاف الباطنى منه وارتعد وهرب فاخذوه وحمل اليه فقرره فاقر فقتله[3] . ومن هنا نرى ان قديما لعب دوره فى تذكية نار العداوة بينهم . فضلا عن ذلك فان السلطان جلال الدين كان قد اشار بقتل قافلة من تجار الاسماعيليه فالدين من الشام الى اصفهان وكان عددهم ينيف عن السبعين رجلا . وعلى الرغم من أن جلال الدين طيب خاطر اسد الدين مودود رسول علاء الدين صاحب الالموت " برد ما اخذ من القتلى[4] . فان الاسماعيلية بيتوا مرا . وخاصة انهم كانوا ملتزمين بدفع جزيه للسلطان جلال الدين وصل مقدارها الى ثلاثين الف دينار[5] .

---

١) "ينتسب الخوارزميون الى " انوشتكين " وكان عبدا تركيا اشتراه احد امراء السلاجقه من رجل من غرشستان . فاستطاع ان يظهر من الكفاءة . وحسن التدبير ما جعله يسير فى سلك الترقى على عهد ملكشاه حتى عين واليا على خوارزم . فظل فى منصبه حتى توفى عام ٤٩٠ هـ (١٠٩٦م) . فخلفه ابنه قطب الدين محمد الذى لقب بخوارزمشاه . واسس دوله التى عرفت فيما بعد بالدولة الخوارزميه .

ابن الاثير الكامل جـ ١٠ ص ٩٢ — ٩٣

د . عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران ص ١١٥ — ١١٦

د . فؤاد الصياد : المغول فى التاريخ ص ٢١ — ٦٣

٢) سبط ابن الجوزى مراة الزمان جـ ٨ ص ٤٧١

٣) سبط ابن الجوزى مراة الزمان جـ ٨ ص ٤٧٢

٤) النسوى سيرة جلال الدين ص ٢٦٥ — ٢٦٦

٥) النسوى سيرة جلال الدين ص ٣٣٦

اما عن هولاكو فقد استمر في سياسته العدائيه تجاه الاسماعيليين رغم انه انعم على زعيمهم خورشاه ووهبه فتاه مغولية ليتزوج منها [١] فواصل تحقيق اهدافه وخططه ضدهم ، واخذ يتطلع الى قلاعهم في بلاد الشام • وكان هولاكو قد حافظ - بعض الوقت - على خورشاه حتى يتم تسليم جميع قلاع الاسماعيليه [٢] • لذلك فانه ارسل هولاكو من جانبه مبعوثين الى قلاع الاسماعيلية في الشام صحبة رجلين اوثلاثة من خاصة خورشاه [٣] • وكان القصد من تلك الشفارة دعوة الناس هناك الى التسليم فور وصول الرايات الهمايونيه اليهم [٤] •

وكان ذلك في الوقت الذى كان يتحتم على هولاكو - اذا فكر في فتح قلاع الاسماعيليه بالشام - ان يغزو بغداد اولا - وخاصة ان العراق وبغداد كانتا جزءًا من مخططه لغزو الشرق الادنى [٥] لذلك دخل في مفاوضات مع الخليفه المستعصم [٦] • الذى وصف بانه قليل المعرفة بتدبير الملك نازل الهمه مهملا للامور المهمة محبا

١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٥

٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٨

Guyard: Un grand maitre P. 52

٣) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٥

٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٧

٥) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٨٣

٥) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٧

٦) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٤

لجمع الاموال ، يقدم على فعل ما يستقبح اهمل امر هلاكو حتى كان في ذلك هلاكه (١) . ولكنها كانت مفاوضات غير مجديه ، فاقتحم العراق وحاصروا بغداد في الحادى عشر من شهر المحرم عام ٦٥٦ هـ (١٨ لا يناير عام ١٢٥٨ م) (٢) . وتواصل القتال حتى الاحد الرابع من صفر عام ٦٥٦ هـ (العاشر من فبراير عام ١٢٥٨ م) (٣) . فخرج الخليفة ومعه اولاده الثلاثة ابو الفضل عبد الرحمن وابو العباس احمد وابو المناقب مبارك في ثلاثة الاف من السادة والاشراف والائمة والقضاه واكابر الدوله واعيان البلد (٤) . وكان خروج كل هؤلاء لمقابلة هولاكو على مشارف بغداد للتفاوض في الامر (٥) .

على ان هولاكو مهد للاستيلاء على بغداد بما اجراه من مفاوضات سريه مع الوزير الشيعى مؤيد الدين محمد بن العلقمى الذى اعان على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده (٦) . وكان وزير شؤم على نفسه وعلى اهل بغداد (٧) .

---

١) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٤

٢) رشيد لدين اجامع التواريخ ج ١ ص ٢٨٦

٣) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٠
Sykes: A Hist of persia Vol. II.P. 173

٤) ابن طباطبا الفخرى في الاداب السلطانيه ص ٢٤٢ـ٢٤٣

٥) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٩٠

٦) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٦ ـ ١١١٧

٧) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦٤

وكيفما كان الامر فانه يخروج الخليفة على هيئة ما ذكرنـــا ادركت بغداد انه لامفلــر من القضاء المحتوم • وفي يوم الاربعاء السابع من سفرعام ٦٥٦ هـ (١٣ فبراير عام ١٢٥٨م) بدا وطيس القتـــال يشتد • فاندفع الجيش للتترى مرة واحدة نحو بغداد (فاخـــذوا يحرقــون الاخضر واليابس (١) • وفي يوم الجمعة التاسع من صفـــر الخامس عشر من فبراير ، دخل هولاكو بغداد فاستولى على قصـــر الخلافه بها (٢) • ذلك بعد ان قتل جنوده جميع من قدروا عليـــه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان (٣) • وفـي مساء الاربعاء الرابع عشر من صفر عام ٦٥٦ هـ (٢٠ فبراير ١٢٥٨م) تم القضاء على الخليفة المستعصم وابنه الاكبر مع لفيف كبير مـــن العباسيين (٤) • وبذلك سقطت الدوله العباسية بعد حكم دام حوالى ٥٢٥ سنه • كان اولهم السفاح واخرهم المستعصم (٥) • وبذلـــك ايضا فتح طريق الشام على مصراعيه امام جيوش هولاكو •

---

١) رشيد الدين — جامع التواريخ ج ١ ص ٢٩

٢) د • فؤاد الصياد — المغول في التاريخ ص ٢٦٥

Marco- Polo Travels P. 26 - 27

٣) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١

٤) ابن العبرى — تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٢

٥) ابن كثير — البداية النهاية ج ١٣ ص ٢٠١

ولم يلبث ان وصل هولاكو الى حلب وحاصرها • ولكن أهلها بقيادة الملك المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف الايوبى رفضوا الخضوع والتسليم معتمدين على حصانة قلعتها (١) • فباشروا القتال ضده (٢) • وكان هولاكو قد ارسل يقول لاهل حلب نحن انما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق فاجعلوا لنا عندكم شحنه (٣) • فان كانت النصرة لنا فالبلاد كلها فى حكمنا وان كانت علينا فان شئتم قبلتم الشحنة وان شئتم اطلقتموه • فاجابو مالك عندنا الا السيف فتعجب من ضعفهم وجوابهم (٤) • هذا ولا يستبعد ان يكون — لاسماعيلية حلب فى هذا المقام دور اساسى فى تذكية نار لحرب ضد هولاكو حتى لا تتسع رقعة انتصاراته ضدهم ، وحتى ينتقموا لبنى جلدتهم الذين قضى عليهم فى منطقة الموت • الا ان ذلك لايمنع ان نعترف لاهل حلب عامه بالصمود والصبر •

---

٢) ف • فؤاد عبد المعطى الصباد المغول فى التاريخ ص ٢٩٤

٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٣٠٦

Runciman: A Hist of the crusades vol.III P.305

٣) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ١٦٢

٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٨

وردت كتب هولاكو لحكام الشام فى مختلف المصادر التاريخية فى صيغ مختلفة وقد اجتهد الباحث ان يصيغها فى قلب مترابط الباحث •

ولكن على الرغم من ذلك كله فقد شدد هولاكو الحصار على حلب لمدة اسبوع حتى فتحت ابوابها فى ذى الحجة عام ٦٥٧ هـ ديسمبر عام ١٢٥٩م فاباح المغول القتل والسلب فى المدينه سبعة ايام [١] . ثم بعد ان صدت قلعتها حوالى اربعين يوما عادت فسقطت فى يد هولاكو فى التاسع من صفر عام ٦٥٨ هـ ٢٥ من يناير عام ١٢٦٠م [٢] . وازاء ما اصاب حلب استسلمت دمشق للمغول دون قتال [٣] . فقد فر اهلها وباعوا اموالهم بابخث ثمن [٤] . انقاذا لانفسهم من مصير مظلم كان ينتظرهم لو انهم نهجوا نهج اهل حلب. وكان هولاكو قد ارسل جيشا مع امير من كبار دولته وهو كيتغانوين فوصلوا دمشق فى اخر صفر من عام ٦٥٨ هـ اوائل فبراير عام ١٢٦٠م فاخذوها سريعا من غير ممانعه ولا مدافع [٥] .

وباستسلام دمشق ، ومع مطلع العام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م تم الاستيلاء على ديار الشام باسرها [٦] . اذ استسلمت قلعة بعلبك واخذوا مدينة نابلس وغيرها بالسيف [٧] . وعليه فقد خضعت مصايف اعمالها

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ص ١١٢٥
٢) المقريزى السلوك ج ١ ص ٤٢٢
٣) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٦
٤) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٩
د . فؤاد الصياد المغول فى التاريخ ص ٢٩٦
المقريزى السلوك ج ١ ص ٤٢٠
٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٩
٦) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٢٧
العصور المماليكى ص ٣٠
٧) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ١٦٢

لسلطان الغازي الجديد .[١] وكان النائب في حصن الاسماعيلية الثمانية بالشام رضى الدين ابو المعالي[٢] .

وبسقوط بغداد وحلب ودمشق وحماه اصبح المسلمين في غرب آسيا في موقف خطير[٣] . فقد اضحوا امام الغزو والجديد وانصاره من الصليبيين شبه اقليه او غرباء بعد ان كانوا هم اصحاب الامر والنهي في البلاد وهم الحكام والامراء واصحاب النفوذ منذ ان فتحت مدينة دمشق ومعظم الشام على عهد الخليفه الثاني عمر بن الخطاب عام ١٤هـ/ ٦٣٥م[٤] .

موقعة عين جالوت ونتائجها :

ولما كانت مصر منذ فجر التاريخ هي تاج العلاء في مفرق الشرق فقد تعين عليها ان تحمل درع الدفاع عن منطقة الشرق الاسلامي كله . فنواصل ارسالتها لتصد ذلك الخطر الجديد حيث تم للترفتح بلاد الشام حتى اطراف غزو اخليل وبركة وزراء والصلت[٥] .

---

١) Guyard : un grand maitre. P. 52 - 53

٢) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦

٣) Runciman: A Hist of the crusades vol .III P. 307 - 308

٤) ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ١٠١
سيد امير علي مختصر تاريخ العرب ص ٤٦ ـ ٤٧
Huart: Hist des Arabes Tome I.P. 234

٥) المقريزي السلوك ج ١ ص ٤٢٥

وكان ان تصدى مماليك مصر للمغول ، فانزلوا بهم هزيمة كبرى فى موقعة عين جالوت ، فى رمضان المعظم عام ٦٥٨ هـ (سبتمبر عام ١٢٦٠ م) . واستطاع السلطان قطزان يردهم على ادبارهم ويطردهم من بلاد الشام الامر الذى حقق لدولة المماليك الناشئة مكانة كبرى ، فضلا عن سيطرتها على بلاد الشام ، مما اعاد للوحدة بين مصر والشام تحت زعامة سلاطين المماليك[1] .

وبهزيمة المغول فى عين جالوت وفرار من سلم من القتل اوالاسر فى بلاد الشام عادت قلاع الاسماعيلية التى كان قد استولى عليها هولاكو فى بلاد الشام الى حوزة الحكم الجديد[2] . وكان التتار لما ملكوا الشام سلم الاسماعيليون اليهم اربع قلاع من هذه القلاع . فلما كسرهم المظفر قطز عادت الاربع قلاع اليهم فتسلمها رئيسهم وقتل اصحابه الذين سلموها للتتار[3] . وفى الواقع استطاع المغول فى فترة وجيزة السيطرة الكاملة على بقاع واسعة من الاراضى الاسلاميه فى فارس والعراق والشام . وعليه فلم يبق خارج حكمهم فى الجانب الشرقى الا الديار المصرية والحجاز واليمن [4] . وعلى اثر هزيمة كتبغا فى

١) د . سعيد عاشور العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٣٤ ـ ٣٧
٢) المقريزى السلوك ج ١ ص ٤٣٣
٣) ابن ميئسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨
٤) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٨٧

عين جالوت اراد هولاكو ان جدد الكرة على بلاد الشام فيرسل جيشا جرارا ينتقم لموت قائده [1] . ولكن ظروفه لم تكن تسمح بذلك الخلافات التي طرأت على البلاط المغولي عقب وفاة منكوخان الاخ الاكبر لهولاكو [2] . فضلا عن ذلك فان كل محاولاته لغزو الشام مرة اخرى بلغت بالفشل . ويرجع ذلك الى ان " الدولة كانت قد تغيرت والسواعد قد شمرت وعناية الله بالشام واهله قد خصلت . [3]

وبذلك نجت دولة المماليك في مصر من خطر احدق بها . وكانوا قد امتلات قلوب اهل الافاق رعبا منهم ، ولم يحدث احد نفسه بان يمكن لقاؤهم الى ان انتصر الله للمسلمين بهذه الطائفة من الترك الذين هم عسكر مصر . فانهم اسقطوا هيبتهم من القلوب [4] .
والواقع فقد انقذت معركة عين جالوت الاسلام والمسلمن من خطر فاق في ضراوته الخطر الصليبي الذى دهم الاراضي الاسلامية من قبل [5] . فضلا عن ذلك فانها جعلت الدولة المماليكيه في مصر والشام من اعظم القوى الى سيطرت على مقدرات الامور في منطقة الشرق الاوسط مدة تقرب من قرنين او تزيد حتى قيام الدولة العثمانية [6] .

١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤١
٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٣١٧
Runciman: AHist of the crusades Vol. III. P.311
٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢٢
٤) ابن واصل مفرج الكروب ج ٤ ص ٣٢٨
٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣٧
٦)

ترتب على انتصار مصر المماليكيه في عين جالوت امران على درجة كبيرة من الاهمية • اولهما القضاء على البقايا الايوبية في بلاد الشام على الاطلاق[1] • وثانيهما وهو ما ترتب على اولهما هو عودة الكيان المصرى الشامي في دولة واحدة من جديد ••• ولكن هذه المرة تحت حكم المماليك[2] •

وبناء عليه فقد تعين على المماليك اصحاب النفوذ الجدد في تلك البلاد ان يواجهوا خطرين كل منهما اشد واعنف من الاخر • فاما الخطر الصليبي فقد تحدد موقف المماليك منه على اثر انتصارهم على المغول في عين جالوت • فاستطاعوا تقليم اظافر الصليبيين بالاستيلاء على حصونهم • الحصن تلو الحصن • وكانت البداية عندما استولى الظاهر بيبرس — الذى تولى امر السلطنه اثر مقتل قطز في يوم السبت خامس عشر ذى القعدة عام ٦٥٨هـ — ٢٢ اكتوبر عام ١٢٦٠م[3] • على انطاكيه في الرابع من شهر رمضان المعظم عام ٦٦٦هـ — ١٨ مايو عام ١٢٦٨م ثانى االممالك الصليبية في بلاد الشام[4] كما اعقب ذلك استيلائه على عدة حصون كانت على جانب كبير من الاهمية[5] •

---

١) د • سعيد عاشور الايوبيون والمماليك في مصر والشام ٢٢٣—٢٢٤

٢) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣٨

٣) المقريزى السلوك ج ١ ص ٤٣٥
Grousset: Hist des croisades Vol. III.P.607-608

٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥١—٢٥٢
ابن المحاسن النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٤٣

٥) ابن الوردى تاريخ ابن الوردى ج ٢ ص ٢١٩

٤) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٤٩ — ١١٥٢

الظاهر بيبرس والاسماعيلية :

اما لاسماعيليه فقد تمثل خطوهم فى الاغتيالات الخطيرة التى اقدموا عليها كلما واتتهم فرصة للانتقام من غريمهم • والمعروف ، انهم شكلوا طبقة مرهوبة الجانب ظلت تلعب دورا خطيرا فى بلاد الشام ابان الحرب الصليبيه بتحالفهم مع الصليبيين احيانا ، واحيانا اخرى مع السنيين من المسلمين • وظلوا كذلك حتى كان ، عهد الظاهر بيبرس ، فخطبوا وده • فقدمت رسل دار الدعوة بالهدايا — وهو على الكرك عام ٦٦١ هـ ١٢٦٣م — فاحسن اليهم وعادوا [١] • وكان الظاهر بسيبس قد استقل مع مطلع العام ٦٦١ هـ ١٢٦٣م • بجميع الشام ومصر وصفت له الامور [٢] • الا ان ذلك لم يمنعه من النظر فى امرهم • ففرض عليهم ضرائب عرفت بالحقوق الديوانيه وذلك على الهدايا التى ارسلها الانبرور والبرنس صاحب طرابلس و بعض ملوك الفرنج [٣] • و ذلك رسول ملك اليمن السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمربن على بن رسول عام ٦٤٧هـ ٦٩٩هـ ١٢٥٠ ١٢٩٥م [٤] • الى الاسماعيلية فى بلاد لشام طلبا لودهم اووقاية

---

١) المقريزى السلوك ج ١ ص ٤٨٧

٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٣

٣) المقريزى السلوك ج ١ ص ٥٤٤

٤) المقريزى السلوك ج ١ ص ٥٥٣

من شرهم وقد اقبل بيبرس على ذلك • افسادا لنواميس الاسماعيلية وتعجيزا لمن اكتفى شرهم بالهدايا • (١) • وحتى يشعروا بالتبعية المطلقة للسلطان الجديد وانه لامفر من ذلك •

كذلك اقبل بيبرس على خطوة هامة على اثر حرب صفر وافتتاحه اياها فى ثامن عشر شوال عام ٦٦٤ هـ ـ ٢٣ يوليو عام ١٢٦٦م والتى اوسع فيها الدوايه والاسبتاريه قتلا ونهبا حيث امر السلطان بضرب رقابهم عن اخرهم (٢) • وعليه فقد عقد هدنة مع فرسان الاسبتارية ونجم عنها القضاء على هيبتهم ونفوذهم فى المنطقة •فاشترط عليهم الاقلاع عن الاستمرار فى اخذ الاتاوات من الحشيشيه واصحاب حماه وشيزر وفاميه (٣) • حدث ذلك عقب استيلائه على هونين وتبنين والرملة (٤) • حيث قدم عليه رسول الاسبتاريه فى ذى القعده من تلك السنة يطلب اليه عقد صلح معه فانتهز بيبرس تلك الفرصة فاملى شروطه اولا : فلا احب الا بشرط ابطال مالكم من القطيعه على بلاد ابى قبيس وهى ثمانمائة دينار ، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهى الف ومائتا

---

١) المقريزى — السلوك ج ١ ص ٥٤٣
برنارد لويس — الدعوة الجديده ص ١٣٩
٢) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧
٣) د • سعيد عاشور — الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٧ ـ ١١٥٨
٤) د • سعيد عاشور — الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٢٤٧

دينار ومائة مد حنطه وشعير نصفين (١) . فاجاب الاسبتاريه الى ابطال ذلك (٢) . ومما لاشك فيه فان الظاهر بيبرس نجح فيما فشل فيه الاسماعيليون انفسهم في محاولاتهم العديدة لاعفائهم من الجزية التي كانوا يدفعونها للاسبتاريه او الداويه والتي تحالفوا بسببها مع عورى صاحب بيت المقدس او لويس التاسع من قبل دون مافائدة .

وبذلك اصبح الاسماعيليون — فيما عدا بعض القلاع مثل المنقعة التي رفضت الخضوع للسلطان حوالى ثلاث سنين الابعد حرب ضاربة بين الفريقين (٣) . خاضعين بطريق مباشر لسلطان الظاهر بيبرس .
وبناء عليه فقد تعين عليهم ان يدفعوا له ما كانوا يدفعونه من جزية للاسبتاريه (٤) . فترتب على ذلك ان بدا الالتحام العملى بين السلطان والاسماعيلين مباشرة ونعتقد ان الاسماعيليين رحبوا بذلك في بادئ الامر . فقد وصلت رسلهم الى مصر في جمادى الاخره عام ٦٦٥ هـ — فبراير عام ١٢٦٧م يحملون الجزيه لبيت مال المسلمين لينفق في المجاهدين (٥) . وكانوا يحملونه من قبل قطيعه وجزيه للصليبيين

---

١) المقريزى السلوك ج ١ ص ٥٥٠
برنارد لويس الدعوة الجديدة ص ١٣٨
٢) د . جمال سرور دولة الظاهر بيبرس ص ٩١
٣) فصل من اللفظ الشريف ص ١٣٣
٤) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ١٧١
Guyard: Un grand maitre . P.54
٥) المقريزى السلوك ج ١ ص ٥٥٧

ليكون عونا لهم على حرب المسلمين فيما بعد ، وليعود اليهم على هيئة رماح وسهام تغمد فى صدورهم ونيران حارقة تهدم حصونهم فصاروا يحملون القطيعة للملك الظاهر لقيامه بالجهاد فى سبيل الله (١)

وفى ذلك الدور اقدم الاسماعيليه على عمل خطير بالنسبة للصليبيين وان كان المسلمون قد افادوا منه فائدة عظيمه . ذلك ان الفداويه اغتالوا زعيما كبيرا من زعماء الصليبيين فى بلاد الشام وهو فيليب مونتفرات يوم السبت الموافق ٢٧ من ذى الحجه عام ٦٦٨ هـ (١٦ اغسطس عام ١٢٧٠ م) (٢)

والواقع ان مصرع هذا الرجل كان خسارة فادحة لبنى جنسه لانه كان هو الرجل الوحيد الذى تمتع بشخصية بارزة وقويه يمكن اعتمادها عليها عندئذ . كما انه كان احد الدعائم الاساسية التى قويت بها الجبهة الصليبيه فى بلاد الشام . وكان هيو الثالث حاكم ارمينيا الصغرى قد استماله عن طريق المصاهرة بزواج اخته من حنا بن فيليب المذكور لتقوى بذلك اواصر المودة بينهم ، ولتنعكس اثارها الطيبة على تقوية جبهة صور — عكا الصليبيه ضد بيبرس (٣) . ولكن اغتياله

١) المقريزى السلوك ج ١ ص ٥٥٧
٢) د . زيادة حملة لويس ص ٢٥٣
لويس الدعوة الجديدة ص ١٣٠
٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥١

اضاع احلامهم وقضى على امال هيو • فتمكن بيبرس من الاستمرا فـــى الاستيلاء على بعض الممتلكات الصليبيه في الشام • مثل حصن سافيثنـــــا من الداويه في شهر رجب عام ٦٦٩ هـ (فبراير عام ١٢٧١م) (١) • ، ثم الاكراد من الاسبتاريه في رمضان عام ٦٦٩ هـ (ابريل عام ١٢٧٢)(٢) كما انه استولى على عكا من الاسبتاريه ايضا في رمضان المعظم عـــام ٦٦٩ هـ (مايو عام ١٢٧١م) (٣) • وقد اتهم بيبرس بالتدبير لقتلـــه عن طريق حلفائه الاسماعيليين (٤) •

على ان بيبرس نفسه لم يامن مكر الاسماعيليين ، في الوقت الـذى كان فيما يبدو يخشى باسهم وكان رسول الاسماعيلية قد قدم علـــى السلطان بدمشق عام ٦٦١ هـ يتهددونه ويتوعدونه ويطلبون منه اقطاعات كثيرة (٥) • لذلك تعين عليه ان يحدد موقفه منهم فيعمل على استئصال شافتهم ويستولى على بلادهم • وعلى ذلك ، فلم يكد يجامع له حكـم مصر والشام وحلب (٦) • حتى نجده يقدم بكل قوة على خطة فريدة لـــم يسبقه اليها حاكم من قبل • فعزل مقدمهم نجم الدين حسن بن الشعراني

١) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٠
٢) د • سعيد عاشور دولة المماليك البحرية ص ٦٣
٣) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٢

5) Runciman: A Histoof the cursades Vol. III.P.333

٥) ابن كثير البداية النهاية ج ١٣ ص ٢٣٩
٦) ابن فضل الله العمرى التعريف ص ١٨٧

بسبب الرسالة التى بعث بها للسلطان وهو على حصن الاكراد فى جمادى الاولى عام ٦٦٨ هـ ديسمبر عام ١٢٦٩م يطلب فيها تخفيض الجزيه التى يدفعها الاسماعيليون الى بيت المال [١] . وكان الظاهر قد قرر عليه ان يحمل فى العام مائة الف درهم [٢] . ولما لم يقبل بيبرس ذلك منه امر على الفور بعزله وتولية صارم الدين مبارك بن الرضى صاحب العليقة بدلا منه [٣] . وكان قد وقع بين صارم الدين والسلطان خلاف من قبل فسعى صاحب صهيون للمصالحة بينهما فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالا واعطاه طبلخاناه وعزل نجم الدين حسن بن الشعرانى وولده من نيابة الدعوة . وتوجه صارم الدين الى مصياف كرسى بلاد الاسماعيليه فى سابع عشر جمادى الاخره عام ٦٦٨ هـ وصحبته جماعة لتقرير امره [٤] . وكان قد اشترط عليه ان تكون مصياف وبلادها وعلى وجه الخصوص الكهف والخوابى والمنقه والعليقه والقدموس والرصافه للسلطان . كما ارسل صحبته نائبا عن السلطان بمصياف [٥]

---

١) د . سعيد عاشور — الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٨
الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٢٤٠

٢) الذهبى — دول الاسلام ج ٢ ص ١٧١

٣) د . سعيد عاشور — الظاهر بيبرس ص ٨٢

٤) المقريزى — السلوك ج ١ ص ٥٨٦ — ٥٨٧

٥) د . سعيد عاشور — الظاهر بيبرس ص ٨٣

والواقع ان بيبرس لم يقتنع بذلك ، وانما تطلع الى ان يخضع الاسماعيليين لسلطانه المباشر[١] ولتكن مصر مقاما لهم بدلا من الشام وهذه خطوة اخرى جريئة • فمتابع عمله السابق الاشارة اليه بالاستيلاء على معاقلهم وحصونهم جميعا عام ٦٧٠ هـ/ ١٢٧٢م واقطعهم بدلا منها بعض الاراضى فى مصر [٢] • ثم لم يمض عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م حتى سلمت الاسماعيليه ما كان بقى بايديهم من الحصون وهى الكهف والقدموس والمنيقة وعوضوا عن ذلك[٣] • وكل هذه الاعمال ان دلت على شيء انما تدل على مدى قوة بيبرس الذى استطاع ان يخضع لسلطانه تلك الفئة العاتيه • وبذلك انتهى امرهم فى بلاد الشام [٤] • حيث لم يدع مع الاسماعيليه شيئا من الحصون[٥] • وقد نجم عن ذلك ان اقيمت الجمعة فى بلادهم التى تركوها وترضى عن الصحابة وعفيت المنكرات منها واظهرت شرائع الاسلام وشعائرهم [٦] • فضلا عن ذلك فقد انكسرت شوكتهم " وكان الضرر على المسلمين وملوكهم منذ خرج ابن الصباح والى سنة بضع وعشرين وستمائة عظيما [٧] •

---

١) د • سعيد عاشور — العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٦٣

٢) د • سعيد عاشور — دولة المماليك البحريه ص ٦٣

٣) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٤

د • جمال سرور — دولة الظاهر بيبرس ص ٩٢

٤) د • سعيد عاشور — الظاهر بيبرس ص ٨٣

٥) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٧٥

٦) المقريزى — السلوك ج ١ ص ٦٠٨

٧) ابن ميسر — تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨

وسبحان من يداول الايام بين الناس • فقد اتفق في ذلك العام ـ حسب تعبير ابن كثير ـ وقوع امور عجيبه • ففي هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر بن العزيز • ثم في النصف صفر صارت لهولاكو ملك التتار • ثم في اخر رمضان صارت للمظفر قطز • ثم في اخر ذى القعدة صارت للظاهر بيبرس[1] •

الاسماعيليه والبيت القلاوونى :

لكن وعلى الرغم مما قام به الظاهر بيبرس ضد الاسماعيليه فقد كانت حصونهم لا تزال تتميز بمظاهر القوه والمنعه • مما هدد سلطان المماليك وشكل خطرا على نفوذهم فى بلاد الشام • لذلك تعين على السلطان المنصور قلاوون الذى تولى السلطنة عام ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م ان يسير على نمط بيبرس[2] • فوضع فى اعتباره ان بلاد الاسماعيليه لابد ان تكون فى حوزته عند اى اتفاق مع الجانب الاخر من الحكومات الصليبيه • فاشترط فى هدنته المعقوده بينه وبين مقدم الاسبتاريه وامارة طرابلس فى المحرم عام ٦٨٠ هـ ابريل عام ١٢٨١م[3] • ان تكون مصياف وبلادها وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع وهى القدموس والكهف والمنيقة والخوابى والرصافه والقليعه والعليقه ضمن ما تخضع للسلطان دون منازع[4] •

١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤
٢) د • سعيد عاشور العصر المماليكى فى مصر الشام ص ٦٧
٣) د • سعيد عاشور الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨
٤) المقريزى السلوك ـ (ص ٩٧٥ ـ ٩٧٦
يلاحظ ان قلعة الخوابى ظلت قائمة حتى هدمت عام ٨١٩هـ • فصارت اثرا بعد عين. المقريزى : السلوك ٤ /٣٧٣ •

والواقع ان قلاوون ومن خلفه افادوا من فداويه الاسماعيليه فيحدثنا ابن بطوطه انه زار قلاع الاسماعيلية • وقد اوضحها لنا بانها القدموس المنيقة ، العليقه ، مصياف الكهف وهذه الحصون لطائفه يقال لهم الاسماعيليه ويقال لهم الفداويه [1] • كما اضاف ابن بطوطه قائلا : ولا يدخل عليهم احد من غيرهم ، وهم سهام الملك الناصر [2] ومما هو جدير بالذكر ان السلطان الناصر محمد بن قلاوون استعان بهم في الانتقام من اعدائه • كما انه خصص لهم مرتبات مغرية نظير ذلك • يدل على ذلك ماذكره ابن بطوطه من انه اذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدوله اعطاه دينه • فان سلم بعد تاتي مايولد منه فهي له ، وان اصيب فهي لولده [3] •

وهكذا استطاع الاسماعيليون ان يستعيدوا شيئا من نفوذهم من جديد بعد ان اضمحل ذلك النفوذ على عهد بيبرس •

تم بتوفيق الله تعالى

---

١) ابن بطوطه تحفه النظار ج ١ ص ٧١

٢) هو الناصر محمد بن قلاوون : ابن بطوطه • نفس المصدر والجزء والصفحه •

٣) ابن بطوطه تحفه النظار ج ١ ص ٦١ •

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- البخاري : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ٢٥٦ هـ

صحيح البخاري ٦ اجزاء القاهرة ١٣٨٦ هـ

- مالك بن انس ١٧٩ هـ

الموطا : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي
جزءان . القاهرة ١٣٥٦ هـ

- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
وضع محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٧٢

- ابن الاثير : علي بن احمد ٦٣٠ هـ

- الكامل في التاريخ ١٢ جزء القاهرة ١٣٠٣ هـ
- التاريخ الباهر في الدوله الاتابكيه
تحقيق عبد القادر احمد طليمات القاهرة ١٩٦٣
- اسد الغابه الجزء الاول
تحقيق محمود فايد واخرين القاهرة ١٩٦٤

- الاربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو ٧١٧ هـ

مختصر الذهب المسبوك
تحقيق مكي السيد جاسم بغداد ١٩٦٤

– الاشعرى : ابو الحسن على بن اسماعيل ٣٣٠ هـ

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد جزءان القاهرة ١٩٥٠

– اسامه بن منقذ ٥٨٥ هـ

كتاب الاعتبار

تحقيق برنستون القاهرة ١٩٣٠

– الاصفهانى : العماد الكاتب ٥١٩ – ٥٩٧ هـ

الفتح القسى فى الفتح القدسى

تحقيق محمد محمود صبح القاهرة ١٩٦٥

– ابن اياس : محمد احمد المصرى ٩٣٠ هـ

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ اجزاء القاهرة ١٣١١ هـ

– البدليسى : شرف خان القرن العاشر هـ

شرفنامه جزءان

ترجمة محمد على عوضى مراجعة د • يحيى الخشاب
القاهرة ١٩٦٢

– ابن بطوطه : ابو عبد الله محمد بن عبد الله ٧٧٩ هـ

رحلة ابن بطوطه

– البغدادى : ابو منصور عبد الله ٤٢٩ هـ

الفرق بين الفرق

تحقيق محى الدين العربى — القاهرة ١٩٦٣

ـ البندارى : الامام الفتح بن على بن محمد

كتاب دوله سلجوق — القاهرة ١٩٠٠

ـ ابن بهادر (محمد بن احمد ت ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢م)

فتوح النصرفى تاريخ ملوك مصر — جزءان — مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣٩٩ تاريخ

ـ ثابت بن سنان و(ابن العديم)

تاريخ اخبار القرامطه

تحقيق د • سهيل زكار — بيروت ١٩٧٢

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م

رسائل الجاحظ — بيروت ١٩٧٢

ـ ابن جبير: ابو الحسن بن احمد الكنانى ٩٦٤هـ

رحلة ابن جبير — بيروت ١٩٧٠

ـ جعفر الحاجب

سيره جعفر الحاجب

تحقيق ايفانوف ـ مجلة كلية الاداب — القاهرة ١٩٣٦

ـ جعفر بن منصور اليمنى (الداعى)

كتاب الكشف

نشر ـ ز ـ ستروطمان — كلكتا ١٩٥٢

ـ ابن الجوزى : ابو الفرج عبد الرحمن بن على ٥٩٧ هـ

ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ١٠ اجزاء حيدر ابا د الدكن ٥٧/١٣٥٩ه

ـ تلبيس ابليس
تحقيق محمد منير الدمشقى القاهرة ١٩٢٨

الجوينى : ابو المعالى عبد الملك امام الحرمين ٤٢٩ / ٤٧٨ هـ

ـ لمع الادلة فى قواعد عقائد اهل السنه والجماعه
تحقيق الدكتوره فوقيه حسين محمود القاهرة ١٩٦٥
مراجعة د · محمود الخضيرى

الجيلانى : على بن فضل الله

ـ التوفيق بالتطبيق
تحقيق د · محمد مصطفى حلمى القاهرة ١٩٥٣

ابن حزم : ابو محمد على بن احمد ٤٥٦ هـ

ـ الفصل فى الملل والاهواء والنحل ٤ اجزاء القاهرة ١٣٢٧ هـ

ابن حيون : القاضى النعمان محمد بن منصورا احمد التميمى ٣٦٣هـ

ـ داعئم الاسلام جزءان
تحقيق ناصف فيظى القاهرة ٦٣ ـ ١٩٦٥

ـ تاويل الدعائم ٣ اجزاء
تحقيق محمد حسن الاعظمى القاهرة ١٩٧٠
ـ رسالة افتتاح الدعوه
تحقيق د ٠ داود القاضى بيروت ١٩٧٠
ـ كتاب الهمه فى اداب اتباع الائمه
تحقيق د ٠ محمد كامل حسين القاهرة

الحمادى اليمانى : محمد بن مالك بن ابى القضائل

ـ كشف اسرار الباطنيه واخبار القرامطه
نشر عزت العطار القاهرة ١٩٣٩

ابن خلدون : عبد الرحمن بن على ٨٠٨ هـ

ـ المقدمه القاهرة ١٣٠٥ هـ
ـ العبر وديوان المبتدا والخبر ٧ اجزاء القاهرة ١٣٠٥ هـ

ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد ٦٨٠ هـ

ـ وفيات الاعيان ٦ اجزاء
تحقيق محمد محيى الدين العربى القاهرة ١٩٤٨

الدوادارى : ابو بكر بن عبد الله بن ايبك

ـ كنز الدرر وجامع الغرر الجزء السادس
تحقيق د ٠ صلاح الدين المنجد القاهرة ١٩٦١

الدهلوى : شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوى

– مختصر التحفه الاثنى عشريه
تحقيق : محب الدين الخطيب القاهرة ١٣٨٧ هـ

الديلمى : محمد بن الحسن

– بيان مذهب الباطنيه وبطلانه
نشر · ز · ستروطمان استنبول ١٩٣٨

الذهبى : شمس الدين محمد بن احمد ٧٤٨ هـ

– دول الاسلام جزءان
تحقيق فهيم محمد شتلوت ومحمد مصطفى ابراهيم
القاهرة ١٩٧٤

سبط ابن الجوزى : شمس الدين ابن المظفر يوسف بن قزاوغلى ٦٥٤هـ

– مرأة الزمان فى تاريخ الاعيان الجزء الثامن حيدرا باد الدكن ١٩٥٢/٥١

السمرقندى : النظامى العروضى

– جهار مقاله
ترجمه د · عبد الوهاب عزام القاهرة ١٩٤٩

السيوطى : الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر ٩١١ هـ

— تاريخ الخلفاء القاهرة ١٣٠٥

— حسن المحاضره جزءان

تحقيق محمد ابراهيم ابو الفضل القاهرة ٦٧/٦٨

ابوشامه : شهاب الدين ابى محمد عبد الرحمن ٦٩٦ — ٦٦٥ هـ

— كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين جزءان القاهرة ١٢٨٨ هـ

ابن شداد : القاضى بهاء الدين بن شداد ٦٣٢ هـ

— النوادر السلطانيه

تحقيق د • جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٤

الشهرستانى : ابو الفتح محمد ٥٤٨ هـ

— الملل النحل ٣ اجزاء

تحقيق عبد العزيز الوكيل القاهرة ١٩٦٧

الشيرازى : المؤيد فى الدين داعى الدعاه هبة الله

— سيرة المؤيد

تحقيق د • محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٩

— ديوان المؤيد

تحقيق د • محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٩

ابن طباطبا : محمد بن على ٧٠١ هـ
الفخرى فى الاداب السلطانيه — القاهرة ١٣٣٩ هـ

الطبرى : محمد بن جرير ٢٢٤ - ٣١٠ هـ

- تاريخ الرسل والملوك — الجزء الثالث
تحقيق ؟ محمد ابراهيم ابو الفضل — القاهرة ١٩٦٠

ابن العبرى : غريغريوس الملطى ٦٥٨ هـ

- تاريخ مختصر الدول — بيروت ١٩٥٨

ابن العديم : كمال الدين عمر بن محمد ٦٦٠ هـ

- زبدة الحلب فى تاريخ حلب — ٣ اجزاء
نشر د. سامى الدهان — دمشق ١٩٤٥
- سيرة راشد الدين سنان
نشر د. برنارد لويس

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

- الحركة الصليبيه — جزءان — القاهرة ١٩٧١
- العصر المالكى — القاهرة ١٩٦٥
- مصر فى عصر دولة المماليك البحريه — القاهرة ١٩٥٩
- الظاهر بيبرس — القاهرة ١٩٦٣
- مصر فى العصور الوسطى — القاهرة ١٩٧٠
- قبرس والحروب الصليبيه — القاهرة ١٩٥٧

الايوبيون والمماليك فى مصر والشام القاهرة ١٩٧٠

شخصية الدولة الفاطميه فى الحركة الصليبيه (بحث فى المجلة التاريخية مجلد ١٦ لسنة ١٩٦٩)

سامى نسيب مكارم (دكتور)

اضواء على مسلك التوحيد بيروت ١٩٦٦

المغربى :

ظاهرة تعاطى الحشيش القاهرة ١٩٦٢

اسماعيل الكاشف (دكتوره)

مصر فى فجر الاسلام القاهرة ١٩٤٧

مصر فى عصر الاخشيديين القاهرة ١٩٥٠

امير على

روح الاسلام جزءان

ترجمة د. امين الشريف مراجعة د. محمد مصطفى زيادة

القاهرة ١٩٦١

مختصر تاريخ العرب

ترجمة منير البعلبكى بيروت ١٩٧٠

سيد محمد العزاوى

فرقة النزاريه على ضوء المصادر الفارسيه القاهرة ١٩٦٨

الشيبي : كامل مصطفى (دكتور)

ـ الصلة بين التصوف والتشيع القاهرة ١٩٦٩

صبحى : احمد محمود (دكتور)

ـ نظرية الاماميه لدى الشيعه الاثنى عشرية القاهرة ١٩٦٩

طه حسين (دكتور)

ـ الفتنه الكبرى جزأن القاهرة ١٩٧٠

طه شرف (دكتور)

ـ النزاريه اجداد اغاخان القاهرة ١٩٥٠

عارف تامر

ـ الامامه فى الاسلام بيروت ١٩٥٥

عبد النعيم حسنين (دكتور)

ـ نظامى الكنجرى القاهرة ١٩٥٤

ـ سلاجقة ايران والعراق القاهرة ١٩٧٠

عمر ابو النصر :

قلعة الموت بيروت ١٩٧٠

فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور)

ـ المغول فى التاريخ بيروت ١٩٧٠

ف• بارتولد

ـ الحضارة الاسلامية
ترجمة حمزة طاهر القاهرة ١٩٥٢

فيليب حتى (دكتور)

ـ تاريخ العرب ٣ اجزاء بيروت ١٩٦١

كرستوفر دوسن

ـ تكوين اوربا
ترجمة د• سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة ١٩٦٧

ل• ا• سيديو

ـ تاريخ العرب العام
ترجمة عادل زعيتر القاهرة ١٩٦٩

لسترنجسج

ـ بلدان الخلافه الشرقيه
ترجمة بشير فرنسيس واخر بغداد ١٩٥٤

لويس (برنارد) ـ دكتور

ـ الدعوه الجديده
ترجمة د• سهيل زكار) دمشق ١٩٧٠

متز : آدم

ـ الحضارة الاسلاميه فى القرن الرابع الهجرى

ترجمة د . محمد عبد الهادى ابو ريده القاهرة بدون

محمد حسن الاعظمى

ـ الحقائق الخفية القاهرة ١٩٧٠

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

ـ اصل الشيعه واصولها القاهرة ١٩٤٤

محمد جمال الدين سرور (دكتور)

ـ النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام القاهرة ١٩٥٧
ـ دولة الظاهر بيبرس القاهرة ١٩٥٨

محمد مصطفى زيادة (دكتور)

ـ حملة لويس التاسع على مصر القاهرة ١٩٦١

محمد كامل حسين (دكتور)

ـ (طائفة الاسماعيليه) القاهرة بدون
ـ طائفة الدروز القاهرة ١٩٦٠
ـ الحياة الفكريه والادبيه بمصر من الفتح العربى حتى اخر الدوله الفاطميه القاهرة ١٩٥٩

محمد كرد على

ـ خطط الشام ج ١ ، ٢ دمشق ١٩٢٥

محمد مختار باشا

— التوفيقات الالهاميه فى مقارنه التواريخ الهجريه بالسنين الافرنكيه والقبطيه — بولاق ١٣١١ هـ

محمد يحيى الهاشمى (دكتور)

— الامام الصادق — حلب ١٩٥٨

مصطفى غالب

— تاريخ الدعوة الاسماعيليه — دمشق ١٩٥٣
— سنان راشد الدين — بيروت ١٩٧٠

سامى نسيب مكارم (دكتور)

— اضواء على مسلك التوحيد — بيروت ١٩٦٦

مكسيوس مونرود

— كتاب الحروب المقدسه فى المشرق — اورشليم ٩٨٦٥

ميشيل لياد

— الاسماعيليون بمصياف — دمشق ١٩٦٢
— دائرة المعارف الاسلاميه — الترجمة العربيه

Browne: Edward G.

A literary Hist. of Persia

Vol.I. London 1919.

Defremery.

Essai sur L. Hist. des Ismaolionse ou

Batinions de La perse.

Grousset: Rone

Hist . des croisades.

III Tomes.

Gustave. E. Von. Grunobaum.

Modieval Islam.

Chicago. 1953

Guyard. S.

Un Grand Maitres des Assassins au Tomp de

Saladin. Paris 1874.

Huart. CL.

Hist. des Arabes.

II Tomes. Paris 1912, 19

King. Colonel.

The Knights Hospitallers in the Holy Land.

London 1931.

Le Strange. Guy.

Palestine Under the Moslems from A.D. 5500-1500.

London 1890

Lewis: Bernard.

Saladin and the Assassins.

Assassins of Persia. Rome 1971

The Original of Ismailism. London 1941.

Polo: Marco.

Travels. London 1931.

Runciman.

A Hist. of the Crusades.

III Vols. Cambridge 1951-1954.

Sykes.

Hist. of Persia.

II Vols. London 1915.

W. Ivanow.

Studies in Early Persian Ismailin

Loiden. 1948.

Riso Rise of The Fatimids Calcutá 1942.

Kalami Pir. Bombay 1935.

A Guide To Ismaili Lit. London 1933.

OXFORD DICTIONARY. Oxford 1969.

===========